# دراســـــات
# فى
# تاريخ العرب المعاصر

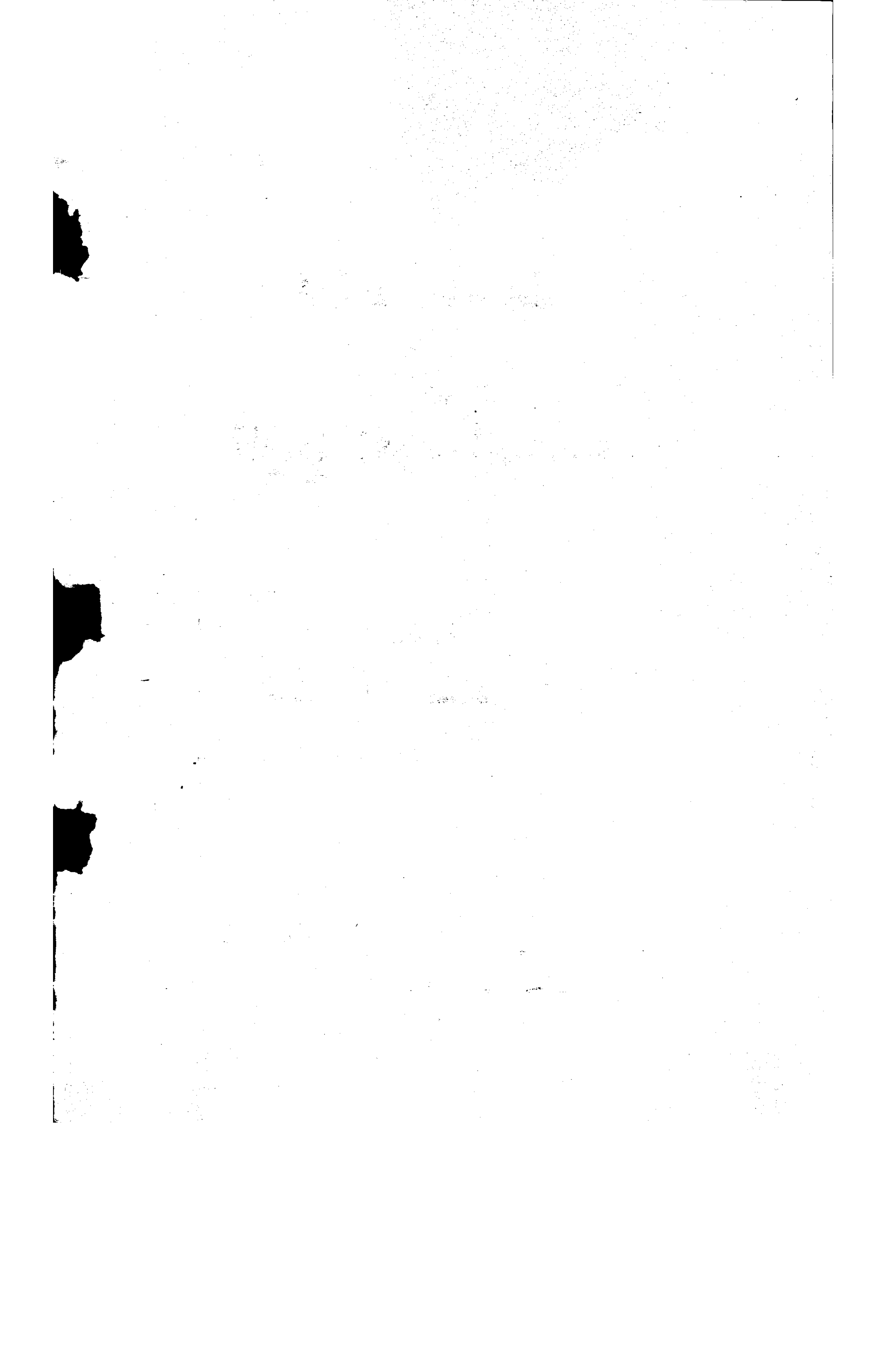
الأستاذ الدكتور

**حمدنا الله مصطفى حسن**

كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

القاهرة

٢٠٠٤



بسم الله الرحمن الرحيم

في الصفحات التالية فصول أو دراسات في تاريخ العرب المعاصر جرت أحداثها منذ الحرب العالمية الأولى ومرورا بالحرب العالمية الثانية وربما امتد بعضها حتى سبعينيات القرن العشرين .

وقد جاء الفصل الأول ليعرض للمشرق العربي والحرب العالمية الأولى متناولا الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ ، ومراسلات الحسين مكما هون ، واتفاقية سايكس – بيكو عام ١٩١٦ ، وتصريح بالفور عام ١٩١٧ ، وتطور أحداث الحرب حتى سقوط القدس

أما الفصل الثاني فقد جاء تحت عنوان : المشرق العربي في ظل الانتداب تناولنا من خلاله العراق وسوريا ولبنان وإمارة شرقي الأردن تحت الانتداب البريطاني والفرنسي .

وقد خصصنا الفصل الثالث لفلسطين منذ الانتداب البريطاني وحتى قيام دولة الكيان الصهيوني إسرائيل عام ١٩٤٨ .

وفي الفصل الرابع الذي جاء تحت عنوان : تطور السودان السياسي منذ الحرب العالمية الثانية وحتى عام ١٩٦٩ ، تناولت من خلاله خريطة الأحزاب السياسية والكتل الإقليمية في السودان ، والمجلس الاستشاري لشمال السودان .

وقد جاء الفصل الخامس متناولا الحركة الوطنية المغاربية ضد المستعمر الأوربي ، وأخيرا كان الفصل السادس الذي تناول بعضا من القضايا العربية السياسية المعاصرة .

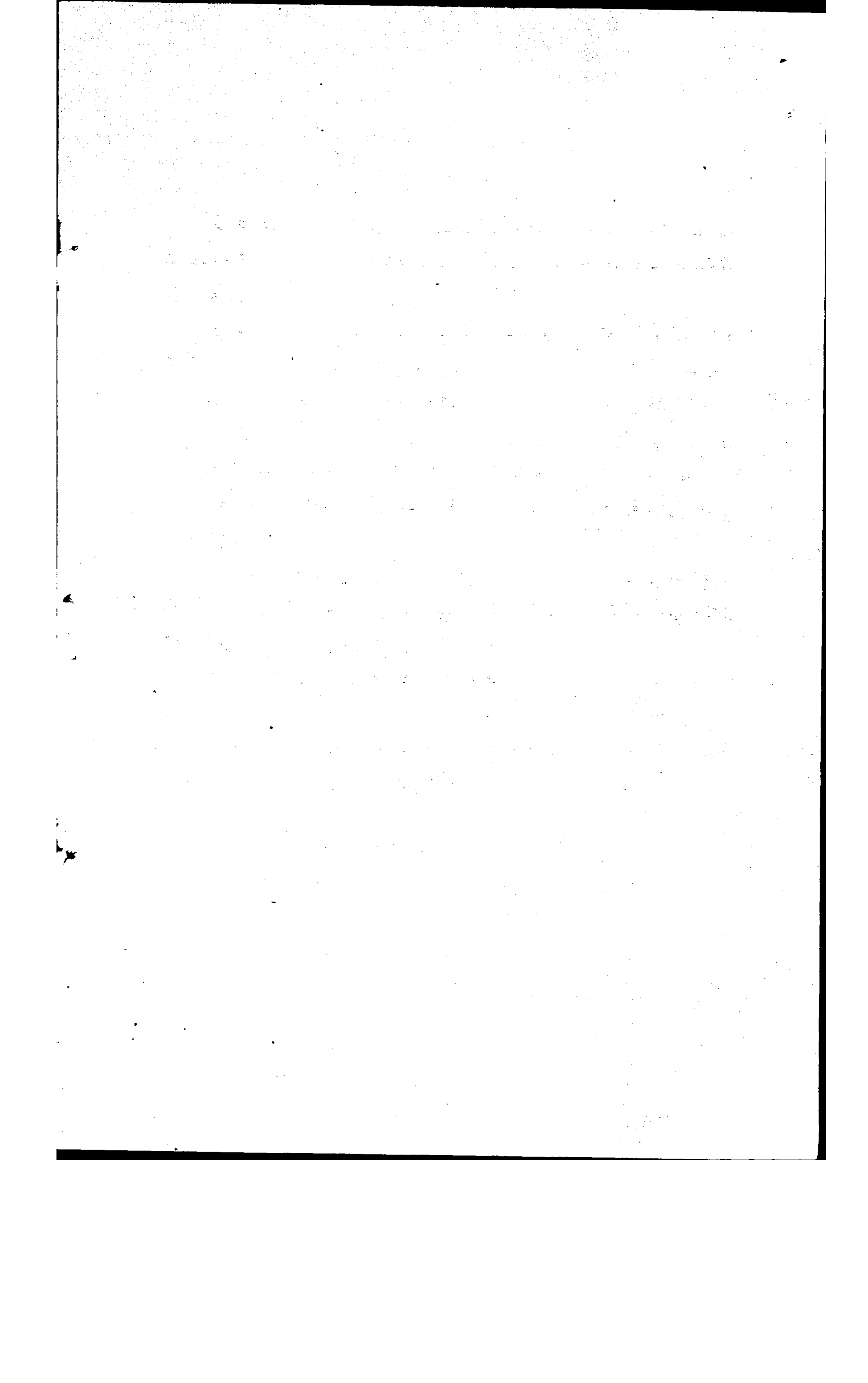
وختاما أرجو أن أكون من خلال هذه الدراسات قد أثرت بعض الأفكار إن لم أكن قد أضفت الجديد ، وحسبي أنني حاولت فإن أخطأت فمن نفسي وإن أصبت فمن الله .

والله ولي التوفيق ،،،

دكتور

حمدنا الله مصطفى حسن

مصر الجديدة ، فبراير ٢٠٠٤م



# الفصل الأول

## المشرق العربى والحرب العالمية الأولى

- الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ .
- مراسلات الحسين مكما هون .
- اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ .
- تصريح بالفور عام ١٩١٧ .
- حملة اللنبى وتطور الأحداث .
- ختام الحرب ومصير العرب .

# المشرق العربى والحرب العالمية الأولى

كانت حادثة سيراييفو فى البلقان هى السبب المباشر الذى أدى إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى حين قتل ولى عهد النمسا على يد أحد أعضاء المنظمات السرية، الأمر الذى أدى إلى إنقسام العالم إلى قسمين : الأول عرف بدول الوفاق وتتزعمه بريطانيا وفرنسا وروسيا . والقسم الآخر بزعامة كل من المانيا والنمسا والمجر ثم انضمت إليه الدولة العثمانية، وعرف باسم دول الوسط . ورغم أن بريطانيا ظلت حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر حليفاً تقليديا للدولة العثمانية ضد روسيا، إلا أنها تخلت عن هذه السياسة حين راحت تحتل مصر وقبرص بل وترنو ببصرها إلى جنوبى العراق عقب إستثمار إحدى الشركات البريطانية للنفط الإيرانى . كذلك فقد تحالفت فرنسا، وقد كانت هى الأخرى حليفة للدولة العثمانية، مع روسيا وضعف نفوذها فى العاصمة العثمانية .

والجدير بالذكر أن موقف الاتحاديين فى بادئ الأمر كان هو الحياد إزاء هذه الحرب، إلا أن إتجاه فريق منهم داخل جمعية الإتحاد والترقى التى كانت تقبض على أزمة الأمور، ولاسيما أنور باشا وبعض رفاقه، مالوا ميلاً شديداً نحو المانيا، فشهدت السنوات الأولى من القرن العشرين تفوق التجار الألمان والنمسويين والإيطاليين لاسيما وأن السلطان عبد الحميد كان قد اتجه إلى التقارب مع المانيا التى كانت هى الأخرى تبحث لها عن أسواق ومستعمرات عقب إتمام وحدتها، وراحت تمارس سياسة الزحف نحو الشرق Drang Nach Osten على يد القيصر الألمانى وليم

الثانى، ومن ثم أخذ التغلغل الألمانى صوراً متعددة فى الجوانب العسكرية والإقتصادية والثقافية . ومن أهم ثمرات هذا التقارب الألمانى العثمانى مشروع سكة حديد بغداد .

دخلت الدولة العثمانية الحرب واحتلت بريطانيا العراق وفكر العثمانيون فى غزو مصر التى كانت تحت الإحتلال البريطانى . وفى خلال الحرب بدأت الدولة العثمانية تتبع استراتيجية دينية إسلامية تستند إلى نداءات الجامعة الإسلامية، كما استعمل السلطان لقب الخلافة فى إعلان الجهاد ضد دول الوفاق وطلب إلى مسلمى العالم جميعاً لاسيما الخاضعين للسيطرة الروسية والبريطانية أن يشتركوا فى الحرب ضد « الكفار » . وقد سببت هذه الإستراتيجية إزعاجاً للبريطانيين والفرنسيين والايطاليين فى المستعمرات التى كانت بحوزتهم، لكن الضربة الكبرى التى وجهت إلى هذه السياسة كانت على يد الثورة العربية الكبرى التى نشبت عام ١٩١٦ بقيادة الشريف حسين .

بدأ سير العمليات الحربية فى المنطقة بعد مرور يومين على إعلان الحرب حين نزلت قوات بريطانية – هندية فى مصب شط العرب وكان يقود هذه الحملة « ديلامين » W. S. Delamain . وقد دافع الاتراك عن خطوطهم ومواقعهم لكن البريطانيين راحوا يتقدمون حتى دخلوا البصرة وواصلوا الزحف واحتلوا ( القرنة ) و ( العمارة ) فى ٣ يونيه عام ١٩١٥ .

ويبدوا أن هناك عاملين رئيسيين كانا يحركان البريطانيين للسيطرة على هذه المنطقة يتمثل أولهما فى بترول عبدان وثانيهما فى المحافظة على هيبة بريطانيا فى الخليج العربى والعراق وإيران وأفغانستان وشبه الجزيرة العربية .

بدأت المرحلة الثانية من الحملة البريطانية بالزحف نحو بغداد حين

صدرت الأوامر الى تونسد Townsend بالهجوم على هذة المدينة لكن دون أن تصله إمدادات كافية فى حين كان الأتراك قد تلقوا إمدادات جديدة فحلت الهزيمة بالجيش البريطانى الهندى فى موقعة ( سلمان باك ) قرب بغداد فى الرابع عشر من نوفمبر عام ١٩١٥ فانسحبت القوات البريطانية إلى ( كوت العمارة ) وحاصرهم الجيش التركى فى الرابع من ديسمبر حتى اليوم التاسع والعشرين من ابريل عام ١٩١٥ فأعلنوا الإستسلام .

تمسك البريطانيون بأهمية فتح بغداد، فقاموا بتجهيز حملة بقيادة ( مود ) فى عام ٢٩١٧ هاجمت القوات التركية وطاردتهم حتى سلمان باك ( المدائن ) ،فاضطر الأتراك إلى الإنسحاب عن بغداد فدخلتها الحملة فى هذا العام وأصدر الجنرال مود منشوراً تاريخياً يتقرب من خلاله إلى أهل العراق . ثم تابع الجيش البريطانى زحفه على الجهات الأخرى بقيادة ( مارشال ) الذى خلف مود فقام باحتلال سامراء ثم الرمادى وغيرهما، كما توجهت قوة أخرى إلى الموصل حيث توقفت عند النقطة التى تبعد إثنا عشر ميلاً عن الموصل حتى إعلان الهدنة عام ١٩١٨ لأن الموصل كان قد جرى وضعها تحت النفوذ الفرنسى فى معاهدة سايكس - بيكو، فى حين وضعت بغداد والبصرة ضمن منطقة النفوذ البريطانى . ومع ذلك ظلت بريطانيا مصممة على وضع الموصل تحت نفوذها فقامت باحتلالها مع النفطه التابعة لها مقابل حصول فرنسا على جزء من النفط، وبذلك تم وضع العراق كله تحت السيطرة البريطانية .

وقد شن الأتراك والألمان حملة فى جبهة سيناء وقاموا بهجوم واسع على منطقة قناة السويس فى العاشر من يناير عام ١٩١٥ حين زحفت ثمان فرق تركية عبر شبه جزيرة سيناء متجهة نحو غزة - القنطرة - معان - السويس، فتصدى لها البريطانيين بجيش قوامه خمسين ألف

مقاتل أكثره من البريطانيين ومن الاستراليين والهنود وغيرهم . وفى الثالث من فبراير عام ١٩١٥ بدأ الأتراك هجومهم على القناة لكنهم فشلوا تماماً حين تم سحق جنودهم فى الساحل الغربى للقناة، كما نضبت ذخائرهم وموادهم الغذائية فاضطروا للعودة إلى قواعدهم فى غزة ومعان. وقد جرى - عقب هذا الهجوم الفاشل - تنظيم غزوات قام بها البدو على مصر من الجهتين الغربية والشرقية لكنها باءت بالفشل .

أما العمليات العسكرية التركية التى جرت فى البحر فقد كان مصيرها الفشل أيضا إذ أن الإسطولين البريطانى والفرنسى كانا يحاصران السواحل السورية وسواحل البحر الأحمر المواجهة لشبه الجزيرة العربية .

كذلك فقد نجح البريطانيون فى شبه الجزيرة العربية فى صد جميع محاولات القوات التركية اليمنية عام ١٩١٥ للإستيلاء على عدن .

**الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ :**

لعبت المخابرات البريطانية إضافة للجهود الدبلوماسية فى تهيئة العرب للثورة فى الحجاز ضد الأتراك العثمانيين فى محاولة من الشريف حسين لاستخدام الحرب لتحقيق طموحاته لتكوين دولة عربية كبرى وخلافة إسلامية يكون هو على رأسها . لذلك كله فقد امتنع عن إعلان الجهاد وساندته بعض القبائل فى الحجاز . ويبدو أن الشريف حسين كان واقعاً بين نارين؛ ففى الحجاز كانت توجد وحدات لا بأس بها من القوات التركية . ومن ناحية أخرى كان الأسطول البريطانى يمخر عباب البحر الأحمر وفى مقدوره أن يحاصر موانى الحجاز ويقطع الامدادات الغذائية عنه، لذلك نجده ينتهج فى بداية الأمر سياسة المراوغة التى ظلت عاماً ونصف العام. ففى الوقت الذى أرسل فيه ابنه الأمير فيصل فى عام ١٩١٥ إلى دمشق حيث استقبله جمال باشا، كان على صلات سرية مع القوميين السوريين .

وهناك تساؤل على جانب من الأهمية وهو لماذا فضل البريطانيون الشريف حسين والإعتماد عليه فى هذه الظروف ولم يعتمدوا على الوطنيين السوريين الذين - ربما - كانوا أصلح العناصر وأكثرها وعياً سياسياً ؟. ويجيب البعض بأن هذه المفاضله كانت بسبب وجود القوميين السوريين فى قلب الإمبراطورية العثمانية وكان من الصعب الوصول إليهم، كما أنه لم يكن من الممكن التعاون مع السوريين الموجوديين بالقاهرة الذين إنقطعت صلتهم بموطنهم إلى حد ما [١].

وفى ظننا ان هذا التفسير وإن كان من الناحية الشكلية يعد مقبولاً، إلا أنه فى حاجة إلى اعادة النظر وتقليب وجهات النظر . فلم يكن من المتعذر على بريطانيا التى تملك من الأجهزة المخابراتية والسياسية أن يعوزها الإتصال بالقوميين السوريين، كما أنه ليس من الدقة القول بأن القوميين السوريين الموجودين بالقاهرة قد تقطعت بهم الأسباب مع إخوانهم ونظرائهم فى الشام، فهم جميعاً أصحاب فكر واحد ولم يكونوا يوماً من الأيام بعيدين عن تطور الأحداث، بل إنهم كانوا فى قلب الأحداث لاسيما فى هذه الفترة بل ومشاركين فيها . فلا ننسى أنهم قد أبرقوا إلى المسئولين البريطانيين عقب تصريح بلفور منددين به ومستنكرين له . أما السبب الأقرب إلى الصواب فى تقديرنا - لتفضيل الشريف حسين - ربما يكمن فى استعداد الرجل وطموحاته التى لوح له بها البريطانيون . كما أنه كان مسموع الكلمة من جانب الحجازيين والمسلمين عامة لأنه كان يتمتع بنسب شريف يتيح له اكتساب محبة جميع المسلمين ليس فقط فى المنطقة العربية ولكن فى جميع أرجاء العالم الإسلامى . وباحتضان البريطانيين للشريف حسين يمكن توزيع الولاء الإسلامى بين السلطان العثمانى

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق . ص ٧٢ .

والزعيم العربى المسلم، وبهذا تستطيع بريطانيا أن تستثمر ذلك فى تجزئة الولاء فى العالم الإسلامى بين هاتين الزعامتين .

وفى مستهل الحرب العالمية الأولى وبتعليمات من كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر جرى جس نبض الشريف حسين عما إذا كان سيقف مع الدولة العثمانية إذا دخلت الحرب ضد بريطانيا . ولم يكن جوابه حاسماً ربما لأنه لم يكن قد تلقى عروضاً من جانب البريطانيين، الا أنه فى المرة الثانية حين اتصل به كتشنر وافق حين ضمن له تأمين سلطته كشريف وحمايته من أى خطر خارجى ووعده بمساعدة العرب فى نيل إستقلالهم من الدولة العثمانية شريطة التحالف مع بريطانيا .

ونعود إلى إتصال الأمير فيصل بالزعامات السورية فى دمشق عام ١٩١٥ الذي استمع اليهم وتعرف على مطالبهم وهو فى طريقه إلى حضور ( مجلس المبعوثان ) فى الأستانة . وفى طريق عودته إلتقى بهم مرة أخرى فوجدهم ميالين إلى الثورة ضد العثمانيين لاسيما وأن جمال باشا قائد الجيش الرابع العثمانى فى الشام كان يسير على سياسة البطش والقمع هناك . وبالإضافة إلى ذلك فقد اكتشفت بعض المراسلات بين بعض الزعماء العرب والقنصل الفرنسى للتخلص من الحكم العثمانى ووضع بلادهم تحت الحماية الفرنسية . وعلى هذا النحو جرى وضع خطة للتفاوض بين الشريف حسين وبريطانيا عرفت باسم ( بروتوكول دمشق ) فى مايو عام ١٩١٥ والتى جاءت نصوصها على النحو التالى :

١ - إعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية وفقاً للحدود التى حددها بروتوكول دمشق .

٢ - موافقة بريطانيا على إعلان خليفة عربى على المسلمين .

٣ - أفضلية بريطانيا فى كل مشروع إقتصادى فى البلاد العربية .

٤ – تعهد الطرفين فى التعاون لمجابهة أى قوة تهاجم أحد الطرفين .

٥ – أن توافق بريطانيا على إلغاء الإمتيازات الأجنبية فى البلاد العربية .

٦ – تكون مدة الإتفاق الخاص بالتعاون العسكرى بين الطرفين خمس عشرة سنة .

وتجدر الإشارة إلى أن بروتوكول دمشق إذا كان قد اشترط إستقلال البلاد العربية داخل حدود معينة فإن هذا الإستقلال عن الدولة العثمانية لا يعنى إستبداله بسيطرة أجنبية، كما أن القوميين العرب لم يكونوا – وفقا لهذا البروتوكول – ملتزمين بأى إتفاق لا يتم وفقاً لهذه الأسس . كذلك فإن هذا البروتوكول لم ينص صراحة على إقامة دولة عربية واحدة، إذ أنه من غير المعقول أن يحدث ذلك فى غياب بقية البلدان العربية الأخرى التى لم تحضر إجتماع دمشق، فلربما لا تقبل الإندماج داخل هذه الدولة الموحدة (١) .

وبموجب بروتوكول دمشق وقيام هذا التحالف قوى مركز الهاشميين فى العالم العربى حيث منحهم أوراقاً إضافية فى معترك اللعبة السياسية مع بريطانيا لتحقيق أهدافهم التى يصبون إليها .

---

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق . ص ٧٦ .

**مراسلات الحسين - مكماهون ( ١٤ يوليه ١٩١٥ - ١٠مارس ١٩١٦ ) :**

ما أن عاد فيصل من دمشق وقام بتقديم تقرير لوالده عما دار مع الزعماء السوريين حتى استأنف الشريف حسين مفاوضاته مع بريطانيا والتى اشتهرت باسم ( مراسلات الحسين - مكماهون ) . وهى عبارة عن عشر رسائل متبادلة بين كل من السير هنرى مكماهون المندوب السامى البريطانى فى مصر والشريف حسين . خمس منها كتبها الشريف حسين وخمس كتبها مكماهون . وهى فى مجموعها تتناول شروط العرب للدخول إلى جانب دول الوفاق أثناء الحرب العالمية الأولى .

وفى أول رسالة للشريف حسين تناول هذه الشروط وهى لا تخرج عن تلك الشروط الواردة فى بروتوكول دمشق، لكن أضيف اليها بند خاص بالخلافة وبند خاص بمد شريان الاتفاق . وكانت حدود الدولة العربية المستقلة التى وردت تحوى الحدود التالية : شمالاً : خط مرسين، أطنة إلى مايوازى خط العرض ٣٧ شمالاً، ثم على إمتداد خط بيرجيك - أورفة - ماردين - مديان - جزيرة ابن عمر والعمادية إلى حدود إيران . وجنوبا : المحيط الهندى باستثناء عدن . وشرقا على إمتداد حدود إيران إلى الخليج العربى جنوبا . وغرباً على امتداد البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى مرسين .

وفى ٣٠ أغسطس بعث مكماهون برده على رسالة الحسين أوضح فيها رغبة بريطانيا فى استقلال البلاد العربية وموافقتها على أن يكون الخليفة عربياً حين يتم إعلان الخلافة، لكنه أرجأ الكلام فى مسألة الحدود المقترحة على اعتبار أن هذا الموضوع سابق لأوانه . وهكذا جاء رد مكماهون على حد قول البعض مثالاً للمراوغات الرسمية والحماقة ، لأنه حاول التوفيق بين أمرين يستحيل الجمع بينهما، فالخطاب كان يتمثل

الشريف ليصبح حليفاً، ومن جهة أخرى يحرمه من الوسيلة الوحيدة التى تمكنه من جعل التحالف فعالاً[1].

- وفى التاسع من سبتمبر عام ١٩١٥ بعث الشريف حسين خطابا إلى مكماهون معرباً عن دهشته لما ورد من مراوغة وفتور بخصوص حدود الدولة العربية المستقلة موضحاً بأن مقترحاته لم تكن من عنده بل تقدم بها الشعب العربى ، وكان الحسين متشدداً فى مسألة الحدود واعتبرها مسألة جوهرية، وأنها تتوقف على أمر واحد لا ثانى له وهو هل يقبل بالحدود المقترحة أم يرفضها ؟

أجاب مكماهون على رسالة الحسين فى الرابع والعشرين من أكتوبر عام ١٩١٥ وهى رسالة هامة لأنها تحوى التعهدات التى دخل العرب على أساسها الحرب والتى لم توف بها بريطانيا . وقد ذكر للشريف حسين بأن الحكومة البريطانية قد خولته إعطاء بعض التأكيدات للعرب وهى بمثابة تعهد من جانب بريطانيا للاعتراف باستقلال العرب، وتأييد للشريف فى نطاق الحدود التى عينها الحسين مع استثناء بعض الأجزاء من آسيا الصغرى وسورية . وهذه المنطقة المستثناه من حدود الدولة العربية المستقلة – والتى تضمنها بروتوكول دمشق وخطاب الحسين بتاريخ ١٤ يوليه عام ١٩١٥ – هى المنطقة التى تشمل الان جمهورية لبنان الواقعة غربى دمشق وحمص، والتى تشمل أيضا جزءاً من سورية غربى حمص وحماة وحلب بالإضافة إلى منطقتى الإسكندرونة ومرسين فى الطرف الشمالى الغربى لسورية . وتجدر الإشارة إلى أن هذا الإستثناء لم يكن يشمل البتة فلسطين التى كانت تعرف باسم ( متصرفية القدس الشريف ) .

- وفى الخامس من نوفمبر عام ١٩١٥ رد الحسين بالموافقة على إستثناء ضم مرسين وأطنة من الدولة العربية رغبة فى تسهيل الإتفاق،

---

(١) جورج أنطونيوس : يقظة العرب . ص ٢٥٣ .

لكنه تمسك بولايتي حلب وبيروت. ولكن في الثالث عشر من ديسمبر رد مكماهون على الخطاب السابق مصراً على استثناء ولايتي حلب وبيروت نظراً لتعلق المصالح الفرنسية بهما، كما أكد في خطابه بأن بريطانيا العظمى لا تنوي عقد أي صلح إلا إذا كان متضمناً بشكل أساسي «حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الألمان والأتراك». فرد الحسين في أول يناير عام ١٩١٦ مبدياً تساهلاً في إنشاء المنطقة الواقعة غربي خط دمشق - حمص - حماة - حلب. وهو تساهل - في نظر البعض - لتجنب كل ما يكدر صفو التحالف بين بريطانيا وفرنسا. وهكذا كان هذا الخطاب خطوة هامة وفاصلة في إتمام الصفقة مع بريطانيا، والتسليم بكافة النقاط التي أثارها مكماهون على الرسالة السابقة، واحتفاظ العرب بحقوقهم فيما يتعلق بالبصرة وبغداد ولبنان إلى نهاية الحرب [1].

وفي الثلاثين من يناير عام ١٩١٦ رد مكماهون على الرسالة السابقة مثنياً على الشريف حسين حول رغبته في تجنب كل ما يؤدي إلى إحراج بريطانيا في علاقاتها مع فرنسا، كما أبدى سروره من محاولات الحسين لاقناع الشعب العربي بضرورة الإنضمام إلى بريطانيا وحلفائها والكف عن مساعدة الأتراك والألمان.

لم تسلم مراسلات الحسين - مكماهون من النقد وذلك لأن الاتفاق بين الطرفين - بالنسبة لتحديد المنطقة التي جرى تحديدها لإقامة الدولة العربية المستقلة في الأقاليم المتحررة من السيطرة العثمانية - لم يكن واضح المعالم حيال هذه الحدود. ومما زاد من حدة النقد لهذه المراسلات موضوع فلسطين التي أصر العرب على أنها جزء لا يتجزأ من المناطق التي تتكون منها الدولة العربية المستقلة حسب إتفاق الحسين - مكماهون، بينما إدعت بريطانيا عكس ذلك، باعتبار أن مكماهون لم يحدد حدوداً

---

(١) عمر عبد العزيز: دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر. ص ٥٦٥ - ص ٥٦٦.

للدولة العربية بل قبل بمجموع الحدود التى اقترحها الشريف حسين مع بعض التحفظات . ولم تكن تحفظات مكماهون تشمل فلسطين، ولو كانت فلسطين تدخل ضمن تلك التحفظات التى حددها بالإسم لورد ذكرها صراحة [١] .

**إعلان الثورة العربية وتطوراتها:**

وعقب هذه المراسلات جرى تبادل لبعض الرسائل التى كانت تتعلق بالإستعدادات الخاصة لإعلان الثورة العربية الكبرى ضد الدولة العثمانية فى يونيه عام ١٩١٦ . فقد توجه فى صباح الخامس من يونيه كل من الأميرين على وفيصل إلى المعسكر الذى كانت تتجمع فيه قوة كانت تضم نحو ألف وخمسمائة فرد وقاما بإعلان إستقلال العرب عن الدولة العثمانية، وهذا الإعلان يعتبر بمثابة بداية للثورة . وفى مكة المكرمة بدأت الثورة فى العاشر من يونيه حين جرى مهاجمة مراكز الحاميات العثمانية وتم الإستيلاء على مكة . كذلك فقد تم مهاجمة جدة، كما اتجه الأمير عبد الله إلى الطائف فحاصروها إلى أن سقطت فى يده، كذلك تم الإستيلاء على رابغ وينبع . وراح الأمير فيصل يتخذ طريقه صوب الوجه ليجعل منها قاعدة إنطلاق لعملياته العسكرية نحو الشمال، فاستطاع الإستيلاء عليها فى يناير عام ١٩١٧، وأصبحت الوجه تشكل تهديداً خطيراً على طريق مواصلات الأتراك فيما بين المدينة المنورة ودمشق . وقد تمكنت قوات الثورة من احتجاز ثلاث فرق عسكرية عثمانية فى اليمن نظراً لانقطاع إتصالاتها وانعزالها عن قواعدها الرئيسية فى الشام . وبالإضافة إلى ذلك كله فقد أغلق الطريق إلى البحر الأحمر والمحيط الهندى أمام أى تقدم عثمانى ألمانى .

وبسقوط الوجه فى يناير عام ١٩١٧ تكون الثورة العربية قد اختتمت

---

(١) عمر عبد العزيز : المرجع السابق ، ص ٥٦٨ .

مرحلتها الأولى التى كانت أعمالها الحربية تدور فى منطقة الحجاز، واحرزت نتائج لا بأس بها من حيث الإستيلاء على عدة مناطق وأسر الكثير من ألقوات التركية عدا حاميات المدينة المنورة التى حاصرتها قوات ألثورة إلى ما بعد إنتهاء الحرب .

أما المرحلة الثانية من عمليات الثورة فقد بدأت مباشرة عقب الإستيلاء علي الوجه وانتهت بالإستيلاء على العقبة حين قام فى يوليه عام ١٩١٧ لورانس العرب – الذى حاز ثقة الأمير فيصل وأصبح مستشاره العسكرى والسياسى وقائد العمليات الحربية التى قامت بها جميع الوحدات الشمالية من قوات الحجاز – بغارة عبر الصحراء إستولى فيها على العقبة التى أصبحت قاعدة هامة شكلت الجناح الأيمن للحملة التى سوف تنطلق من مصر بقيادة اللنبى لفتح الشام . وبفتح العقبة جرى تطوير هام لقوات الأمير فيصل من حيث التكوين والتشكيل فأصبحت قوات نظامية مدربة وفق النظم العسكرية الجديدة . وباحتلال العقبة أيضا إستطاع العرب إخلاء سواحل البحر الأحمر من الأتراك تماماً وأصبحوا يشكلون مع الجيش البريطانى جبهة واحدة .

ويرى البعض ان القوميين العرب إقترحوا على لورانس أن يسارع بالتقدم إلى دمشق لأن ذلك سوف يؤدى إلى اندلاع ثورة فى سورية ضد الأتراك، وبذلك يتم تحريرها بجهود العرب الخالصة دون الإستعانة بقوات أجنبية، إلا أن لورانس وقف ضد هذا الإقتراح لأنه كان منافيا لمخططات كل من الساسة والعسكريين البرطانيين، مع الأخذ فى الإعتبار أن لورانس كان يعمل وفقا لتعليمات المخابرات البريطانية [١] .

ولم يكن رد فعل الثورة العربية واحداً فى البلدان العربية . ففى العراق وقف الجزء الخاضع للحكم العثمانى موقفا معادياً للثورة على عكس

---

(١) لوتسكى: تاريخ الأقطار العربية الحديث . ص ٤٦٠ .

الجزء الآخر الذى كان خاضعاً للسيطرة البريطانية . وفى شبه الجزيرة العربية رحب سائر الحكام فيها بالثورة من خلال مهرجان جرى عقده فى العشرين من نوفمبر بالكويت حضره ابن سعود وأمير الكويت وشيخ المحمرة وعدد كبير من الشيوخ . وفى هذا الاجتماع ألقى ابن سعود خطاباً حماسيا حث فيه العرب على الإنضواء تحت راية الثورة خدمة للقضية المشتركة التى تهم كلا من بريطانيا والعرب .

وفى مصر كان العداء واضحاً للثورة لكنه لم يكن شاملاً واستمد قوته من مشاعر النقمة ضد بريطانيا، وأيضا مشاعر الموالاة للعثمانيين . أما الجاليات السورية والعراقية فى مصر فقد كانت أكثر حماساً للثورة وأفسحت الصحافة صدر صفحاتها للثورة نظراً لما كان للسوريين آنذاك من سيطرة على كثير من صحف القاهرة .

**إتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦:**

وفى الوقت الذى كان الثوار العرب يحاربون فيه من أجل استقلالهم عن الدولة العثمانية وإقامة دولة مستقلة على أساس التعهد البريطانى بالمساعدة فى الوصول إلى هذه الغاية، كانت دول الوفاق الثلاث ( بريطانيا - فرنسا - روسيا ) تجرى مفاوضات سرية لوضع حد للمسألة الشرقية وتجزئة أملاك الأمبراطورية العثمانية . وقد بدأت فكرة التجزئة والتقسيم حين توصلت بريطانيا وفرنسا إلى عقد إتفاقية سرية مع روسيا فى مارس عام ١٩١٥ لتلبية مطالب روسيا من حيث ضم كل من إستانبول والمضايق - فى حالة إنتصار دول الوفاق - إلى ممتلكات القيصر . وقد عرضت كل من بريطانيا وفرنسا تعهدات شفوية حيال هذا الموضوع إلا أن روسيا لم توافق عليها بل أرادت عقد إتفاق ملزم بخصوص ذلك . واضطرت بريطانيا وفرنسا إلى الموافقة على طلب روسيا - ضماناً لعدم خروجها من بين صفوفهم وعقدها لصلح منفرد مع المانيا - أن تعقد اتفاقية الأستانة فى مارس عام ١٩١٥ . ومن جانب آخر اعترفت روسيا بحقوق بريطانيا وفرنسا فى الممتلكات العثمانية الآسيوية، كما وافقت على أن تكون الأماكن الاسلامية المقدسة ضمن حكومة إسلامية مقدسة .

ما أن فرغت بريطانيا وفرنسا من مطالب روسيا حتى بدأتا الدخول فى مفاوضات سرية بخصوص تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية فى آسيا . ويبدو أن فرنسا كانت ملحة بل ومتلهفة على مسألة التقسيم خوفاً على ضياع مصالحها فى المنطقة لاسيما وأن بريطانيا كانت تقود العمليات العسكرية فى المنطقة وتخشى فى ذات الوقت أن تتم المباحثات بين الشريف حسين وبريطانيا على حساب المصالح الفرنسية فى الشام .

بدأت المفاوضات فى لندن عام ١٩١٥ مثل فيها الطرف البريطانى السير مارك سايكس Sykes والجانب الفرنسى جورج بيكو Picot . وقد تمخض عن هذه المفاوضات الإتفاقية المشهورة باسم سايكس - بيكو،

والإتفاقية السرية البريطانية الفرنسية، وإتفاق القاهرة، لأن إحدى مراحل هذه الاتفاقية جرت فى القاهرة .

ومضمون إتفاقية سايكس – بيكو عبارة عن مذكرات متبادلة بين حكومات كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا جرى خلالها تحديد المناطق التى استحوزت عليها كل دولة .

وقد نصت الإتفاقية على أن تستحوز فرنسا على الساحل السورى بشكل مباشر، وجرى تلوين هذا الجزء باللون الأزرق . وبالإضافة إلى هذه المنطقة حصلت فرنسا على المدن الأربع الواقعة داخل الشام وهى دمشق وحمص وحماة وحلب . وإلى جانب ذلك كله جرى ضم الموصل إلى فرنسا ولكن بشكل غير مباشر، واتفق على تسميتها بالمنطقة ( أ ) .

أما منطقة النفوذ البريطانى المباشر والتى لونت باللون الأحمر فقد تضمنت العراق الذى شمل بغداد والبصرة باستثناء الموصل . وهناك منطقة أخرى ضمت إلى بريطانيا بشكل غير مباشر شملت المنطقة الداخلية من العراق وفلسطين ورمز إليها على الخريطة بالمنطقة ( ب ) . كما حصلت بريطانيا إضافة إلى ذلك على منطقة حيفا وعكا على ساحل فلسطين .

وقد نصت الاتفاقية كذلك على أن يتكون من المنطقتين أ ، ب الواقعتين بين المناطق البريطانية والفرنسيه إتحاد من الدول العربية أو الدولة العربية المستقلة يرأسها حاكم عربى، على أن تقسم هذه المنطقة إلى منطقتى نفوذ بريطانية وفرنسية ،كما نصت الإتفاقية أيضا على إنشاء ادارة دولية فى فلسطين، وجعل ميناء الاسكندرونة ميناءً حراً للتجارة الأمبراطورية البريطانية .

وهكذا مزقت هذه الإتفاقية ممتلكات الدولة العثمانية فى آسيا وبلاد العرب، وأصرت كل من بريطانيا وفرنسا على رسم الحدود التى تتفق

ومصالح كل منهما . فقد أصرت بريطانيا على أن تسيطر على مينائي حيفا وعكا لنقل البترول من العراق إلى البحر المتوسط في حالة استقرار الرأى على جعل فلسطين حكومة دولية .

وفيما يتعلق بفلسطين فقد تم وضعها تحت إدارة دولية نظراً لإختلاف كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا حولها حيث إرتأت فرنسا أن تكون فلسطين ضمن سوريا الواقعة تحت نفوذها، لكن بريطانيا عارضت ذلك كي تكون عكا منفذاً للعراق على البحر المتوسط وحتى تمنع أى تواجد فرنسي أو غير فرنسي قرب قناة السويس ومصر . وأما روسيا فنظراً لمصالحها الدينية ورعايتها للمعاهد والأديرة الأرثوذكسية فى فلسطين فلم تكن لتسمح بانفراد كل من بريطانيا وفرنسا فى الاستحواذ على فلسطين . لذلك كله إرتأت الأطراف ترك فلسطين مؤقتا بحيث يصبح نظام حكمها دوليا بعد الحرب [١] .

وعلى هذا النحو السابق تعتبر اتفاقية سايكس - بيكو معيبة لأنها تناقضت والإتفاق البريطاني مع الشريف حسين، بالإضافة إلى أنها مزقت منطقة المشرق العربي حين وزعتها بين بريطانيا وفرنسا الأمر الذى أدى إلى خلق مشكلات فى سبيل إقامة الوحدة . كذلك فإن هذه الإتفاقية قد وضعت المناطق التى تتمتع بالرخاء تحت السيطرة غير المباشرة لكل من بريطانيا وفرنسا، بينما وضعت الأجزاء الأقل تقدماً تحت السيطرة غير المباشرة اذ لا ضمير فى هذه الحالة من مطالبتها بالإستقلال [٢] .

وعقب إندلاع الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧، ورغبة من الحكام الجدد فى التشهير بالعهد القيصرى السابق قاموا بنشر كافة المعاهدات، وأرسل جمال باشا قائد الجيش الرابع فى الشام نص هذه الاتفاقيات إلى الأمير فيصل لكشف بريطانيا وفرنسا والحلفاء . وعلى إثر

---

(١) عمر عبد العزيز : المرجع السابق . ص ٥٧٧ - ٥٧٨ .
(٢) محمود منسى : المرجع السابق . ص ٨٦.

ذلك راح الشريف حسين يستفسر من المندوب السامي البريطاني في القاهرة، فردت الحكومة البريطانية بأن الترك يعملون على بذر الشقاق بين العرب والحلفاء وأن بريطانيا وحلفاءها مصممون على الوقوف إلى جانب الشعوب العربية، وراحت تبرر نشر الوثائق المتعلقة بالخارجية الروسية بأنها لا تمثل إتفاقية مبرمة، بل هي لا تعدو أن تكون مجرد محاضر محادثات وتبادل وجهات نظر بين بريطانيا وفرنسا وروسيا جرت في بداية الحرب وقبل الثورة العربية، كما ذكرت بأن جمال باشا تجاهل نجاح الثورة العربية وانسحاب روسيا من الحرب الذي خلق ظروفاً مغايرة تماماً لأن هذه الاتفاقية لم تكن ستنفذ بسبب الإنسحاب الروسي ونجاح الثورة العربية . وهكذا استطاعت الحكومة البريطانية أن تهدأ من روع الشريف حسين وتجعله يواصل ثقته في وعود بريطانيا [1] .

(١) محمود صالح منسي : المرجع السابق . ص٨٧.

بينما كان العرب يقومون بدورهم بإخلاص إلى جانب الحلفاء وفقاً للمراسلات والوعود التى جرى الاتفاق بشأنها، إذا بالحكومة البريطانية تصدر تصريحاً على لسان وزير خارجيتها « بالفور » كان بمثابة طعنة غادرة وجهت إلى الأمة العربية لا تزال تعانى منها حتى الآن، ونقض بذلك تصريح بالفور الصادر فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧ بشأن إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

**دوافع التصريح :**

أفاض المؤرخون والسياسيون فى تناول الدوافع التى أدت إلى قيام الحكومة البريطانية بإصدار تصريح بالفور . والواقع أن هذه الإجتهادات التى ذكرها هؤلاء المحللون لا يمكن إغفالها لأنها بنيت على أسس علمية ومنهجية، لكن يبقى أن نعيد ترتيبها وتقليب النظر فيها حسب أهميتها التى تتراءى لنا، والتى يمكن تقسيمها إلى قسمين : دوافع رئيسية وأخرى ثانوية .

**أولاً الدوافع الرئيسية :** وتتمثل فى حرص بريطانيا فى المقام الأول على حفظ وتأمين مصالحها الإستراتيجية فى المنطقة المجاورة للقاعدة البريطانية الرئيسية فى مصر وقناة السويس وتأمين الإتصال البرى مع الشرق . فمما لاشك فيه أن موقع فلسطين يمثل أهمية عظمى للمصالح البريطانية لاسيما وأن الشام سوف يصبح تحت النفوذ الفرنسى وبالتالى ملاصقاً للنفوذ البريطانى فى مصر وقناة السويس الأمر الذى يؤدى إلى تهديد خطوط المواصلات البريطانية .

ويرتبط بهذا الدافع ضرورة ملء الفراغ الناشئ عن إنهيار الأمبراطورية العثمانية وذلك بإقامة دولة يهودية فى فلسطين . ولما كانت

بريطانيا وهى تقوم بعمليات عسكرية فى العراق للإستيلاء عليه، فقد قررت ألا يكون هناك فاصل بينها وبين مصر يقع تحت سيطرة دولة أخرى .

**ثانياً الدوافع الثانوية** : وهى متنوعة وجاءت على النحو التالى:

١ - كسب العناصر الصهيونية فى كل من ألمانيا والنمسا لاسيما وأن هذه العناصر كانت تفاوض دول الوسط للحصول على تصريح مماثل من الدولة العثمانية . وقد يفسر ذلك حرص الساسة البريطانيين على إصدار التصريح قبل أن تصدره أية دولة أخرى .

٢ - مخاطبة ود اليهود الروس الذين لعبوا دوراً هاماً فى الثورة البلشفية ومحاولة إغرائهم لإبقاء روسيا فى الحرب .

٣ - إستمالة الرأى العام اليهودى فى الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب دول الوفاق .

٤ - التكفير عن الآلام التى عاناها اليهود - كما يرى بالفور - ومكافأة الدكتور وايزمان على تجاربه العلمية التى لعبت دوراً رئيسياً فى المعارك العسكرية، والإستفادة أيضا من خبرة اليهود الإقتصادية والإعلامية وغيرها .

٥ - ضرب التجمع العربى بكافة صوره وأشكاله من خلال زرع عنصر غريب بين القسمين العربيين فى كل من آسيا وافريقيا حتى يتم فصلهما باقامة حاجز بشرى قرب القاعدة البريطانيه فى مصر والسويس يكون حليفا للاستعمار . وقد ظهر تقرير للسياسة البريطانية فى عام ١٩٠٧ مفاده أن السواحل الجنوبيه والشرقية للبحر المتوسط هى مكمن الخطورة على الإستعمار ولابد من تجزئة هذه المنطقة ومحاربة إتحادها [١] .

(١) محمود منسى : المرجع السابق . ص ٨٩ .

**نص التصريح :**

هذا التصريح عبارة عن خطاب من وزير الخارجية البريطانية بالفور إلى اللورد روتشيلد جاء على النحو التالى :

« عزيزى اللورد روتشيلد . يسرنى جداً أن أنهى إليكم بالإنابة عن حكومة جلالته التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود والصهيونية . وقد عرض على الوزارة وأقرته . إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أنه يفهم جليا أنه لن يؤتى عمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى » .

وقد سبق هذا التصريح مداولات إستمرت زهاء عامين ( ١٩١٦ - ١٩١٧ ) بين كل من المنظمة الصهيونية والحكومة البريطانية، إلا أن المباحثات الرسمية بين الطرفين بدأت فعلاً فى فبراير عام ١٩١٧ ثم تلى ذلك مباحثات مع حكومتى فرنسا وإيطاليا وجرت الموافقة على المشروع الصهيونى فى كل من لندن وباريس وروما . وحتى يصبح نجاح حملة اللنبى فى فلسطين مؤكداً جرى تأخير إعلانه . كذلك فقد وافقت على هذا التصريح قبل إعلانه الولايات المتحدة الأمريكية، وهكذا جرى تهيئة المناخ الدولى لهذا التصريح قبل إصداره .

والجدير بالذكر ان بريطانيا لم يكن لها الحق فى إصدار مثل هذا التصريح لأنها لم تكن تملك فلسطين . فحين صدوره فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧ لم تكن جميع الأراضى الفلسطينية قد احتلت بعد، بل جرى إحتلال الجزء الجنوبى منها، ولم تكن مدينة القدس قد سقطت إلا فى ديسمبر عام ١٩١٧ كما أن فلسطين لم تكن قد أحتلت إلا فى سبتمبر عام ١٩١٨ [1] .

---

(١) عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ إلى ١٩٣٦ . ص ٢١ .

وإذا ما حاولنا إجراء عملية نقد فيلولوجى لبعض العبارات التى وردت فى نص التصريح فى محاولة لفهم الصياغة التى وردت به فسوف نجد أنها وضعت بعناية وحرص شديدين مثل عبارة « تنظر بعين العطف »، و« وطن قومى »، و« سيبذل أقصى جهودها » وهى عبارات غامضة تحتمل الكثير من التأويلات وهو ما جعل الحكومة البريطانية فيما بعد تفسرها بما يتفق وسير الأحداث ومصالحها . ويلاحظ أن كلمة « عربى » أو « عرب » لم يتضمنها التصريح وإنما جاءت الإشارة إليها عرضاً باعتبار أن العرب طوائف كسائر الطوائف الأخرى من الأقليات التى لا قيمة لها رغم أن عدد الفلسطينيين فى ذلك الوقت كان يبلغ حوالى ٦٥٠ الف فرد بنسبة ٩٠٪ من إجمالى عدد السكان، فى الوقت الذى نص فيه التصريح صراحة على أن هناك ما يسمى بالشعب اليهودى فى فلسطين الذى لم يبلغ عدده آنذاك أكثر من ٦٠ الف فرد . ثم ان التصريح أيضاً قد غفل عن الحقوق السياسيه للطوائف غير اليهودية، مشيراً فقط إلى الحقوق الدينية والمدنية فقط .

**صدى التصريح عربيا ودوليا :**

فوجئ العرب بتصريح بالفور، وكانوا قد علموا بصدوره من مصر حين نشرت جريدة المقطم نص التصريح مرتين في العاشر والثانى عشر من نوفمبر عام ١٩١٧، وقابله القادة العرب الموجودون فى القاهرة بمعارضة شديدة الأمر الذى جعل السلطات البريطانية تبذل جهداً كبيراً في إخفائه .

أما وقد أذيعت أخبار التصريح فإن الشريف حسين راح يستفسر من الجانب البريطانى عن حقيقته، فبعثت إليه الحكومة البريطانية عن طريق ( هوجارث ) أحد رؤساء المكتب العربى فى القاهرة آنذاك بتصريح ذكرت فيه بأنها مصممة بالنسبة لفلسطين ألا يخضع شعب لشعب آخر، ولكن نظراً لوجود أوقاف وأماكن مقدسة لكل من المسلمين أو المسيحيين أو

اليهود فينبغى إقامة نظام خاص لهذه الأماكن، وبالنسبة للمسجد الأقصى فهو خاص بالمسلمين ولن يوضع بشكل مباشر أو غير مباشر تحت أى سلطة غير مسلمة . وفيما يتعلق باليهود ونظرا لأن الرأى العام اليهودى فى العالم يحبذ عودتهم إلى فلسطين فإنه لن يقام عائق فى سبيل ذلك [١] .

ويبدو أن الشريف حسين قد أقنع نفسه بهذا الرد حين أجاب على رسالة هوجارث قائلاً : إنه مادام تصريح بالفور يرمى إلى إيجاد مأوى لليهود من الإضطهاد فسيبذل قصارى جهده ونفوذه لتحقيق هذه الغاية وأنه يقبل أى ترتيب ملائم لحماية الأماكن المقدسة، لكنه لا يقبل تنازل العرب عن حق السيادة .

وزيادة على ذلك راح الشريف حسين يبعث الرسائل إلى أتباعه فى مصر وإلى قوى الثورة يطمأنهم بأنه تلقى تأكيدات بريطانية حول عدم تعارض الإستيطان اليهودى فى فلسطين مع استقلال العرب، ويحثهم على استمرار الثقة العربية فى الوعود البريطانية لنيل إستقلالهم، بل ويطلب من السكان العرب فى فلسطين الترحيب باليهود كأخوة لهم [٢] .

أما عرب فلسطين فقد أبلغوا بالتصريح رسميا فى ٢٠ فبراير عام ١٩٢٠ حين أذاع الحاكم العسكرى لفلسطين ذلك فى بيان، رغم أن القيادات العسكرية البريطانيه كانت تكذب ما تنشره الصحف حول صدوره . وقد أحدث ذلك الإعلان إستياءً كبيراً بين الأهالى، فاجتمع رجالات فلسطين وقرروا القيام بمظاهرة كبرى يوم الجمعة ٢٧ فبراير عام ١٩٢٠ إشترك فيها نحو أربعين الف شخص طافوا بالقنصليات الأجنبية فى القدس محتجين على إتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود . كذلك فقد تظاهرت المدن الفلسطينية الأخرى وقدمت إحتجاجات إلى الحكام العسكريين [٣] .

(١) عادل غنيم : المرجع السابق . ص ٢٢ - ٢٣ .
(٢) نفس المرجع . ص ٢٣ .
(٣) نفس المرجع . ص ٢٤ .

وقد بعث الزعماء السوريون المقيمون فى القاهرة ببرقية فى الرابع عشر من نوفمبر عام ١٩١٧ إلى وزير الخارجية البريطانى إحتجوا من خلالها على هذا التصريح ذاكرين أن فلسطين جزء حيوى من الشام ولا يمكن القبول بفصلها سياسيا أو إجتماعيا . ويبدو أن الزعماء السوريين قد انخدعوا هم أيضاً بالردود التى تلقوها من الساسة البريطانيين التى ذكرت لهم بأن تحقيق الأهداف القومية للعرب مرتبطة بمدى التعاون مع الصهيونية، وأنه ليس فى نيتهم إقامة دولة يهودية فى فلسطين، وما كان تصريح بالفور إلا خطوة من خطوات السياسة البريطانية التى ترمى إلى نشر العدالة بين القوميات الصغيرة . ويبدو أن ذلك كله قد أدى إلى شعور الزعماء السوريين بالاطمئنان (١) .

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

حملة اللنبى Allenby وتطور الأحداث :

فى يوليو عام ١٩١٧ تسلم الجنرال اللنبى قيادة القوات البريطانية فى فلسطين بالإضافة إلى قيادة وحدات الجيش العربى التابعة لفيصل - لورانس . وكانت فرنسا تشترك فى حملة اللنبى بفصيلتين من الجنود الفرنسيين، وأطلق على الحملة إسم « جيش الشرق » .

وفى اكتوبر من نفس العام بدأ الهجوم البريطانى على مقدمة القوات التركية المنتشرة ما بين غزة وبئر سبع، وتدهور موقف القوات التركية فى بئر سبع والساحل، فانسحب الجيش وتعقبته قوات اللنبى . وقد جرى إحتلال يافا ورام الله واللد والخليل وبيت لحم ثم أخيراً استولت القوات على بيت المقدس فى ٧ ديسمبر عام ١٩١٧ .

وقد لقيت القوات البريطانية فى زحفها وبتأثير من الدعاية العربية معاونة صادقة من السكان - على إعتبار أنها قوات جاءت لتحرير بلادهم - حين تخلى الضباط والجنود العرب عن مراكزهم فى الجيش العثمانى ولجأوا إلى القوات البريطانية، كما قدموا المعلومات القيمة عن مواقع الأتراك، لاسيما وأن الأراضى التى كانوا يسيرون خلالها وعرة، والمناخ الذى أحاط بهم شديد القسوة فى ذلك العام .

وقد واصلت القوات العربية تقدمها واستطاعت إحتلال معان وعمان ودرعا بينما كانت القوات البريطانية تسير على طول الساحل نحو الشمال . وفى ٣٠ سبتمبر عام ١٩١٨ دخلت قوات عربية غير نظامية دمشق . أما القوات النظامية فقد دخلت فى أول أكتوبر من نفس العام . وما أن دخل فيصل دمشق ورحب به الأهالى دخل اللنبى بعد أن جاءته أنباء بضرورة وقف التيار العربى وسد الطريق أمام فيصل وأحلامه، وتذكر اتفاقية سايكس - بيكو . وبالفعل قابل اللنبى فيصل وأخبره أن الحرب لم تنته بعد وأن بريطانيا مسئولية عن إدارة الأراضى التى استولت عليها القوات

البريطانية أو الفرنسية أو العربية باعتبارها أراضي للعدو، وأن لديه تعليمات بالسماح للفرنسيين بالسيطرة على المنطقة غربى دمشق وحلب والتى تشمل بيروت ولبنان، أى المنطقة الزرقاء فى سايكس – بيكو . أما المنطقة التى تضم دمشق وحمص وحلب وحماه أى المنطقة ( أ ) فسوف تكون تحت حماية فرنسا التى ستقيم منها دولة .

وفى أعقاب دخول دمشق أرسل مندوب عن الشريف حسين لتنظيم حكومة عربية في بيروت ورفع العلم العربى هناك حيث أعلن قيام حكومة باسم الملك حسين في ( بعابدة ) بلبنان موالية لحكومة فيصل فى دمشق، فاحتج الفرنسيون على ذلك، فأمر اللنبى ضباطه بالتقدم إلى بيروت وعزل مندوب الملك حسين وإنزال الأعلام الحجازية بل والسماح للقائد البحرى الفرنسي بإنزال قواته إلى البر . وعقب سقوط دمشق طلبت الحكومة البريطانية من اللنبى التقدم نحو حلب واحتلال بقية الشام، فجرى تنفيذ ذلك قبل نهاية أكتوبر عام ١٩١٨ . وفى الداخل تم احتلال حمص وحلب .

واصلت بريطانيا عرض مسلسل خداع العرب حين أرسل فيصل إلى اللنبى يخبره بعجزه عن كبح جماح القوى العربية ما لم يصدر الحلفاء بياناً رسمياً لتوضيح نواياهم، فأصدرت الحكومتان البريطانية والفرنسية فى السابع من نوفمبر عام ١٩١٨ تصريحاً مشتركاً أوضحتا فيه أن غرضهما هو التحرير التام للشعوب التى طال إضطهاد الترك لها وإقامة حكومات وإدارات وطنية .

ويبدو أن إصدار مثل هذا التصريح كان محاولة لإزالة الرواسب التى علقت من جراء إنزال العلم العربى فى بيروت .

وقد ظن بعض العرب أن هذا التصريح يعد بديلا أو تعديلاً لاتفاقية سايكس – بيكو، إلا أنه فى حقيقة الأمر لم يكن سوى حلقة من حلقات الخداع الكبرى للعرب . صحيح أن الحكم التركى قد ولى وزال عن الأقطار

العربية الآسيوية، إلا أن واقع الحال يقول إنه أستبدل بحكم أوربى إستعمارى من خلال بريطانيا وفرنسا وهو ما ظهر جلياً خلال مؤتمر الصلح فى باريس عام ١٩١٩ .

**ختام الحرب ومصير العرب :**

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، ووجهت الدعوة إلى الملك حسين ملك الحجاز لإرسال مندوب عنه إلى مؤتمر الصلح . وبالفعل كلف إبنه الأمير فيصل للقيام بهذه المهمة . وقبيل إنعقاد مؤتمر الصلح جرت لقاءات من وراء الكواليس بين كل من كليمنصو رئيس الوزارة الفرنسية ولويد جورج رئيس الوزارة البريطانية تم فيها الإتفاق شفوياً على تنازل كليمنصو عن ولاية الموصل فى شمالى العراق لبريطانيا، ووضع فلسطين تحت سيطرة بريطانيا مقابل تخلى بريطانيا عن تأييد فيصل فى الشام .

تقدم الأمير فيصل بمذكرتين إلى مؤتمر الصلح فى يناير طالب من خلالهما بحصول البلاد العربية على الإستقلال وفقاً للحدود التى طالب بها والده بإستثناء الحجاز الذى هو دولة مستقلة فعلاً، وعدن التى كانت بحوزة بريطانيا . وقد أستند فيصل فى هذا المطلب إلى أساسين هامين : أولهما : الدور الذى لعبه الجيش العربى فى تحرير بلاده، وثانيهما المبادئ الأربعة عشر التى أعلنها الرئيس الأمريكى ويلسون وعلى رأسها مبدأ حق تقرير المصير . وفى فبراير من نفس العام ( ١٩١٩ ) كرر هذا المطلب .

وكان هناك إقتراح من الرئيس الأمريكى ويلسون بإيفاد لجنة رباعية تضم كلاً من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا لمعرفة مطالب الشعوب العربية فى المشرق لكن الدول الثلاث انسحبت من هذه اللجنة وبقيت الولايات المتحدة وحدها من خلال عضويها كنج - كرين King Crane - حيث عرفت اللجنه باسميهما وقامت بزيارة الشام . ومن جانب آخر شكل الأمير فيصل هيئة تسمى ( المؤتمر السورى العام ) من نواب

يمثلون جميع مناطق الشام . وفى ختام زيارة اللجنة للشام وضعت تقريرها الذى حوى قسمين : الأول يختص بسوريا وفلسطين والثانى يختص بالعراق رغم عدم زيارة اللجنه له لكنها إلتقت ببعض الزعماء العراقيين فى سوريا . وجاءت توصيات اللجنة فى صالح الشعوب العربية فى سوريا ولبنان والعراق إلا أن تقرير اللجنة لم يوضع موضع التنفيذ ولم تتح له الفرصة كى يبحثه مؤتمر الصلح بل وضع فى سجلات المؤتمر حيث غادر الرئيس الأمريكي ويلسون باريس إلى بلاده، ولم يعد لمبدأ تقرير المصير أى قوة لتنفيذه .

وفى سبتمبر عام ١٩١٩ قررت الحكومة البريطانية جلاء قواتها عن الشام فى نوفمبر من نفس العام وتسليم حاميات دمشق وحمص وحماة وحلب إلى الأمير فيصل، وتسليم حاميات المنطقة الواقعة غربى خط سايكس - بيكو إلى الفرنسيين . ووفقا لذلك أصبح من حق الفرنسيين إحتلال لبنان، كما أصبح يحق لفيصل فى ذات الوقت السيطرة على داخلية الشام فوافق كليمنصو على ذلك شريطة أن تترك فرنسا بمفردها للإتفاق مع فيصل . وعلى الفور أرسلت فرنسا قوات عسكرية يقودها الجنرال ( جورو ) .

وفى مارس عام ١٩٢٠ إجتمع المؤتمر السورى العام وقرر إستقلال بلاد الشام، ونادى بفيصل ملكاً عليها، كما قرر العراقيون المجتمعون فى دمشق إستقلال العراق ونادوا بقيام إتحاد سياسى واقتصادى بين الشام والعراق، وتولى الأمير عبد الله بن الحسين عرش العراق، وإعلان إنتهاء الإحتلال البريطانى للعراق .

لم تكن بريطانيا راضية عن قرارات المؤتمر السورى فاجتمع مجلس الحلفاء الأعلى دون حضور الولايات المتحدة الأمريكية فى لندن وسان ريمو فى أبريل عام ١٩٢٠ وقررت الدولتان ضرورة قيام دولة منتدبة فى كل من الشام والعراق بحيث تتولى بريطانيا الإنتداب على العراق

وفلسطين والأردن، بينما تتولى فرنسا الإنتداب على سورية ولبنان .

راحت فرنسا تنفذ الإنتداب والقضاء على مملكة فيصل في دمشق حين وجه الجنرال ( جورو ) إنذاراً في الرابع عشر من يوليه عام ١٩٢٠ يطلب فيه ضرورة الموافقة على قبول الإنتداب الفرنسي . ووافق فيصل على الإنذار في الوقت الذي كانت فيه القوات الفرنسية قد بدأت تزحف صوب دمشق حتى وصلت إلى خان ميسلون قرب دمشق، فاشتبك جيش فيصل مع الجيش الفرنسي في الموقعة الشهيرة ( موقعة ميسلون ) : ولم يصمد جيش فيصل حيث إنهار سريعاً وقتل قائده يوسف العظمة واحتلت دمشق، وغادر فيصل البلاد إلى أوربا .

وأما تطورات الأحداث في العراق فقد وصلت إلى قيام ثورة عرفت بثورة العشرين في يونيه عام ١٩٢٠ تكبدت من جرائها بريطانيا كثيراً من الخسائر . وقد فكرت بريطانيا في خطة تحافظ من خلالها على مصالحها في العراق، وعدم تنازلها عن الانتداب على العراق، وفي ذات الوقت تقوم بتحقيق جزء من الأماني العربيه من خلال تعيين حاكم عربي على العراق يكون خاضعاً للنفوذ البريطاني، فوجدوا ضالتهم في الأمير فيصل بن الحسين الذي فقد عرشه في دمشق إلى جانب أن في تعيينه نوعاً من الوفاء بالوعد الذي أعطى لوالده خلال الحرب ودفعاً لتهمة الخيانة التي يمكن أن تلصق ببريطانيا . ومن المعروف أن المؤتمر العراقي في دمشق كان قد أتخذ قراراً باستقلال العراق وتولية الأمير عبد الله عليه، لذا فقد سعت بريطانيا إلى إقناع الأميرعبد الله بأن يتنازل لأخيه فيصل عن عرش العراق ملوحةً له بإمارة شرقي الأردن ونجحت في ذلك . ثم جرى إستفتاء الشعب العراقي في مسألة توليه فيصل تحت سمع وبصر السلطات البريطانية فجاء الإستفتاء لصالح فيصل حيث نصب على عرش العراق في أغسطس عام ١٩٢١ [١] .

---

(١) محمود ملمي : المرجع السابق . ص ١١٠ .

هكذا كانت مسيرة العرب خلال الحرب العالمية الأولى مع دول الوفاق ، فقد دخلها العرب على أساس مساعدة بريطانيا وحلفائها فى الحرب على أمل الحصول على الإستقلال . وبر العرب بوعدهم لكن بريطانيا وحلفاءها تنكروا لوعودهم واتفاقاتهم، وحلوا محل الدولة العثمانية من خلال فرض نظام الإنتداب على كل من العراق وفلسطين وبلاد الشام لتبدأ بعدها مرحلة صراع مريرة من جانب شعوب هذه المنطقة فى مواجهة الإستعمار البريطانى والإستعمار الفرنسى حتى حصلت هذه البلدان على استقلالها فيما عدا فلسطين التى سلمتها بريطانيا إلى اليهود عام ١٩٤٨ لتصبح شاهداً على نكران الجميل والتخلى عن الوعود للعرب، وجرحاً غائراً فى جسد الأمة العربية لا يزال حتى الآن ينزف دماً .

# الفصل الثاني

## المشرق العربي في ظل الانتداب

- العراق تحت الانتداب البريطانى
- سوريا تحت الانتداب الفرنسى
- لبنان تحت الانتداب الفرنسى
- الأردن تحت الانتداب البريطانى

## أولاً : العراق

إستطاعت بريطانيا خلال أحداث الحرب العالمية الأولى السيطرة على جنوبى العراق وبغداد إلى أن تمكنت من إخضاع العراق كله للإحتلال البريطانى، علماً بأن اتفاقية سايكس - بيكو قد وضعت الموصل فى شمالى العراق تحت النفوذ الفرنسى إلا انه أمكن وضعها مع بقية أجزاء العراق فى مؤتمر سان ريمو تحت السيطرة البريطانية .

### ثورة العشرين فى العراق :

بدأت أحداث هذه الثورة فى الثانى من يونيه عام ١٩٢٠ وظلت حتى أكتوبر من نفس العام . وترجع أسبابها إلى ما أصاب العمال العراقيين ورؤساء العشائر من أضرار عقب إنتهاء الحرب العالمية الأولى، فقد كانوا خلالها يتمتعون بكثير من المزايا . وبعد أن وضعت الحرب أوزارها راحت السلطات البريطانية تقتر على رؤساء العشائر وتسرح العمال، فبدأت أحوالهم تتدهور وعم الغضب صفوفهم . وإضافة إلى هذا السبب هناك النظم الضرائيبية الجديدة التى وضعتها سلطات الإحتلال والتى امتدت إلى كل بيت، حين راحت هذه السلطات تطبق القوانين التى كان معمولاً بها فى الهند . صحيح أن المواطن العراقى قد عرف هذه الضرائب أثناء الحكم العثمانى لكنها الآن بدت أشد وطأة لاسيما وأنها بدأت تفرض من سلطة غير شرعية .

ومن الأسباب التى يمكن إضافتها أيضاً تلك التطورات والأحداث الكبرى التى جرت فى بعض أجزاء العالم العربى كثورة عام ١٩١٩ فى مصر بزعامة سعد زغلول . فقد كانت السلطات البريطانية فى العراق تدرك خطورة وصول أنباء هذه الثورة إلى العراق فحاولت منع تسربها إليه لاسيما وإن بريطانيا كانت عدواً مشتركاً فى العراق ومصر . ومن هذه

الأحداث أيضاً قرارات مؤتمر سان ريمو فى ٢٥ أبريل عام ١٩٢٠ الذى أقر السيطرة على العراق وغيرها . ولما كانت سوريا قد أعلنت رفضها لقرارات هذا المؤتمر وثارت عليه فقد كان من الطبيعى أن يثور العراق أيضاً معلناً رفضه لها أيضاً لاسيما أنه كان ينتظر نفس المصير الذى لقيه الأمير فيصل فى سوريا حين هزم فى معركة ميسلون، وانسحب فى أعقابها عدد من الضباط العرب إلى العراق أصبحوا بمثابة دفعة معنوية قوية لأهل العراق، خاصة وأن هؤلاء الضباط كانوا يحملون بين جوانحهم أفكاراً قومية وحدوية .

ومن الأسباب التى يجدر الإشارة إليها فى قيام هذه الثورة الدور الذى لعبته الزعامات الشيعية فى العراق، فقد كانوا غاضبين لما جرى فى كل من النجف وكربلاء من تصفية للإستقلال المركزى الذى كانتا تتمتعان به . ومن المعروف أن لهذه الزعامات الدينية سابقة فى ذلك من خلال إثارة شعب إيران ضد استبداد الشاه والتسلط الأجنبى عام ١٩٠٦[١] .

أما السبب المباشر لإندلاع هذه الثورة فقد تمثل فى قيام الحاكم العام البريطانى فى الرميثة ( على الفرات الأوسط ) بالقبض على أحد شيوخ العشائر، فدخل رجاله بالقوة إلى سراى الحكومة وأطلقوا سراحه بعد قتل الحراس، واقتلاع خطوط السكك الحديدية شمالى الرميثة وجنوبها .

هكذا تجمعت أسباب هذه الثورة التى قادها رؤساء العشائر وعلماء الدين الشيعة وقادة جمعية ( حرس الاستقلال )، وبدأ الصدام مع السلطة البريطانية، وتم إحراز إنتصارات مؤثرة فى الجانب البريطانى إلى درجة

---

(١) عبد العزيز نوار : المرجع السابق . ص ٤٢١ ومابعدها .
، انظر أيضاً : لونسكى : المرجع السابق . ص ٢٨٩

جعلت السلطات البريطانية تفكر بل وتستعد للجلاء عن أجزاء من العراق، إلا أنه سرعان ما دبت الخلافات بين الشيعة والسنة وبين العرب والأكراد، ناهيك عن الصدامات الدامية بين العشائر الأمر الذى جعل الثورة تنحصر بشكل رئيسى فى المناطق الريفية لأن الثورة فى المدن كان قد جرى وأدها منذ البداية [1] .

وقد بلغت خسائر البريطانيين خلال هذه الثورة ٤٢٦ قتيلاً و ١٢٢٨ جريحاً و٦١٥ مفقوداً ، وقدرت الخسائر المادية بعشرين مليون جنيه استرلينى . كما بلغت الخسائر العراقية ثمانية آلاف قتيل . وكان للتفوق البريطانى فى الأسلحة أثره فى إزدياد الخسائر العراقية . وبالرغم من هذه الخسائر فى صفوف العراقيين فإن الثورة قد كشفت عن قدرتهم على التعبير عن أنفسهم ضد التسلط البريطانى بشكل فعلى وكشفت عن نضجهم السياسى .

ويرجع فشل ثورة العشرين إلى عدة عوامل تمثلت فى عدم استناد الثورة إلى التخطيط والتنظيم والتسليح القوى، بل على المشاعر فقط، كما أن التركيب العشائرى فى العراق بخصائصه المعروفة قد جعل العشائر الثائرة تعمل بشكل انفرادى دون تنسيق جماعى الأمر الذى سهل ضرب كل جماعة على حدة . فقد أفتقرت الثورة إلى قيادة عامة وعدم وجود دولة تقف بجوار الثوار .

ومن عوامل الفشل الرئيسية تفوق السلطات البريطانية فى السلاح الذى حسم المعارك لصالحها، كما أن الثورة لم تكن شاملة لكافة مناطق العراق، فقد تخلف الأكراد فى شمالى البلاد عن ركب الثورة [2] .

وفى سبيل تهدئة روح الثورة وإخمادها لجأت الحكومة البريطانية

---

(١) لوتسكى : المرجع السابق ص ٢٩١ .
(٢) إسماعيل ياغى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر . الجزء الأول . قارة آسيا . ص ١٨٧ .

إلى أسلوب تغيير رجال الحكم وفقاً للظروف المناسبة؛ فالعسكريون أولاً لمواجهة وضرب الحركات الثورية المسلحة ووأدها، ثم يأتي بعدها دور المدنيين وهو ما سارت عليه بريطانيا في العراق وغيرها . ففي العراق، أبعدت الحكومة البريطانية ولسن A. Wilson أسندت منصب المندوب السامي إلى السير برسي كوكس P. Cox لتهدئة النفوس والخواطر، فاستطاع في ٢٧ أكتوبر عام ١٩٢٠ أن يشكل ما يسمى بالحكومة المؤقتة برئاسة عبد الرحمن الكيلاني مما سهل إحتواء السلطات البريطانية لكثير من زعماء الثوار الأمر الذي أدى إلى الإستسلام في النهاية .

**عهد الملك فيصل ( ١٩٢١ - ١٩٣٣ ) :**

لم تكن فترة حكم الملك فيصل للعراق سهلة وميسرة، بل حفت بكثير من الصعاب، وإزاء ذلك راح يسلك طريق الحذر الشديد، فقد كانت تتراءى أمامه تلك الحوادث العصيبة التي مرت به وبوالده من قبل وهما يخوضان الثورة العربية والوقوف بجوار بريطانيا وحلفائها ، وكان يذكر جيداً كيف فقد عرشه في دمشق حين اصطدم برغبات الفرنسيين والبريطانيين ، لذلك كله فإننا نجده وهو يتسنم سدة الحكم في العراق يبدو أكثر واقعية ومن ثم راح يحاول أن يوفق بين طموحات التيار الوطني وبين المصالح البريطانية والحذر منها في محاولة للحفاظ على عرشه ، وفي سبيل ذلك كله لم يكن يأنف قبول النصائح البريطانية أو يتعجل الوصول إلى الغايات دفعة واحدة ، بل اتبع سياسة ( خذ وطالب ) التي تعني السير في طريق إستقلال العراق خطوة خطوة .

ولما كان العراقيون – وعلى رأسهم الملك فيصل –غير راضيين عن نظام الإنتداب فقد جرى البحث عن صيغة أخرى لا تختلف في جوهرها عن الإنتداب ولكنها ترضي أو تسكت المعارضة العراقية ، فكانت معاهدة عام ١٩٢٢ .

**معاهدة عام ١٩٢٢:**

هكذا كانت الظروف المحيطة بالأمير فيصل ، وما كان بوسعه أن يصطدم بالسلطات البريطانية حتى لاتتكرر ميسلون . وفى ظل هذه الأوضاع قدمت بريطانيا المعاهدة إلى وزارة عبد الرحمن النقيب فى العاشر من أكتوبر عام ١٩٢٢ شريطة أن يوافق عليها المجلس التأسيسى المزمع قيامه .

نصت معاهدة ١٩٢٢ على تعهد بريطانيا بتقديم المشورة والمساعدة للعراق على أن لاتمس هذه المشورة سيادة العراق القومية . ونصت المادة الثالثة بأن لا يحتوى القانون الأساسي المزمع إصداره على أى شئ مخالف لنصوص هذه المعاهدة . كذلك فقد نصت المعاهدة على عدم التمييز بين أهل العراق ، وضرورة المحافظة على حقوق الطوائف فى أمور التعليم ولا سيما التدريس بلغات هذه الطوائف فى مدارسها الخاصة بها . وهذا يوضح أن بريطانيا تعطى لنفسها حق التدخل في شئون العراق الداخلية الدقيقة[١] .

وفى المجال الإقتصادى نصت المعاهدة على تمتع الأجانب بفرص متساوية فى مجالات العمل الإقتصادى في العراق تطبيقاً لسياسة (الباب المفتوح ) التى كانت تمارسها الدول الكبرى. ولا شك أن هذه السياسة الإقتصادية كانت ضارة بالنسبة للدول الصغرى التى لا تستطيع مزاحمة الكبار والمشاركة بشكل فعلى وقوى .

وفى المجال العسكرى نصت الإتفاقية على أن يصبح العراق قادراً على الدفاع عن نفسه خلال أربع سنوات ، وأن تخصص الحكومة ربع ميزانيتها لهذا الغرض مقابل أن تقدم بريطانيا الأسلحة والمدربين والمستشارين العسكريين .

---

(١) عبد العزيز نوار : المرجع السابق . ص ٤٧٧ .

كذلك فقد نصت المعاهدة على سعى بريطانيا لقبول العراق عضواً فى عصبة الأمم فى أقرب فرصة . كما اتفق على أن تسرى هذه المعاهدة لمدة عشرين عاماً ، إلا انه جرى تخفيض مدتها فى عام ١٩٢٣ الى أربع سنوات فى أعقاب معاهدة الصلح مع تركيا .

إن نصوص معاهدة ١٩٢٢ كانت مجحفة للعراق ، فقد تضمنت قيوداً شديدة على إستقلاله ، إذ كان من حق المندوب السامى البريطانى الإعتراض على أى قرار يتعارض والمصالح البريطانية ، كما كان لزاماً على الحكومة العراقية أن تقدم نسخة من محاضر جلساتها إلى المندوب السامى ، وكان يوجد إلى جانب كل مسئول عراقى كبير مستشار بريطانى له السلطة المطلقة . وقد اتاحت هذه المعاهدة الفرصة لتدخل السلطات البريطانية فى شئون العراق الداخلية وجعلت من بريطانيا وصية على الطوائف العراقية التى شكلت نسبة كبيرة من سكان البلاد ، كما أنها راحت تشرط مسبقاً بأن لا يحتوى القانون الأساسى المنتظر صدوره على أى شيء مخالف لنصوص المعاهدة . ومعنى ذلك أنه مطلوب من هذا القانون تأكيد السيطرة البريطانية والتسلط على أجهزة الدولة القائمة حالياً والتى من المزمع قيامها .

وإذا كان العراق قد تخلص عن طريق الحكومة البريطانية من استمرار تطبيق الإمتيازات الأجنبية فإنه قد أرغم على تنفيذ ما هو أسوأ منها ، ونعنى بذلك سياسة ( الباب المفتوح ) . والواقع أن الملك فيصل كما قلنا لم يكن بوسعه أن يقف أمام التسلط البريطانى لأنه فيما يبدو كان قد وعى الدرس تماماً رغم انه كان يشكو دوماً بأن هذه المعاهدة ليست بالمعاهدة التى وعده بها تشرشل .

بعد أن وقعت المعاهدة جاءت الخطوة التالية لإجراء انتخابات عامة لتشكيل مجلس تأسيسى كان الهدف منه التصديق على معاهدة ١٩٢٢ مع

بريطانيا ، ووضع دستور للبلاد ، ثم وضع قانون لمجلس نيابى . وقد ظهرت معارضة من جانب الشيعة التى راحت تحث على مقاطعة الانتخابات ، وفى ذات الوقت كانت هناك ضغوط تركية فى الشمال فى منطقة الموصل أدت إلى خلق صعوبة فى إجراء الانتخابات الأمر الذى ادى إلى استقالة عبد الرحمن النقيب من الوزارة ، فطلب الملك فيصل من عبد المحسن السعدون تشكيل وزارة جديدة فى ٢٠ نوفمبر عام ١٩٢٢ . وفى عهد هذه الوزارة جرى تخفيض مدة معاهدة ١٩٢٢ إلى أربع سنوات. وخلال عام ١٩٢٤ جرت الانتخابات وتم تكوين المجلس التأسيسى، وبدأت بريطانيا تضغط على هذا المجلس للمصادقة على الإتفاقية حين قدمتها إلى المجلس فى العاشر من يونية وهددت بأنه ما لم يتم مصادقة المجلس عليها فى العاشر من يونيه عام ١٩٢٤ فإن بريطانيا ستتقدم فوراً إلى عصبة الأمم للموافقة على صك الإنتداب فى صيغته الأصلية . وبالفعل نجحت بريطانيا فى إرغام المجلس على توقيع المعاهدة.

وقد برر البعض الموافقة على قبول المعاهدة بأن قضية الموصل لم تكن حتى ذلك الوقت قد تم حسمها لصالح العراق لأن تركيا كان يمكن أن تكسب هذه القضية لدى عصبة الأمم وتأخذها ، لذلك كله فإن العراق كان فى حاجة إلى مساندة قوة كبرى ، والقوى الكبرى فى ذلك الوقت كانت تتمثل فى كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وهى الدول المنتصرة فى الحرب العالمية الأولى ، ولما كانت فرنسا وإيطاليا تناصبان العرب العداء لم يكن هناك مفر من الإنصياع إلى الجانب البريطانى (١).

والجدير بالذكر أن موافقة المجلس كانت مشروطة بمحافظة بريطانيا على حقوق العراق فى ولاية الموصل بأجمعها ،وان على الحكومة

(١) عبد العزيز نوار : المرجع السابق . ص ٤٥٣ .

البريطانية إعادة النظر فى المعاهدة وإجراء تعديل عليها فى أقرب وقت .

وقد جرت محاولات لتعديل معاهدة ١٩٢٢ فوقعت معاهدة ١٩٢٦ ومعاهدة ١٩٢٧ وهما عبارة عن تحسينات طفيفة أشبه بعمليات تجميلية لمعاهدة ١٩٢٢ ، إلا أن ذلك لم يكن يفقد العراقيين الأمل فى تعديلات أوسع وأشمل فكانت معاهدة عام ١٩٣٠ .

**معاهدة ١٩٣٠**

ألف نورى السعيد وزارة جديدة فى ٢٣ مارس عام ١٩٣٠ – وهو معروف بميوله البريطانية – فسعى إلى إيجاد صيغة تفاهم مع الحكومة البريطانية لعقد معاهدة جديدة سوف تكون أساساً للسياسة العراقية طيلة ربع قرن . وقد توصل الطرفان إلى توقيع المعاهدة فى ٣٠ يولية عام ١٩٣٠ .

نصت هذه المعاهدة على قيام تحالف وثيق بين كل من الحكومتين البريطانية والعراقية ، واشترطت ضرورة التشاور بين الطرفين بشكل صريح فى كافة الشئون الخارجية . كما نصت أيضا على ضرورة أن يقدم العراق ما فى وسعه فى حالة الحرب إلى صاحب الجلالة البريطانية من تسهيلات داخل الأراضى العراقية من سكك حديدية وأنهار وموانىء ومطارات ووسائل المواصلات ، كما سمحت المعاهدة للبريطانيين باستئجار قاعدتين جويتين فى كل من البصرة وغربى الفرات . وقد أذنت المعاهدة لبريطانيا أن تقيم قوات بريطانية فى العراق على أن لا يعتبر ذلك إحتلالاً أو مساساً بسيادة العراق ، وأن تقدم بريطانيا للقوات العراقية مساعدتها فى التدريب والتسليح . واتفق على أن تكون مدة سريان المعاهدة ربع قرن ، وأن يجرى تنفيذها عقب قبول العراق عضواً فى عصبة الأمم (١).

---

(١) عبد العزيز نوار : المرجع السابق . ص ٤٦٠

وإذا كانت هذه المعاهدة البريطانية العراقية قد حققت بعض المكاسب للعراق من حيث إنهاء الانتداب وقبوله رسميا عضواً فى عصبة الأمم فى ٣ أكتوبر عام ١٩٣٢ وأصبح دولة مستقلة ، وإرسال بريطانيا إلى العراق مندوبا لها أصبح يدعى سفيراً بدلا من المندوب السامى ، إلا أن هذه المعاهدة لم تكن بين دولتين متكافئتين بل وقعت فى ظل إحتلال بريطانى جعلت العراق يدور فى فلك الأمبراطورية البريطانية ، واحتفظت بريطانيا لنفسها بقوات داخل البلاد . ورغم المصادقة العراقية من قبل المجلس النيابى على هذه المعاهدة فقد لاقت معارضة شديدة نظرا للسيطرة الفعلية لبريطانيا فى العراق . أما الملك فيصل فقد كان يؤيد المعاهدة ويرى أنها قد حققت للعراق أمنية زوال الانتداب ودخول عصبة الأمم والحصول على مظاهر الدولة المستقلة (١) .

وفى أعقاب توقيع المعاهدة إندلعت حركة الأشوريين فى الموصل . ولم يكن الأشوريون من العراق بل جاءوا اليه وافدين إما من تركيا أو إيران متأثرين بأحداث الحرب العالمية الأولى وظلوا يعيشون على الإعانات البريطانية لقاء تجنيدهم للقيام بأعمال الحراسة فى المطارات وغيرها . ويبدو أن الأشوريين كانوا يأملون أن تستمر هذه الرعاية البريطانية لكنهم لاحظوا تغيرها فى أعقاب معاهدة ١٩٣٠ وأنهم أصبحوا مجرد مواطنين عاديين من غير إمتيازات وقد تولى القائد العراقى بكر صدقى إخماد هذه الحركة الثورية بعنف (٢) .

**عهد الملك غازى الأول (١٩٣٣ - ١٩٣٩) :**

إختلفت شخصية الملك الجديد غازى الأول الذى تولى الحكم عام ١٩٣٣ عن شخصية والده الملك فيصل ، فالملك غازى شاب صغير فى الحادية والعشرين من عمره ، قليل الخبرة ، بينما كان والده واسع الخبرة ،

(١) محمود منسى : المرجع السابق . ص ١٢٦
(٢) نفس المرجع . ص ١١٩

حنكته التجارب التى مر بها منذ أن شارك مع والده الحسين فى الثورة العربية ، واحتك بكثير من القادة العسكريين والشخصيات السياسية ، كما خاض معارك فى الشام لتحريره من الأتراك ، ومعارك أخرى ضد الفرنسيين إلى أن فشل فى الإحتفاظ به . فكل هذه التجارب أكسبته خبرات وجعلته يبدو أكثر حذراً وهو يتولى عرش العراق ومن ثم راح يمسك العصا من المنتصف لإرضاء الوطنيين فى العراق والسلطات البريطانية على السواء . أما ابنه غازى فقد أعلن منذ البداية معارضته للبريطانيين ، وانضم إلى صفوف الوطنيين ، ولم يكن بالتالى يتقبل أية نصيحة من بريطانيا أو عمه الأمير عبد الله أمير شرقى الأردن – الذى كان يتمتع بعلاقات طيبة مع بريطانيا – أو من الساسة العراقيين الموالين لبريطانيا من أمثال نورى السعيد .

**اوضاع العراق الداخلية :**

شهدت الأوضاع الداخلية فى عهد الملك غازى تنافساً شديداً بين الساسة العراقيين للوصول إلى الحكم . كما شهدت أيضاً ظاهرة تدخل العسكريين بشكل سافر فى الأمور السياسية ، لا سيما فى أعقاب معاهدة ١٩٣٠ حيث جرى إدخال نظام التجنيد الإجبارى فى عام ١٩٣٤ ، والتحاق الكثير من أبناء العراق بالكلية الحربية ومن ثم تخرج ضباط وطنيون أصبح لهم رأى ليس فقط فى الشئون العسكرية بل والشئون السياسية . ولما كان الجيش يمتلك القوة العسكرية وبالتالى التغيير السريع فقد تدخلوا كثيرا فى حسم بعض الأمور . ومن جانب أخر فقد وقر فى نفوس هؤلاء العسكريين أنهم قطاع هام من الشعب آن له أن يلعب دوراً ما فى تيار الحركة الوطنية .

ومن بين الأدوار التى قام بها العسكريون إخمادهم لثورات الفرات الأوسط ( الرميثة وسوق الشيوخ والمنتفق ) عام ١٩٣٥ ، والقضاء على حركة بارزان والزيدية فى الشمال .

وفى التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٣٦ قاد الفريق بكر صدقى إنقلابا عسكريا حين زحف على بغداد وقدم إنذاراً إلى الملك ، وأطاح بوزارة ياسين الهاشمى وجئ بوزارة حكمت سليمان . ولم يمتد عمر هذا الانقلاب طويلاً فقتل بكر صدقى . والجدير بالذكر أن الذين نفذوا هذا الانقلاب العسكرى لم يكونوا من أصول عربية بل كانوا من أصول تركية وتركمانية وشيعيه، فقائد الإنقلاب كان كرديا ، لذلك فقد انقسم العراقيون ازاءهم لاسيما وأن توجهاتهم نحو الوحدة العربية كانت ضعيفة وكانوا يؤمنون بمبدأ العراق للعراقيين .

وقد استقالت وزارة حكمت وشكلت وزارة جميل المدفعى ثم جاءت بعدها وزارة نورى السعيد فى الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١٩٣٨ .

**أوضاع العراق الخارجية :**

أما الأوضاع الخارجية للعراق فى عهد الملك غازى فقد شهدت بعض التحركات الودية مع الجيران حين جرى تحسين العلاقات مع إيران وتوقيع معاهدة تقسيم شط العرب بينهما ، وتوقيع معاهدة أخاء وتحالف مع المملكة العربية السعودية ( ١٩٣٦ - ١٩٣٧ ) وكذلك مع اليمن .

ونظراً لتطورات الأحداث العالمية فى دول المحور ولا سيما من جانب موسولينى وإقدامه فى الهجوم على الحبشه ، فقد شعرت تركيا بضرورة تكوين جبهة من دول المنطقة تقف أمام أطماع موسولينى فجرى توقيع إتفاق ( سعد آباد ) عام ١٩٣٧ بين كل من تركيا والعراق وإيران وافغانستان ، ومن خلاله تعهدت هذه الدول بالامتناع عن التدخل فى الشئون الداخلية لكل واحدة منها ،وعدم اللجوء إلى الأساليب العدوانية ضد بعضها البعض بالإضافة إلى إحترام الحدود فيما بينها .

ويبدو أن العلاقات مع الكويت فى ذلك الوقت قد شابها شئ من التوتر ؛ فقد كان للملك غازى طموح شخصى فى التوسع السياسى ، وهذا

كان يغذيه شعور الملك بدور قومي عربي ، بالإضافة إلى تطلعات العراق التقليدية نحو الخليج لتنمية مصالحه الاقتصادية والسياسية ، كذلك فقد برزت أسباب أخرى تمثلت في المشكلات التي كانت قائمة بين العراق والكويت حول ممتلكات شيخ الكويت من أراضي وبساتين في جنوبي العراق.

ولم تكن بريطانيا لتقبل هذه الأطماع من جانب الملك غازي تجاه الكويت ، بالإضافة إلى العلاقة السيئة بين الملك والسلطات البريطانية لاسيما وأن هذه الأطماع سوف يكون لها مردود سئ في دول الخليج العربي وخاصة المملكة السعودية الأمر الذي أدى وقوف الملك عبد العزيز عسكريا مع شيخ الكويت . وكانت بريطانيا تحاول - إزاء ذلك كله - التخلص من الملك غازي إلى أن لقي مصرعه في حادث سيارة في الثالث من أبريل عام ١٩٣٩ .

فيصل الثاني ملكا : ( ١٩٣٩ - ١٩٥٨ )

يمكن تقسيم فترة حكم الملك فيصل الثاني إلى فترتين :

الأولى : منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٥٣ وخضع خلالها لوصاية خاله الأمير عبد الإله ونوري السعيد ، والثانية منذ عام ١٩٥٣ حين بلغ سن الرشد وحتى عام ١٩٥٨ .

وقد ظل الأمير عبد الإله ونوري السعيد ينفذان النصائح البريطانية بكل دقة ، وحين إندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ قطعت الحكومة العراقية علاقتها السياسية مع المانيا وضيقت على الرعايا الألمان في العراق رغم المعارضة الشديدة في البلاد لتلك الإجراءات لا سيما من جانب فريق الوطنيين وعلى رأسهم رشيد عالي الكيلاني الذي خلف نوري السعيد في رئاسة الوزارة.

إنقسم العراقيون خلال الحرب العالمية الثانية إلى قسمين : الأول :

بزعامة الوصى عبد الإله ونورى السعيد تدعمهم بريطانيا . والقسم الآخر من الثوار الوطنيين وكانوا يضمون أيضا أولئك الضباط الذين أطلق عليهم المربع الذهبى وهم العقداء : صلاح الدين الصباغ ، وفهمى سعيد ومحمود سليمان وكامل شبيب ، وكان لديهم طموح كبير بإمكان تحرير العراق وفلسطين أيضا. وقد رفضت وزارة الكيلانى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيطاليا مما إضطر بريطانيا إلى تغيير وزارته عام ١٩٤١ وجئ بوزارة طه الهاشمى التى قررت إقصاء الضباط المعروفين بالمربع الذهبى فرفضوا وتحركت قواتهم فى ابريل عام ١٩٤١ الأمر الذى اضطر رئيس الوزارة على الاستقاله وهروب الوصى على العرش ولحق به نورى السعيد إلى شرقى الأردن .

ولما كان هذا الانقلاب يعد تحديا لهيبة بريطانيا وحلفائها فى الشرق الأوسط لذلك فقد سعت – تساندها الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك – لاستعادة سلطة الوصى والقضاء على حركة رشيد عالى الكيلانى ، واقترح السفير البريطانى فى العراق ان تطلب بريطانيا مرور قواتها عبر العراق لاختيار مدى إحترام رشيد عالى الكيلانى لمعاهدة ١٩٣٠ ، فوافق لكنه طلب سرعة تحركها إلى وجهتها الأخيرة بالإضافة إلى مطالب أخرى رفضتها بريطانيا ، فبدأت الحرب بين بريطانيا والعراق فى الثانى من مايو عام ١٩٤١ حين فتح البريطانيون النار على العراقيين من قاعدة الحبانية . .وأثناء ذلك طلب العراق اعادة العلاقات مع المانيا وكان العراقيون يأملون فى وصول مساعدات حربية لهم من المانيا الا أنها لم تصل بسرعة بينما توالت النجدات البريطانية إلى العراق عن طريق البصرة وفلسطين والأردن ، وظلت المعارك طوال شهر كامل لينتصر الجيش البريطاني ويعود الوصى عبد الإله ويهرب الكيلانى وأعوانه إلى المانيا ، وتشكلت وزارة جديدة بزعامة نورى السعيد عملت على تتبع العناصر الوطنية واعدامهم ، وفى ذات الوقت عادت بريطانيا إلى

السيطرة والتدخل فى شئون البلاد لمساعدة عملائها وعلى رأسهم نورى السعيد ..

***العراق فى اعقاب الحرب العالمية الثانية :-***

شهدت السنوات التى تلت الحرب العالمية الثانية فى العراق بعد عودة الوصى ونورى السعيد توالى عدد كثير من الوزارات ، كما شهدت تخفيف قبضة بريطانيا وأعوانها فى العراق على الشعب ومنحه نوعا من الحرية . ففى عام ١٩٤٦ طلب رئيس الوزراء توفيق السويدى من بريطانيا إعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٠ لا سيما وان مصر فى ذلك الوقت كانت تجتاحها حركة مفاوضات مع بريطانيا لإعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ . وتمشيا مع هذه السياسة الجديدة نحو اطلاق الحريات أعلن الوصى عبد الإله السماح بتأليف الأحزاب والجمعيات السياسية . ومن أهم الأحزاب التى برزت إلى الساحة السياسية حزب الإستقلال ، وحزب الأحرار ، والحزب الوطنى الديمقراطى ، وحزب الشعب ، وحزب الاتحاد الوطنى . وقد تنوعت أهداف هذه الأحزاب وتوجهاتها ما بين التأكيد على الاصلاحات الزراعية والاهتمام بالعمال ، والدعوة إلى الوحدة العربية .

وفى عام ١٩٤٧ زار الأمير عبد الإله الوصى بريطانيا - بعد أن سحبت الأخيرة قواتها من العراق وأبقت وحدات جوية وفقاً لمعاهدة ١٩٣٠ فى الحبانية والشعيبة - وجرت مباحثات بين الطرفين مثل العراق فيها صالح جبر وزير الخارجية ، ومثل الجانب البريطانى فيها بيفن Bevin ، وقد توجت هذه المباحثات بمعاهدة جبر / بيفن فى يناير عام ١٩٤٨ والتى تسمى أيضا . بمعاهدة بورت سموث .

نصت هذه المعاهدة على إقامة تحالف دفاعى بين بريطانيا والعراق فى حالة تعرض أى منهما للخطر ، والغاء المعاهدات السابقة وموافقة العراق على منح بريطانيا تسهيلات للقوات البريطانيه على أرضه ، وإقامة قواعد جوية للحفاظ على الأمن الدولى مع قيام العراق بالإتفاق على

القوات المرابطة فى الحبانية والشعيبة.

لم يتقبل الشعب العراقى هذه الإتفاقية ، وقامت المظاهرة فى البلاد الأمر الذى أدى إلى أن يصدر الأمير عبد الإله بياناً بالغاء المعاهدة .

شارك الجيش العراقى فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ مع القوات الأردنية ، لكن يبدو ان هذه الحرب كان لها تأثير سئ على ظروف العراق المالية حين انقطع تدفق البترول من كركوك عبر الأنابيب إلى حيفا التى وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية مما أدى إلى خسارة مالية كبيرة للعراق .

**حلف بغداد عام ١٩٥٥:**

إذا كانت الحرب العالمية الثانية بين دول الحلفاء ودول المحور والتى إستخدمت فيها الأسلحة العسكرية بكافة أنواعها قد أنتهت فعلا فى عام ١٩٤٥ ، فإنه قد فتحت صفحة جديدة لنوع جديد من الحروب أطلق عليها ( الحرب البارِدة ) وكان طرفا هذه الحرب كلاً من الاتحاد السوفيتى باعتباره زعيماً للمعسكر الشرقى ، والولايات المتحدة الأمريكية باعتباره زعيماً للمعسكر الغربى ، ومن ثم راح كل طرف منهما يحيط نفسه بسياج من الأنصار والأحلاف السياسية والعسكرية . وفى إطار هذه الإستراتيجية جرى التفكير من جانب المعسكر الغربى فى إنشاء حلف يقف فى مواجهة المد الشيوعى فى منطقة الشرق الأوسط من تركيا وحتى باكستان .

وإذا كانت أكثر البلدان العربية – وعلى رأسها مصر– قد رفضت الإنضواء فى مثل هذه الأحلاف فإن نورى السعيد قد وافق على الدخول مع المعسكر الغربى فى تحالف سياسى عسكرى ربما على أساس أن ذلك سوف يخلص العراق من معاهدته الثنائية مع بريطانيا والتى سوف ينتهى أجلها عام ١٩٥٧ ، ويحل محلها نظام أمن جماعى يرضى عنه الشعب ويكون بديلا للنظام الثنائى مع بريطانيا (١) .

---

(١) محمود ملمى : المرجع السابق ص ١٤١

مضى نورى السعيد نحو هدفه فعقد ميثاقاً عسكريا مع تركيا فى فبراير عام ١٩٥٥ ، وفى أبريل إنضمت بريطانيا إلى الميثاق العراقى التركى، وانضمت إيران فى اكتوبر من نفس العام . ورغم ان الحلف تم بمباركة الولايات المتحدة الإمريكية فانها تريثت فى الانضمام رسمياً ثم انضمت باكستان فى أكتوبر من نفس العام . وجرى عقد أول إجتماع للحلف فى نوفمبر عام ١٩٥٥ فى بغداد .

لم يكن الشعب العراقى راضياً عن الانضمام لهذا الحلف واشتدت المعارضة العراقية إزاءه ، كما أن الرأى العام العربى قد أدان بشدة التواطؤ الجديد بين نورى السعيد وبريطانيا وتركيا واعتبره بمثابة خيانة لمصالح الشعوب العربية وتهديد لأمنها . وقد أستغل نورى السعيد هذه المعارضة العراقية فنكل بالوطنيين وخصومه السياسيين تحت ستار مكافحة الشيوعية . ويمكن القول بأن ثورة ١٤ يوليو (تموز) عام ١٩٥٨ فى العراق التى قادها عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف كانت واحدة من النتائج الهامة لحلف بغداد .

# ثانيا: سوريا

مر بنا فى معرض حديثنا عن الثورة العربية الكبرى وتطورات أحداث الحرب العالمية الأولى وما أنتهت إليه فى منطقة الشرق العربى كيف وقف الأحرار العرب فى سوريا لمناصرة الشريف حسين والحلفاء ضد الدولة العثمانية ودخول جيوش الأمير فيصل دمشق عام ١٩١٨، ثم ما أنتهت اليه لأحداث فى ميسلون ومغادرة فيصل دمشق فى ٢٤ يوليه عام ١٩٢٠ وسيطرة القوات الفرنسية على سوريا .

يمكن تقسيم تاريخ سوريا المعاصر تحت الانتداب الفرنسى إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى ( ١٩٢٠ - ١٩٢٦ ) وكانت تتميز بالعنف الشديد والثورات ، وتولى قادة عسكريين فرنسيين أمثال جورو Gouraud ، وويجان Weygand ، وسرايل Sarrail ) نظرا لطبيعة المرحلة العنيفة التى تقتضى وجودهم . وكما يبدو فإن فرنسا راحت تفرض وصايتها وسيطرتها على سوريا قبل صدور صك الإنتداب بسنتين ، وشرعت فى الغاء صلاحيات الحكومة السورية ، والسيطرة على الجيش ، والأمن العام، والجمارك والشركات ، وخط حديد الحجاز ، كما قامت بفرض اللغة والثقافة الفرنسية داخل الادارات والمحاكم ، وإثارة الفرقة بين الطوائف الدينية ، وربط الإقتصاد السورى بمثيله الفرنسى واستخدام كل وسائل الإرهاب والنفى ، وضرب حركات المقاومة . كذلك فقد جرى تقسيم سوريا وتجزئتها إلى عدة دول :

١- دولة سوريا وعاصمتها دمشق والتى تم الحاق سنجق الإسكندرونه إسميا بها وان تمتع هذا السنجق بادارة ذاتيه .

٢- حلب .

٣- دولة العلويين ، وعاصمتها اللاذقية .

٤- دولة جبل الدروز ، وعاصمتها السويداء .

وكانت فرنسا ترمى من سياسة التجزئة هذه إلى اضعاف وحدة البلاد ليسهل السيطرة عليها ، وكانت تتذرع بأن ذلك استجابة للواقع السكانى بالإدعاء بأن سوريا تحوى عدة شعوب وليس شعباً واحداً .

لم يتقبل الشعب السورى مثل هذه الإجراءات فاندلعت المقاومة المسلحة ضد المستعمر الفرنسى ، ومن أهمها حركة الشيخ صالح العلى (١٩١٩ - ١٩٢١) فى جبل العلويين التى انطلقت منذ احتلال فرنسا للساحل ، وثورة ابراهيم هنانو الذى اتصل بالشيخ صالح العلى وشجعه على ثورته . كذلك فقد اندلعت ثورة فى حوران فى مطلع عام ١٩٢٠ جرى خلالها قتل بعض الجنود السوريين وبعض الوزراء السوريين أمثال الدروبى واليوسف ممن حاولوا إقناع الثوار بقبول الإنتداب الفرنسى . ومن تلك الحوادث العنيفة حادث القنيطرة عام ١٩٢٣ حين هاجم الثوار الجنرال ( جورو ) وحقى العظم حاكم دمشق .

***الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ - ١٩٢٧):***

تعتبر ثورة عام ١٩٢٥ فى سوريا أكبر حركات المقاومة الوطنية السورية المسلحة ضد المستعمر الفرنسى فى هذه المرحلة والتى شملت أجزاء واسعة من سوريا ولبنان ؛ فقد انطلقت الثورة من جبل العرب متجهة شمالاً ولتعم سوريا غربا حتى جبال لبنان ، وشمالاً حتى حماه بزعامة سلطان باشا الأطرش .

ففى عام ١٩٢٥ وصل حاكم فرنسى جديد للبلاد هو الجنرال موريس سراى الذى بدأ عهده بالتودد إلى الزعماء الوطنيين الذين قدموا إليه عدة مطالب تتمثل فى توحيد البلاد السورية ، والدعوة إلى وضع دستور للبلاد ، وضرورة أن تكون الحكومة مسئولة أمام البرلمان بدلا من المندوب السامى وإلغاء المحاكم الأجنبية وغيرها من المطالب .

وإذا كانت هذه المطالب تعتبر بمثابة دوافع أساسية للثورة فإن الدافع المباشر لها كان يتمثل في الخلاف الذى دار بين الدروز والفرنسيين حول تعيين حاكم الجبل . فحينما أقام الفرنسيون دولة جبل الدروز تركوا الأمير سليم الأطرش يتولى حكم الجبل وفقا للإتفاقية التى أبرمها كاترو مع زعماء الجبل فى مارس ١٩٢١ إلا أنه بوفاة سليم باشا الأطرش نقض الفرنسيون هذا الأتفاق وعينوا حاكما فرنسيا بدلا منه . وقام الحاكم الفرنسى بإساءة معاملة سكان الجبل الذين رفضوا أوامره وطلبوا مقابلة الجنرال ( سراى ) لتنفيذ الاتفاق السابق أو إستبدال كاربيه فلم يقابلهم بترحاب بل عنفهم ورفض مطالبهم وقبض عليهم كرهائن عدا سلطان باشا الأطرش الذى لم يقبل من الأساس دعوة المفوض الفرنسى . ومن المعارك التى حدثت موقعة المزرعة التى هزمت فيها القوات الفرنسية. وحين انتشرت الثورة فى البلاد أطلق الفرنسيون مدافعهم على دمشق ، وأمطروها بقنابلهم طيلة أيام ثلاثة .

إستاء العالم لهذه الفظائع الفرنسية ضد السوريين وتحرك الرأى العام العالمى إزاءها ، بالإضافة إلى عصبة الأمم ولجنة الانتدابات ، فما كان من فرنسا إلا أن تستدعى مفوضها السامى العسكرى ( سراى ) وتعين مكانه مفوضا مدنيا يدعى (دوجوفنيل) لتهدئة الخواطر ووقف الثورة ، وطلبت إليه التفاوض مع الوطنيين ، فدعا إلى انتخابات نيابية إلا أن هذه الانتخابات قوطعت بسبب التدخل . كما حاول لإرضاء الشعب فألف حكومة جديدة ضمت بعض الوطنيين ، لكن حكومة بلاده لم توافق على تحقيق برنامجه فاستقال .

*المرحلة الثانية (١٩٢٦ - ١٩٣٦):*

إذا كانت المرحلة السابقة قد اتسمت بطابع عسكرى من خلال الثورات المسلحة التى جرت فى البلاد ومن خلال المواجهة الفرنسية الحادة من خلال جنرالاتها العسكريين ، فقد اتسمت المرحلة الثانية بتعيين

مفوضين ساميين مدنيين ، وإجراء مفاوضات سياسية بين الطرفين السورى و الفرنسى كانت بمثابة بديل للغة السلاح والاستبداد .

وفى اعقاب إستقالة دوجوفنيل عينت فرنسا ( هنرى بونسو ) poncot مفوضا ساميا على كل من سوريا ولبنان فى أغسطس عام ١٩٢٦ وحاول التقرب من الزعماء السوريين ، والغى الأحكام العرفية ، وقام بتعيين حكومة مؤقتة برئاسة الشيخ تاج الدين الحسنى فى عام ١٩٢٨ للإشراف على الانتخابات لقيام جمعيه تأسيسية تضع دستوراً للبلاد ، وأسفرت الأنتخابات عن فوز الوطنيين الذين انتخبوا هاشم الأتاسى رئيسا للجمعيه التى انتخبت لجنة لاعداد الدستور برئاسة ابراهيم هنانو ، فقامت اللجنة بعملها وصاغت الدستور الذى حوى خمس عشرة مادة تنص على وحدة سوريا ، ونظام حكمها الجمهورى النيابى ، وأن تكون السلطة التشريعية فيها من مجلس واحد ، وأما السلطة التنفيذية فتكون فى يد رئيس الجمهورية ، إلا أن فرنسا لم تقبل هذه المواد فطلب المندوب السامى إلغاء ست مواد من الدستور كانت تتعلق بالوحدة السورية والتمثيل الخارجى والجيش وسلطات رئيس الجمورية فرفضت الجمعية فقام المندوب بتعطيلها إلى أجل غير مسمى .

ظلت الأحوال لمدة أربع سنوات تتسم بالإضطرابات والاحتجاجات إلى ان أجريت الإنتخابات واجتمع المجلس النيابى فى عام ١٩٣٢ وانتخبت محمد على العابد رئيسا للجمهورية . وفى تلك الاثناء عينت فرنسا ( دى مارتيل ) De Martel مفوضاً ساميا جديداً فتقدم بمشروع معاهدة عرضت على المجلس النيابى فرفضها ، واندلعت المظاهرات وجئ بالشيخ تاج الحسنى مرة أخرى رئيسا للوزارة وكان معروفاً بميوله الفرنسية ، وقامت السلطات الفرنسية باعتقال عدد من الزعماء الوطنيين من أعضاء الكتلة الوطنية فاعلن الإضراب العام لمدة ستين يوماً الأمر الذى اضطر الفرنسيين إلى الاعلان عن استعدادهم لإطلاق سراح المعتقلين وإصدار

عفو عام فى حالة إنهاء الإضراب ثم قامت بعزل الشيخ تاج الدين الحسنى. ويطلق البعض على هذه الأعمال إنتفاضة عام ١٩٣٦ .

**المرحلة الثالثة ١٩٣٦ - ١٩٤٦ :**

دخلت فرنسا مع السوريين فى مفاوضات لعقد معاهدة تعترف باستقلال سوريا ، وجرى إرسال وفد إلى باريس برئاسة هاشم الأتاسى ، وظلت المفاوضات طيلة ستة أشهر نظرا للانتخابات النيابية فى فرنسا ، إلى أن أسفرت عن عقد معاهدة بين البلدين فى سبتمبر عام ١٩٣٦ تنص على إنهاء الانتداب ، وقيام تحالف بين فرنسا وسوريا على أساس السيادة والاستقلال مع التشاور فى السياسة الخارجية ، وتولى سوريا مسئولية الأمن فى البلاد ، وقد اعطت المعاهدة لفرنسا تسهيلات فى الطرق والمواصلات . وعلى الرغم من بعض السوءات والتحفظات التى حوتها هذه المعاهدة فقد إرتاضا الشعب السورى ، فا ستقال رئيس الجمهورية محمد على العابد وانتخب فى ديسمبر عام ١٩٣٦ هاشم الأتاسى رئيسا للجمهورية .

ولم تحسم الحكومة الفرنسية موقفها النهائى من المعاهدة الأمر الذى أفضى فى النهاية إلى رفضها لهذه المعاهدة . ويعود هذا الرفض أساساً إلى معارضة الفريق الإستعمارى الذى كان يقود دفة السياسة الفرنسية آنذاك ، فقد تولى رئاسة الوزارة إدوارد دلادييه الذى كان يصرعلى بقاء أقاليم البحر المتوسط ومواصلاتها تحت سيطرة فرنسا ، بالاضافة إلى شعور الفرنسيين بأن هذه المعاهدة سوف تؤثر فى مركز فرنسا فى شمالى إفريقيا. كذلك فإن فرنسا كانت تخشى من قيام سوريا باستعادة الاقاليم التى ضمنتها فرنسا إلى لبنان عشية إعلان الإنتداب ، بالإضافة إلى أنها كانت تريد حماية طرق مواصلاتها إلى الشرق الاقصى ، وتخشى أن تقوم بريطانيا أو أى قوة أخرى فى الإحلال محلها بمجرد تخليها عن سوريا .

وفيما يتعلق بقضية لواء الاسكندرونة فقد تساهلت فرنسا مع تركيا

حين سمحت بإقامة إدارة ذاتية فى اللواء فى أوائل عام ١٩٣٧ . وقد أصدرت فرنسا نظاماً أساسيا له يتضمن إستقلالاً داخلياً تاماً ، أما الشئون الخارجية فكانت تحت إدارة الحكومة السورية . ولما كانت هذه السياسة الخارجية خاضعة لفرنسا فقد أصبح لواء الاسكندرونة منفصلاً عن سوريا . وفى عام ١٩٣٧ أرسلت عصبة الأمم المتحدة لجنة تشرف على الإنتخابات فى اللواء ف فإنحازت فرنسا لصالح تركيا . وجرى الضغط على العناصر غير التركيه لتسجيل أسمائهم كأتراك للتصويت فى الجانب التركى ، كما قامت فرنسا بتهجير عناصر تركيه كانت تسكن بالقرب من اللواء، واستقطبت العناصر الأرمينية وبعض الأقليات الأخرى ، ثم اجريت الانتخابات وجاءت النتيجة لصالح العناصر التركية رغم الاكثرية العربية فانفصل لواء الاسكندرونة عن سوريا ، وأطلق على نفسه إسم جمهوريه (هاتاى) ، ثم انضم إلى تركيا فى عام ١٩٣٩ بموافقة فرنسا .

**سوريا ومعركة الاستقلال :**

لقد كانت الحرب العالمية الثانية نقطة تحول هامة فى حياة سوريا السياسية وتطور تيار الحركة الوطنية فيها . فمن المعلوم أن الألمان خلال هذه الحرب هاجموا فرنسا وحطموا قواتها وأجبروها على الإستسلام فى عام ١٩٤٠، وأقاموا فيها حكومة مواليه لهم بقيادة المرشال (بيتان) الذى وقع معهم ومع الإيطاليين هدنة ، وتشكلت حكومة مواليه للألمان سميت بحكومة فيشى . وفى المقابل شكلت حكومة فرنسية رفضت الخضوع لألمانيا أطلق عليها حكومة فرنسا الحرة بقيادة الجنرال ديجول .

وقد عينت حكومة فيشى مفوضاً جديداً هو الجنرال دانتز Dantz الذى بدأت بريطانيا تنظر إليه على أنه يمثل خطراً على مركزها ومصالحها فى المنطقة ويتيح لألمانيا وإيطاليا السيطرة على سوريا ولبنان ، لذلك كله قررت بريطانيا تخليص سوريا من حكومة فيشى الموالية للألمان، وبالفعل فقد تم ذلك فى صيف عام ١٩٤١ حين احتلت القوات

البريطانية والفرنسية الحرة سوريا دون مقاومة ، ووعدت حكومة فرنسا الحرة من خلال بيان لها اذاعته على لسان مندوبها العام (كاترو) بإنهاء الإنتداب ومنح كل من السوريين واللبنانيين استقلالهم .

ومع كل هذه الوعود من جانب حكومة فرنسا الحرة فقد ظلت تحكم سوريا بالشدة مثلما كانت تفعل حكومة فيشي ، لكنها حاولت إرضاء السوريين حين عهدت إلى كاترو فى اوائل عام ١٩٤٣ بإعادة الحياة الدستورية وإجراء الإنتخابات التى أسفرت عن إختيار شكرى القوتلى رئيساً للجمهورية . وقد حاولت فرنسا ان يكون لها وضع خاص فى سوريا ولبنان- رغم إعتراف بعض الدول كالولايات المتحدة باستقلال سوريا فى أغسطس عام ١٩٤٤ – لكن الحكومة السورية رفضت تماماً أن يكون لفرنسا أى امتيازات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية، وفى ذات الوقت سعت كى تصبح عضواً فى هيئة الأمم المتحدة من خلال حضورها مؤتمر ( سان فرانسيسكو) الذى دعت إليه دول الحلفاء كل الحكومات التى أعلنت الحرب على المحور للحضور تمهيدا لإنضمامها إلى الأمم المتحدة شريطة ان تعلن هذه الحكومات الحرب على دول المحور قبل أول مارس عام ١٩٤٥ ، فأعلنت سوريا الحرب فى فبراير من نفس العام . وأمام تصميم المقاومة السورية والتأييد العالمى من جانب بريطانيا ومجلس الأمن رضخت فرنسا إلى الإنسحاب من سوريا فى إبريل عام ١٩٤٦ .

# ثالثا : لبنان

هناك تشابه كبير جداً فى دراسة الحياة السياسية اللبنانية بمثيلتها السورية ، فقد جمع كلاً من سوريا ولبنان تاريخ مشترك ممتد وتراث اجتماعى متشابه . فهناك تداخل بين الساحل وسوريا الداخلية ربط بينهما النظام القانونى العثمانى منذ القرن السادس عشر وحتى قيام الحرب العالمية الأولى . وأما من الناحية الاجتماعية فقد وجدت طوائف عدة مشتركة بين البلدين بنسب مختلفة إلى أن خضع كلاهما لتجربة الإنتداب الفرنسى فى اعقاب الحرب العالمية الأولى وحكما بواسطة ادارة واحدة .

وليس معنى ذلك أنه لم تكن هناك فروق خاصة لتشكيل حياة سياسية مميزة فى لبنان ، فقد كانت الأوضاع الإجتماعية فى لبنان أكثر تعقيداً ، كما كانت الأوضاع الاقتصادية فى البلدين مختلفة إلى حد ما . وأخيراً فإن رجال الانتداب الفرنسى لم يجابهوا مقاومة لبنانية بشكل قوى كالتى واجهوها فى سوريا .

لقد مر الانتداب الفرنسى للبنان بثلاث مراحل كالتى مرت بها سوريا . أولها من عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٢٦ ، والثانية من عام ١٩٢٦ وحتى عام ١٩٣٦ ، والثالثة إستمرت من عام ١٩٣٦ حتى نشوب الحرب العالمية الثانية .

فى أواخر اغسطس عام ١٩٢٠ أصدرت جورو مرسوماً بإنشاء دولة لبنان الكبير التى تكونت من بيروت والبقاع ومدن طرابلس وصيدا وصور وملحقاتها وضمها إلى متصرفية جبل لبنان . وعلى هذا النحو إزدادت مساحة لبنان فأصبحت ضعفى ما كانت عليه فى زمن المتصرفية . وأصبحت كل من بيروت وطرابلس تتحكمان فى تجارة سوريا ، كما تضاعف عدد السكان ووفد عليهم لاجئو الأرمن ما بين عامى ١٩١٥ ، ١٩٢٢ ، ونتيجة لذلك تقلصت الأكثرية المسيحية ، وفقد الجبل تجانسه مقابل توسيع أراضيه المنتجة ومنافذه البحرية .

ومن المعروف أنه فى ١٢ يوليو عام ١٩٢٠ صدر قرار من جانب جورو بتعيين لجنة إدارية تكونت من سبعة عشر عضوا ، وكانت أعمال هذه اللجنة مؤقتة فاستبدلت بمجلس تمثيلي عام ١٩٢٢ يتكون من ثلاثين نائبا يمثلون المناطق والطوائف المختلفة برئاسة حبيب باشا السعد. وكان قد صدر من قبل قرار بتعيين الكومندان ترابو (Trabaud) حاكماً على لبنان الكبير ، وبقيت السلطة العليا بيد المفوض السامى الذى يحكم في كل من سوريا ولبنان .

وكما سبق القول فقد توالى على سوريا ولبنان ثلاثة مفوضين ساميين فى الفترة من ١٩٢٠ وحتى ١٩٢٦ (جورو - ويجاند - سرايل ) وفى عهدهم سادت الحركات العصيانية فى كل من سوريا ولبنان ، فقد تأثر دروز الشوف بإخوتهم فى حوران وقاوموا المستعمر الفرنسى ، وفى زمن سرايل نشبت ثورة ١٩٢٥ التى سبق الحديث عنها فى كل من سوريا ولبنان والتى امتدت من حوران إلى دمشق . وقد استدعى سرايل نتيجة التنكيل بالثوار وعين (دى جوفنيل) الذى دعا المجلس النيابى إلى العمل على وضع دستور تم إنجازه فى مايو ١٩٢٦ ، وتحول المجلس التمثيلي إلى مجلس تأسيسى ثم إلى مجلس نيابى ، وجاءت خطوة ثانية تمثلت فى إعلان مجلس الشيوخ من جانب المفوض السامى الذى قام بتعيين أعضائه الستة عشر ثم دعا المجلسين معاً (مجلس النواب ومجلس الشيوخ ) لإنتخاب رئيس الجمهورية .

ويبدو أن سلطات الإنتداب الفرنسى كانت قد اعدت سلفاً مرشحها لرئاسة الجمهورية وهو شارل دباس الذى كان يتمتع بالكفاءة والنزاهة والاعتدال ، فقد حاول التخفيف من كراهية بقية الطوائف الموارنة ، كما عرف عنه النزعة الاستقلالية ومقاومة الإتجاه الوحدوى مع سوريا لا سيما وأنه كان معروفاً بكفاحه ضد الدولة العثمانية .

ولا يفهم من هذه التطورات أن الوطنيين اللبنانيين قد سيطروا على مقدرات البلاد ، بل ظلت سلطة المستشارين والمفوض السامى الفرنسى فوق الجميع .

وفي عام ١٩٣٢ أصدر المفوض السامي قراراً بوقف العمل بموجب الدستور وحل المجلس النيابي وإقالة الوزارة وتعيين شارل دباس رئيسا للجمهورية لأجل غير مسمى . ولما استقال دباس في أواخر عام ١٩٣٣ أعلن المفوض السامي تعيين حبيب السعد رئيسا للجمهورية لمدة سنة ثم جدد له سنة أخرى . وفي عام ١٩٣٦ أختير إميل أده من جانب مجلس النواب رئيساً للجمهورية بأغلبية ضئيلة أمام بشارة الخوري .

**معاهدة ١٩٣٦ :**

وعلى غرار المعاهدة السورية وقعت فرنسا مع لبنان معاهدة ١٩٣٦ إستندت على نموذج المعاهدة البريطانية العراقية . ونصت على إقامة معاهدة تحالف وصداقة بين الطرفين لمدة خمسة وعشرين عاماً ، وتقوم فرنسا بمساعده لبنان على دخول عصبة الأمم ، وفي المقابل يسمح لفرنسا بتسهيلات عسكرية بإستخدام قاعدتين جويتين ، والإحتفاظ - لمدة خمس سنوات - بقوات برية في مناطق محدودة ، والإشراف على السياسة الخارجية ، وتمتع السفير الفرنسي في بيروت ودمشق بحق الأسبقية على أقرانه السفراء.

ولم يتم التوقيع على المعاهدة في فرنسا نظراً لتغير الوزارة وعودة الأحزاب اليمينية للحكم التي لم تكن تقبل التنازل عن أي جزء من إمبراطورية فرنسا الإستعمارية .

**لبنان والحرب العالمية الثانية :**

وفي الحادي والعشرين من سبتمبر عام ١٩٣٩ قام المفوض السامي بتعليق الدستور اللبناني وإقالة الحكومة ومجلس النواب وتثبيت إميل أده رئيساً للجمهورية بالتعيين .

وقد مر لبنان بنفس الظروف السياسية التي مرت بها سوريا ، وفي خلالها عين (دانتز) مفوضا عاماً وكان ميالاً لحكومة فيشي الموالية للألمان . وقد تعاونت بريطانيا في تخليص البلاد من هذه الحكومة الموالية في صيف ١٩٤١ *.

---

* انظر فيما سبق ص

لقد كان تعيين دانتز مفوضاً وقائدا عاماً لقوات فيشى فى الشرق مدعاة لتخوف اللبنانيين . فهذا الرجل هو واحد من الذين أساءوا لوفد الدروز حين طلب مقابلة سرايل عام ١٩٢٥ ، وهو أيضا الذى وقع على صك إستسلام باريس للنازيين . فهو يمثل - على حد قول البعض - العداء للبنان ، كما يمثل فى ذات الوقت الهزيمة لفرنسا . وقد إنذر دانتز كل من رفض التعاون مع السلطات الفيشية ، أو أظهر تمرداً . كذلك فقد عمت الإضطرابات وموجات الكيبرون فى كل من دمشق وبيروت . وبعد فترة إستقال الرئيس إميل أده فى ابريل عام ١٩٤١ وقام دانتز بتعيين (الفرد نقاش) رئيسا للدولة . وجاءت البلاد لجنة ألمانية ايطالية تمتعت بنفوذ كبير ، كما لعبت دوراً بارزاً فى مساندة ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق فى الثانى من مايو عام ١٩٤١ ضد البريطانيين . وعلى هذا النحو وضع مطارا (رياق) وحلب تحت إمرة الألمان لمساندة ثورة الكيلانى وإمدادها بالأسلحة مقابل السماح لثمانين ألف فرنسى من الأسرى فى ألمانيا بأن يعودوا إلى بلادهم .

ولم تكن هذه التصرفات من جانب رجال حكومة فيشى تروق لرجال حكومة فرنسا الحرة بزعامة الجنرال ديجول ، فتحرك مندوبها العام (كاترو) الذى وجه نداءات من إذاعة القاهرة داعياً فرنسى الشرق للانضمام إلى صفوف حركة الجنرال ديجول .

وقد اقنع كاترو حلفاءه البريطانيين بتوجيه حملة لتخليص لبنان وسوريا من القوات الفيشية فى يونيه عام ١٩٤١ وقامت طائرات الحلفاء بإلقاء آلاف النسخ من بيان لكاترو يعد فيه بالتحرير والاستقلال . ونجحت الحملة وواصل الديجوليون ممارسة الإنتداب الفرنسى فى البلاد، وجاء ديجول إلى لبنان فى أوائل أغسطس عام ١٩٤١ واتصل بالزعماء الموالين لفرنسا لكنه لم يبت فى الوعود التى أذاعها كاترو بإسمه وترك الأمور لتدبير كاترو الذى حمل لقب المندوب السامى العام . وحاول

كاترو من خلال جولاته فى البلاد التبشير بالإستقلال الذى وصفه بشارة الخورى رئيس الكتله اللبنانية بأنه مزيف .

وفى صيف عام ١٩٤٢ جاء ديجول مرة ثانية إلى لبنان وصرح بأنه « لا يرى مبرراً لاستفتاء الشعوب فى إجراء انتخابات نيابية وقوات رومل على أبواب الاسكندرية تهدد منطقه الشرق الأوسط «وأنه سوف يأتى يوم تزول فيه هذه الموانع » .

وتوالت الأحـداث بعد مـعـركـة العلمين وتأزمت الأمـور وسـارت المظاهرات فأصدر كاترو قراراً بإقالة النقاش ورئيس وزرائه سامى الصلح وتعيين أيوب ثابت رئيساً للدولة فى ١٨ مارس عام ١٩٤٣ لكنه أقيل فخلفه ( بترو طراد ) فى ٢١ يوليو عام ١٩٤٣ ، ثم أنتخبت بشارة الخورى فى ٢١ سيتمبر عام ١٩٤٣ رئيساً للجمهورية فى انتخابات جرت تحت اشراف لبنانى - فـرنسى - بريطانى وكلف رياض الصلح برئاسـة الحكومـة. ثم بدأت معركة الاستقلال إلى ان تم جلاء آخر جندى فرنسى عن لبنان فى الحادى والثلاثين من ديسمبر عام ١٩٤٦ لتصبح دولة مستقلة ذات سيادة كاملة ، تمارس دورها فى كافة الأتجاهات العربية والدولية .

# رابعاً: الأردن

## قيام شرقي الأردن:

كانت الأراضى التى أقيمت عليها إمارة شرقى الأردن قبل عام ١٩١٨ جزءاً من أراضى الدولة العثمانية وتابعة لولاية دمشق. وخلال أحداث الحرب العالمية الأولى فى المشرق العربى جرى إحتلالها من جانب قوات الثورة العربية والقوات البريطانية والتى كان يقودها الأمير فيصل واللنبى . وعقب دخول قوات فيصل سوريا أصبح شرقى الأردن جزءاً من مملكة فيصل التى أقيمت فى سوريا عام ١٩٢٠ .

بعد أن تم القضاء على مملكة فيصل فى دمشق عقب موقعة ميسلون عام ١٩٢٠ توجه الأمير عبد الله أخو الأمير فيصل إلى جنوبى الشام فى منطقة معان فى محاوله منه لتجميع القبائل وتوجيه نداء إلى السوريين للثورة ضد الفرنسيين. والجدير بالذكر أن شرقى الأردن عقب إنتهاء الحرب العالمية الأولى كانت قد أدرجت هى وفلسطين فى صك الإنتداب وجرى وضعهما تحت السيطرة البريطانية بموجب مؤتمر سان ريمو فى أبريل عام ١٩٢٠ الذى صادق عليه مجلس عصبة الأمم فى الرابع والعشرين من يوليه عام ١٩٢٢ .

ما أن شعر البريطانيون بتحرك الأمير عبد الله للثأر لأخيه فيصل حتى قرروا أن يضربوا أكثر من عصفورين بحجر واحد ، فقد كانت الثورة متأججة فى العراق ، والأمير عبد الله يفكر فى إستعادة الشام من فرنسا ، لذلك كله فقد جرى عقد مؤتمر الشرق الأوسط بين القاهرة والقدس فى مارس عام ١٩٢١ تحت رئاسة ونستون تشرشل توصل إلى قرارات تقضى باختيار فيصل ملكاً على العراق وتأسيس حكومة وطنية فى شرقى الأردن برئاسة الأمير عبد الله تكون مستقلة إستقلالاً إداريا تاماً وتساعدها الحكومة البريطانية ماديا، وتسترشد برأى مندوب بريطانى فى عمان ، مع إنشاء قاعدتين جويتين لبريطانيا ، وعدم الإعتداء على الحدود السورية .

وفيما يتعلق بالحدود الجنوبية لإمارة شرقى الأردن طلب الأمير عبدالله من والده الملك حسين أن يوافق على ضم منطقتى ( معان ) و ( العقبة ) إلى شرقى الأردن . ويبدو أن موافقه والده كانت فى بادئ الأمر شفهية ولم تأخذ شكلاً رسميا إلى ان ضم الملك عبد العزيز آل سعود فى عام ١٩٢٤ وكان يريد هو أيضا الإحتفاظ بهاتين المنطقتين باعتبارهما جزءا من الحجاز لكنه وافق فى نهاية الأمر على ضمهما إلى شرقى الأردن وفقاً لمعاهدة جدة مع بريطانيا عام ١٩٢٧ .

**معاهدة ١٩٢٨ :**

سار الأمير عبد الله على نهج أخيه فيصل فى عقد معاهدة مع بريطانيا فى عام ١٩٢٨ والتى حرصت من خلالها على أن تكون مطابقة لبنود الإنتداب ، فقد أعطت المعاهدة لبريطانيا الحق في الإشراف على السياسة الخارجية للإمارة وجعلت من المفوض السامى البريطانى فى القدس مسئولاً عن ذلك ، بالإضافة إلى حق بريطانيا فى الإشراف المالى وحماية الأجانب . أما الجانب العسكرى فقد شغل حيزاً هاماً وكبيراً فى المعاهدة حيث منحت بريطانيا الحق فى إبقاء قواتها المسلحة فى شرقى الأردن ، ومراقبة التشكيلات العسكرية فى الداخل ، كما نصت المعاهدة على تحمل الأمارة نفقات القوات البريطانية المرابطة . وقد التزمت بريطانيا بتقديم معونات مالية للإنفاق على القوات المسلحة ، كما خولت المعاهدة البريطانيين الحق فى شئون القضاء فيما يتعلق بأفراد القوات المسلحة البريطانية والأردنية .

لم يرض الشعب الأردنى عن هذه المعاهدة فاندلعت المظاهرات فى كافة المدن ، وأرسلت برقيات الإحتجاج إلى عمان. وكان حزب الشعب – الذى أسسه فى عام ١٩٢٧ جماعة من مشايخ البدو الذين يتمتعون بنفوذ كبير – قد أعلن أن هذه المعاهدة تعد فى نظره عملاً إجراميا . وفى السادس عشر من أبريل عام ١٩٢٨ جرى إصدار أول دستور لشرقى الأردن ( القانون الأساسى ) ، وتم من خلاله وضع السلطة التشريعية فى

يد الأمير والمجلس التشريعي . ولم يكن الأمير مسئولاً أمام المجلس بل كان بإمكانه حل المجلس التشريعي وإصدار المراسيم .

وفي معرض الحديث عن تطور إمارة شرقي الأردن نشير إلى تشكيل الفيلق العربي في عام ١٩٢٢ والذي تألف من ألف فرد تحت إشراف الجنرال بيك Peake الذي سبق له أن خدم كقائد للهجانة المصرية . وقد ظل بيك طوال سبعة عشر عاماً قائداً للفيلق العربي حتى حل محله ( جلوب ) في عام ١٩٣٩ . وقد حوى هذا الفيلق جنوداً عراقيين وحجازيين وفلسطينيين وسوريين وغيرهم وكان أكثر أفراده من البدو .

ويبدو ان هذا الفيلق العربي من خلال تشكيله وإشراف البريطانيين عليه كان يرمى إلى تحقيق أطماع السياسة البريطانية في المشرق العربي . ففي عام ١٩٤١ تم الإستعانة بهذا الفيلق في قمع ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ، كما أستخدم في إنتزاع الشام من حكومة فيشي . كذلك فقد أرسل هذا الفيلق إلى سيناء وشمالي افريقيا عام ١٩٤٢ حين اقتربت قوات رومل من العلمين .

وإلى جانب هذا الفيلق العربي وجدت قوة عسكرية أخرى في إمارة شرقي الأردن عرفت بإسم قوة حدود شرقي الأردن تشكلت عقب معاهدة ١٩٢٨ وشاركت مع هذا الفيلق في تنفيذ المخططات العسكرية البريطانية في المنطقة .

وخلال الحرب العالمية الثانية إتصلت المعارضة الأردنية بدول المحور في محاولة للخلاص من السيطرة البريطانية . كذلك فقد وعدت بريطانيا الأردن بمنحه الإستقلال عقب إنتهاء الحرب خاصة وأن الأمير عبد الله قد أبدى إخلاصه في القضاء على ثورة الكيلاني وانتزاع الشام من حكومة فيشي .

**معاهدة عام ١٩٤٦ :**

وفى مارس عام ١٩٤٦ جرى توقيع معاهدة بريطانية أردنية فى لندن شبيهة بمعاهدة عام ١٩٣٠ مع العراق إعترفت من خلالها بريطانيا بشرقى الأردن كدولة مستقلة ، ووافقت على تبادل التمثيل الدبلوماسى مع الوعد بتقديم مساعدة مالية للفيلق العربى والدفاع عن الإمارة ضد أى تهديد خارجى . وقد وافق الأردن على حق بريطانيا فى إبقاء قوات بريطانية على الأراضى الأردنية مع الحصول على التسهيلات اللازمة فى المواصلات عبر أراضيه والقيام بتدريب القوات الأردنية المسلحة . وفى مايو عام ١٩٤٦ أعلن قيام المملكة الأردنية الهاشمية .

ولم يكن جميع الأردنيين راضيين عن هذه المعاهدة فراحوا يطالبون بتعديلها ، كما كانت كل من سوريا ولبنان غير راضية أيضاً عنها ، بالإضافة إلى عدد من الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة . وقد إنعكس كل ذلك فى رفض طلب الأردن الإنضمام لعضوية الأمم المتحدة . وأمام ذلك كله قامت بريطانيا بتعديل معاهدة عام ١٩٤٦ فعقدت معاهدة فى مارس عام ١٩٤٨ قبل شهرين من إنتهاء الإنتداب البريطانى على فلسطين . وقد حصلت بريطانيا من خلال هذه المعاهدة على تملك قاعدتين جويتين فى الأردن ، وإنشاء مكتب دفاع بريطانى مشترك لحل المشكلات المتعلقة بالأمن الخارجى للأردن .

وعلى الرغم من أن هذه المعاهدة الجديدة قد خففت من قبضة بريطانيا على شرقى الأردن إلا أن النفوذ البريطانى ظل قويا نظراً للبنود العسكرية التى حوتها المعاهدة وجعلت الأردن يدور فى فلك الإستعمار البريطانى .

وفى معرض الحديث عن التطورات السياسية للأردن نشير إلى بعض المشاريع الوحدوية الهاشمية فى كل من الأردن والعراق ، فقد كان الأمير عبد الله يفكر فى مشروع سوريا الكبرى الذى يرمى إلى تجميع كل من سوريا ولبنان وفلسطين والأردن فى دولة واحدة تكون الأردن نواة

لها، كما كان العراقيون أيضا لهم مشروع خاص أطلق عليه مشروع الهلال الخصب Fertile Crescent وذلك بضم الشام إلى العراق الذى كان يحكمه فرع هاشمى آنذاك .

وقد لاقى مشروع سوريا الكبرى الذى دعا إليه الأمير عبد الله معارضة من جانب السوريين الذين كانوا يفضلون ان يكونوا هم نواة تجمع وحدوى وليس شرقى الأردن الضعيف سياسيا واقتصاديا ، كما كان السوريون أيضا يحبذون النظام الجمهورى وليس الملكى . كذلك فقد عارضه قطاع واسع من الفلسطينيين بقيادة أمين الحسينى مفتى القدس لأن تحقيق مثل هذا المشروع سوف يأتى على حسابهم ، لأنه يعنى التفاهم مع بريطانيا . ولم يقبل آل سعود هذا المشروع لأنهم رأوا فيه التفافاً أو تطويقا لهم من الشمال ، إضافة إلى رفض مصر له التى كانت ترى أنها الأجدر بتزعم العالم العربى بما تملكه من كثافة بشرية وقطاع عريض من المثقفين .

حاول الأمير عبد الله فى معرض الأحداث التى مرت بها فلسطين والمنطقة أن ينفذ مشروعه لكنه لم يستطع لمعارضة كثير من الدول العربية فى المشرق العربى . ففى حرب عام ١٩٤٨ فى فلسطين تولى عبد الله قيادة الجيوش العربية بناءً على طلبه ، وكانت القوات الأردنية خلال هذه الحرب تتمثل فى الفيلق العربى الذى حوى ضباطاً بريطانيين على رأسهم جلوب الذى تسبب فى تسليم كل من اللد والرملة لليهود فاتهم الفيلق بالخيانة . ورغم كل ذلك فقد خرج الأردن من هذه الحرب بمطالب تمثلت فى ضم معظم الأراضى التى كانت قد خصصت للدولة العربية فى مشروع التقسيم الذى قررته الأمم المتحدة ، بالإضافة إلى القدس القديمة . وفى ديسمبر عام ١٩٤٨ عقد مؤتمر فى ( أريحا ) دعا إلى ضم الجزء العربى من فلسطين إلى الأردن فوافق البرلمان الأردنى على قرارات هذا المؤتمر وأعلن الملك عبد الله رسميا فى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٤٩ حل البرلمان الأردن وإجراء إنتخابات فى كل من الضفة الشرقية والضفة الغربية لنهر الأردن لبرلمان جديد . وفى ٢٤ ابريل عام ١٩٥٠ أصدر

مجلسا البرلمان الأردني قراراً بوحدة الضفتين مع الإحتفاظ بحقوق عرب فلسطين كاملة .

عارضت أكثر الدول العربية هذا الإجراء وطالبت بطرد الأردن من الجامعة العربية ، إلا أنه تم التوصل إلى حل يقضي بتعهد الأردن بأن ضم الضفة الغربية إجراء مؤقت حتى تتم التسوية النهائية للقضية الفلسطينية . وفي ٢٠ يوليه عام ١٩٥١ جرى إغتيال الملك عبد الله عند المسجد العمري بالقدس .

تولى طلال الحكم خلفا لوالده لكنه لم يمكث في الحكم سوى ثلاثة أشهر قام خلالها بأعمال جليلة للمملكة ، فحاول أن يتخلى عن الأسلوب الذي سار عليه والده ، فأعلن رفضه لفرض أي شكل وحدوي ، كما قام بزيارة الرياض لازالة أية رواسب في العلاقات مع الدولة السعودية . وفي المجال الداخلي أطلق حرية الشعب واعتبره مصدراً للسلطة ، إلا انه لم تطل مدة حكمه كثيراً ، فاستبعد عن العرش بزعم إصابته بمرض نفسي ، وجرى نفيه إلى استانبول وظل بها حتى وفاته . وتشير بعض المصادر إلى مسئولية بريطانيا في عزله الذي جرى في الحادي عشر من أغسطس عام ١٩٥٢ ليخلفه ابنه الحسين .

# الفصل الثالث

## فلسطين من الانتداب إلى قيام إسرائيل

**فلسطين تحت الإنتداب :**

وفى اعقاب إستيلاء اللنبى على بيت المقدس فى السابع من ديسمبر عام ١٩١٧ واحتلال فلسطين كلها فى سبتمبر عام ١٩١٨ دخلت البلاد تحت إدارة عسكرية عرفت باسم « الإدارة الجنوبية لبلاد العدو المحتلة » وأعلن البريطانيون انها أجراءات مؤقتة تنتهى بانعقاد مؤتمر الصلح، إلا أن مؤتمر سان ريمو الذى عقد فى إيطاليا فى الخامس والعشرين من أبريل عام ١٩٢٠ وافق على تعيين بريطانيا دولة منتدبة على فلسطين قبل أن يتم إعلان صك الإنتداب رسميا من جانب عصبة الأمم فى ٢٤ يوليه عام ١٩٢٢، واعلنت بريطانيا إنتهاء الحكم العسكرى واستبداله بحكم مدنى، وعينت أول مندوب سام لها فى فلسطين يدعى السير هربرت صموئيل Herbert Samuel.

وقد جاء صك الإنتداب محققاً لمطلب هام من مطالب الصهيونية حين نص فى مادته الثانية على مسئولية الدولة المنتدبة فى وضع البلاد فى أحوال سياسية وإدارية لضمان إنشاء وطن قومى لليهود .كذلك فقد اعترف فى المادة الرابعة بدور كل من الوكالة اليهودية والجمعية الصهيونية فى إبداء المشورة لإدارة فلسطين والتعاون معها فى الشئون الإقتصادية والإجتماعية واتخاذ التدابير اللازمة فى الحصول على معونة اليهود لأنشاء وطن لهم، كما اعترف صك الإنتداب فى مادته السادسة على أن تقوم إدارة فلسطين بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين . وفى المادة الثانية والعشرين تقرر ان تكون الانجليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية لفلسطين [1] .

لقد جاء صك الإنتداب متحيزا إلى أبعد حد نحو اليهود، فجاءت بنوده الثمانية والعشرون لترسم تحقيق أحلام الصهيونية فى فلسطين، فلم

---

(١) عادل غنيم : المرجع السابق . ص ١٢٦ .

يرد فيها ذكر للعرب الا عند الإشارة إلى أن اللغة العربية هى واحدة من اللغات الرسمية الثلاث، والتلميح بكلمات غامضة إلى « السكان الأخرين » بفلسطين، ويقصد بهم العرب فى حين كان العرب آنذاك يمثلون اكثر من تسعين فى المائه من سكان فلسطين . لذلك كله جاء هذا الصك مخيباً لآمال الفلسطينيين فقرروا الإضراب فى ١٣ و ١٤ يوليه احتجاجاً على مشروع الإنتداب، وراحوا يخاطبون كل الجهات الرسمية وغير الرسمية ويرسلون البرقيات إلى ملوك المسلمين يطلبون إليهم الإحتجاج على صك الإنتداب، لكن أحداً لم يعرهم آذاناً صاغية ويتبنى قضيتهم [1] .

لقد قامت الإدارة البريطانية بعملية تهديد واسعة لفلسطين على يد هربرت صموئيل فى كافة المجالات الإدارية والاقتصادية والثقافية والسكانية، فراح يعين اليهود على رأس الإدارات الحكومية وحتى كبار رجال الإدارة البريطانين فى فلسطين كانوا من ذوى الميول الصهيونية، ووضعت إدارة التشريع وإدارتا الهجرة والتجارة فى أيدى الصهيونية، وحصل اليهود على استقلال فى إدارة مدارسهم واشرك صموئيل هربرت معه اللجنة الصهيونية التنفيذية فى إدارة شئون اليهود، وظلت شئون العرب تحت رحمة اليهود والبريطانيين . وساعد صموئيل على نقل الملكية الأراضى إلى اليهود ومنظماتهم . وفى المقابل أصدر قوانيين بالحجز على أراضى العرب . كذلك فقد قامت الإدارة البريطانية بمنح الامتيازات لبعض الشركات اليهودية كشركة روتنبرج التى قامت باستغلال نهر الاردن وروافده وخاصة اليرموك فى توليد الطاقة الكهربائية وتوزيعها فى أرجاء فلسطين وشرقي الأردن، كما قامت نفس الشركة باستخراج الملح من البحر الميت لمدة طويلة من الزمن .

---

(١) عادل غنيم : المرجع السابق . ص ١٢٧ .

أما مسألة الهجرة فقد قام صموئيل بفتح أبواب الهجرة أمام اليهود من كل أنحاء العالم فى محاولة لإيجاد أغلبية يهودية أمام عرب فلسطين تمكنهم من تحقيق حكم الوطن القومى اليهودى .

لم يتقبل الفلسطينيون هذه السياسة التى سارت عليها الإدارة البريطانية فى فلسطين والتى بدت واضحة فى تمكين اليهود من السيطرة على البلاد مما أدى إلى نشوب ثورة فى عام ١٩٢٠ أفضت إلى تكوين لجنة تحقيق عسكرية قامت بوضع تقرير أدان سياسة بريطانيا فى فلسطين . وفى مارس عام ١٩٢١ قامت ثورة فى يافا ضد اليهود والمستعمرات اليهودية واجهتها السلطات البريطانية بالعنف وتكونت لجنه تسمى بلجنه مايكرافت Maycraft لدراسة أسباب الاضطرابات التى ارجعتها إلى مساندة بريطانيا للصهيونية وعقب ذلك أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الإبيض لعام ١٩٢٢ أعلنت فيه إستمرارها فى تنفيذ سياسة الإنتداب والهجرة وطمأنت العرب بأن إقامة الوطن القومى اليهودى لا يعنى وضع فلسطين بكاملها تحت السيطرة اليهودية أو القضاء على الشعب العربى فى فلسطين، وانها بسبيل منح فلسطين شكلاً من أشكال الحكم الذاتى ودستوراً وانشاء مجلس تشريعى .

إضطرابات عام ١٩٢٩ في فلسطين :

فى عام ١٩٢٩ وقعت إضرابات وحوادث عرفت عند العرب باسم ( حادث البراق ) ، وعند اليهود باسم ( حادث المبكى ) . واستمرت هذه الإضطرابات أسبوعين كاملين عمت فيها جميع أرجاء البلاد فى المدن الرئيسية وكثير من القرى ؛ فلم تكن كسابقتها متمركزة فى بعض المدن كالتى حدثت فى القدس عام ١٩٢٠ ويافا عام ١٩٢١ .

ويحد حائط البراق الحرم الشريف من الغرب وهو المكان الذى يعتقد المسلمون أن النبى محمداً ( ص) قد عرج منه إلى السماء ليلة الاسراء وأن

البراق ربط فى الغرفة التى يدخل جزء منها فى الحائط الغربى . وحائط البراق هو فى ذات الوقت حائط المبكى عند اليهود وآخر آثار هيكل سليمان الذى دمره الرومان .

وبالرغم من أن هذا الحائط ملكية إسلامية فقد سمحت السلطات الإسلامية لليهود بزيارته والبقاء عند الرصيف الضيق أسفل الحائط، لكنها لم تقبل أن توضع أية مقاعد أو مناضد أو ستائر [١] .

وفى ١٥ أغسطس من نفس العام والذى وافق عيد الغفران عند اليهود خرج عدد من شباب اليهود من تل أبيب وتوجهوا إلى القدس للقيام بمظاهرة ومروا على دوائر الحكومة ثم اتجهوا إلى الحائط . وقد خالفوا أوامر السلطات التى حذرتهم من التظاهر أو رفع الأعلام أو السير على هيئة موكب عسكرى وترديد الأناشيد .

أثارت هذه المظاهرة وما صحبها من استفزازات مشاعر المسلمين فخرجوا فى اليوم التالى – وهو يوم جمعة ويوافق ذكرى المولد النبوى الشريف – فى مظاهرة من المسجد الأقصى تخللتها بعض الخطب وقلبت منضدة الشماس اليهودى وأحرقت بعض الكتب والصحائف الدينية لليهود.

وحين جرت هذه الإضطرابات عاد المندوب السامى البريطانى من إجازته إلى فلسطين ووزع منشوراً عاجلاً يبدو أنه لم يدرس بعناية حمل من خلاله العرب مسئولية هذه الاضطرابات وقام بتأجيل المباحثات المتعلقة ببعض التغييرات الدستورية فى البلاد . ولم ترحب اللجنة التنفيذية العربية بهذا المنشور، وأرسلت مذكرة إلى المندوب السامى استنكرت من خلالها هذا المنشور، كما احتجت ضده أغلب الهيئات الوطنية الأمر الذى دعا المندوب السامى البريطانى فى ٤ سبتمبر عام ١٩٢٩ إلى إصدر منشور ثان تراجع من خلاله عن المنشور الأول .

---

(١) عادل غنيم : المرجع السابق . ص ١٨٩ – ١٩٠ .

وبعد مضى أسبوعين من الإضطرابات قام اللورد باسفيلد وزير المستعمرات البريطانى بتعيين لجنة عرفت باسم لجنة شو Shaw للتحقيق فى الأسباب التى أدت إلى هذه الإضطرابات . وبالفعل وصلت هذه اللجنة إلى فلسطين فى الرابع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٢٩ وظلت تؤدى مهمتها حتى السادس والعشرين من ديسمبر عقدت خلالها كثيراً من الجلسات العلنية والسرية .

إن الأسباب التى أدت إلى هذه الإضطرابات – فى نظر اللجنة – كانت تعود إلى المظاهرة التى قام بها الشبان اليهود فى الخامس عشر من أغسطس، وإلى أعمال جمعية حراسة الأماكن الإسلامية المقدسة وإلى أعمال لجنة الدفاع عن حائط المبكى اليهودى . وبالإضافة إلى ذلك اشارت اللجنة إلى الحرية التى منحت لبعض الصحف فى فلسطين عبرية كانت أم عربية، وإلى تحريض بعض الفئات غير المستنيرة من العرب .

وإضافة إلى ما سبق هناك عوامل ثانوية أدت إلى هذه الإضطرابات تمثلت فى نشاط الوكالة اليهودية، وضعف القوة العسكرية الموجودة فى فلسطين [١] . وقد أصدرت اللجنة عدة توصيات تمثلت فى ضرورة أن تصدر الحكومة البريطانية تصريحاً عن سياستها لتفسير الفقرة التى وردت فى صك الإنتداب المتعلقة بحقوق الطوائف غير اليهودية، وأن تصدر الحكومة تصريحاً واضحاً بشأن هجرة اليهود، وتقدم متخصصين حول الزراعة والأراضى السكنية، وتعلن بأن الهيئة غير مؤهلة للمشاركة فى حكومة فلسطين[٢] .

وفى أكتوبر عام ١٩٣٠ أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض الثانى الذى عرف باسم كتاب باسفيلد Pass field وزير المستعمرات البريطانى نص على الآتى :

---

(١) عادل غنيم : المرجع السابق . ص ٢٠١ – ٢٠٣ .
(٢) نفس المرجع . ص ٢٠١ .

١- عدم زيادة عدد السكان اليهود فى فلسطين عن سعتها الاقتصادية .

٢- انه لا توجد أراضى حرة خالية فى فلسطين للإستيطان اليهودى، ولا يمكن أن يتم استيطان لاحقاً إلا من خلال الأراضى الموجودة فى حوزة المنظمات الصهيونية .

٣- عدم إدعاء الوكالة اليهودية بحكم البلد .

٤- إن إنشاء « وطن قومى لليهود » لم يكن الهدف الرئيسى للإنتداب على فلسطين وان التزامات السلطة المنتدبة واحدة تجاه العرب واليهود .

ولم يحظ الكتاب الأبيض الثانى برضا الصهاينة فهاجموه وساندهم بعض الساسة البريطانيين ممن تعاطفوا معهم وعلى رأسهم تشرشل فعدلت الحكومة البريطانية عن هذا الكتاب وتم سحبه، وأرسل رمزى ماكدونالد خطاباً إلى حاييم وايزمان فى الرابع عشر من فبراير عام ١٩٣١ يفسر له هذا الكتاب الذى جاء تفسيره فى صالح اليهود، لذا فقد أسمى العرب هذا الكتاب « الكتاب الأسود » وعادت المشكلة سيرتها الأولى، وراح اليهود يكثرون من الهجرة وشراء الأراضى وإنشاء حرس للمستعمرات، وحاميات عمالية صهيونية لمنع العرب من العمل فى المزارع والمؤسسات الصهيونية .

ونتيجة لكل هذا قام الفلسطينيون بمظاهرات واضطرابات فى عام ١٩٣٣ انطلقت من القدس ويافا وشاركهم فيها بعض الوفود من الأقطار العربية فى سوريا وشرقى الأردن . ويبدو أنه خلال هذه الفترة قد تفاقم أمر الهجرة اليهودية إلى فلسطين فبلغ عدد المهاجرين حوالى ٦٢ الفاً خلال عام ١٩٣٥ ، ناهيك عن الذين دخلوا البلاد بوسائل سرية رغم المحاولات التى بذلها العرب لوقف هذه الهجرة لاسيما عن طريق البحر .

وأمام هذه الهجرة المحمومة من جانب اليهود وإغماض بريطانيا لعينيها عن تسلح اليهود شعر العرب بضرورة القيام بتحرك إزاء هذه

المخاطر فظهرت أول محاولة فدائية تزعمها عز الدين القسام * الذى اتخذ من حيفا قاعدة لنضاله، وانضم إلى جمعية الشبان المسلمين وتولى رئاستها عام ١٩٢٦ .

قام الشيخ عز الدين القسام بتكوين عصبة سرية حملت على عاتقها المقاومة المسلحة ضد بريطانيا والصهيونية . وكانت حركته تقوم على فكرة الجهاد المقدس وأن القوة وحدها هى التى يمكنها منع بريطانيا من الإستمرار فى مشروع إقامة الوطن القومى لليهود .

والجدير بالذكر أن حركة القسام لم تكن مرتبطة بالأحزاب أو حتى القيادات الفلسطينية القائمة فى ذلك الوقت ربما لعدم إيمان هذه القيادات بالاسلوب الذى كان ينتهجه القسام . ولما كان نشاطه يقتصر على شمالى فلسطين فقد بعث إلى الحاج أمين الحسينى يخبره بعزمه على إعلان الثورة فى الشمال طالبا إليه إعلانها فى جنوبى فلسطين فكان رد الحسينى بأن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل وأن الجهود السياسية كافية لحصول عرب فلسطين على حقوقهم الأمر الذى يشير إلى أن الزعامة الفلسطينية لم تكن تؤمن فى ذلك الوقت بأسلوب العمل العسكرى المسلح .

وفى ١٤ نوفمبر عام ١٩٣٥ إشتبك أتباع الشيخ عز الدين مع قوة بريطانية فى أحراش بلدة « يعبد » وحدثت معركة استشهد خلالها القسام مع مجموعة من أتباعه بعد أن ضرب مثلاً رائعاً فى البطولة والكفاح وبرهن على أن لغة القوة هى اللغة الوحيدة التى يفهمها العدو . وهكذا كانت حركة القسام الشرارة الأولى التى أشعلت المقاومة المسلحة ضد سلطات الإنتداب البريطانى والأهداف الصهيونية .

---

* ولد عز الدين القسام فى جبلة اللاذقية قرب اللاذقية عام ١٨٧١ وتعلم بالأزهر الشريف على يد الشيخ محمد عبده، وشارك فى ثورة صالح العلى ضد الفرنسيين شمالى سوريا عام (١٩٢٠ - ١٩٢١ ) لكن حكم عليه بالاعدام ففر إلى حيفا وعاش بها ، واضطلع بدور تعليمى بارز بالإضافة إلى دوره الوطنى المعروف إلى أن استشهد .

**ثورة فلسطين الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩):**

إندلعت هذه الثورة فى فلسطين ضد الإستعمار البريطانى والصهيونية وظلت لمدة ثلاث سنوات مرت خلالها بمرحلتين :

الأولى إستمرت لمدة ستة شهور ( أبريل - أكتوبر ١٩٣٦ )، ثم استأنفت بعد ذلك حتى عام ١٩٣٩ .

فى أعقاب إستشهاد الشيخ عز الدين القسام تشكلت عصابات مسلحة وبدأت التقارير البريطانية تشير إلى الإقبال على الأسلحة، لذلك فقد بدأت أحداث هذه الثورة من خلال حادثة سطو عادية على يد إحدى العصابات فى الخامس عشر من أبريل عام ١٩٣٦ على طريق نابلس - طولكرم حين جرى إطلاق النار على ركاب عدد من السيارات، قتل أثناءها يهودى، ثم ظهرت عصابة ثانية . وعلى إثر هذه الحادثة تأزم الموقف لاسيما بعد قيام اليهود بإعتداءات على العرب وتم فرض حظر التجول فى مساء التاسع عشر من أبريل وتم تنفيذ قانون الدفاع وقانون الطوارئ .

وهكذا بدأت الأوضاع تسير نحو التدهور فتشكلت اللجان القومية التى أصبحت قاعدة النشاط الوطنى للثورة، وتولت مدينة نابلس قيادة الحركة الوطنية على أساس قومى لاحزبى، على أن تتجه ضد البريطانيين أولاً باعتبارهم أس البلاء وليس الصهيونية وحدها . كذلك فقد تم تشكيل قيادة عليا للثورة من خلال لجنة عرفت باسم ( اللجنة العربية العليا ) مثلت فيها كافة الأحزاب وهذه اللجنة كانت بمثابة القيادة العليا للثورة ومركزاً للجان القومية وناطقة باسم الأمة وكان على رأسها كل من الحاج أمين الحسينى وعونى عبد الهادى، وراغب النشاشيبى وغيرهم .

وقد أعلن الأضراب العام فى فلسطين وتحول إلى ثورة شعبية مسلحة وعمت المظاهرات البلاد، وفشلت كافة الجهود لوقف الإضراب .

لم تكن ثورة ١٩٣٦ في فلسطين كسائر الإضطرابات والثورات السابقة بل كانت مرحلة جديدة بدأت بوصول بعض القادة العسكريين العرب أمثال : فوزي القاوقجي على رأس قوة مسلحة في أغسطس ١٩٣٦، والشيخ محمد الأسمر وسعيد العاص خلال الأسبوع الأول من سبتمبر على رأس مجاهدين من سوريا وشرقي الإردن .

وقد لعب القادة العرب الثلاثة دوراً هاماً وقادوا الثورة نحو مرحلة جديدة تميزت بدور تنظيمي واتباع أساليب حربية حديثة من خطط، ودائرة للمخابرات ، وإصدار بلاغات عسكرية في أعقاب المعارك وتشكيل محكمة للثورة ولجان للإعاشة والتموين وغير ذلك [١] .

أما رد الفعل البريطاني إزاء الثورة فقد تمثل في محاولة قمعها بالقوة مستخدمة في ذلك كل وسائل البطش والإرهاب، فحشدت حوالي أربع فرق عسكرية معززة بالطائرات والمدافع، ووقف اليهود بكل ما أوتوا من قوة إلى جانب السلطات البريطانية . وكانت النتيجة استشهاد حوالي آلاف فرد وإعدام حوالي مائة وخمسين شهيداً، إضافة إلى عشرات الألوف من الجرحى والمعتقلين .

وقد تدخل بعض الزعماء العرب بالوساطة من خلال كل من الأمير عبد الله أمير شرقي الأردن ، والملك عبد العزيز ملك المملكة السعودية، والملك غازي ملك العراق والإمام يحي إمام اليمن وتقدموا بمذكرة مشتركة إلى ملك بريطانيا أعربوا من خلالها عن رغبتهم في إيجاد حل سريع لهذ القضية . وبعد مشاورات واتصالات مع الحكومة البريطانية وعرب فلسطين وجه الملك عبد العزيز والملك غازي والأمير عبد الله نداءات إلى عرب فلسطين لإنهاء الاضراب ووقف الثورة. وبالفعل وافقت اللجنة العربية العليا على ذلك في الثاني عشر من أكتوبر عام ١٩٣٦[٢] .

---

(١) عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى الحرب العالمية الثانية . ص ٥٥
(٢) نفس المرجع . ص ٧٠ .

وكعادة بريطانيا إزاء الأحداث الكبرى والثورات قامت بتشكيل اللجنة الملكية (أكتوبر ١٩٣٦ - أكتوبر ١٩٣٧) برئاسة اللورد بيل Peel التى أرجعت الثورة إلى خضوع الرأى العام البريطانى لليهود وأن العرب لديهم رغبة فى نيل الإستقلال وليست عندهم ثقة فى بريطانيا، وأوصت باتباع سياسة جديدة فى فلسطين وإحلال نظام المعاهدات بدلاً من نظام الإنتداب كما حدث فى العراق عام ١٩٣٠، ومصر عام ١٩٣٦ لكن العرب رفضوا فكرة التقسيم نظراً لأنها أوجدت دولة يهودية.

وحين نشر تقرير اللجنة الملكية صدر معه بيان رسمى بريطانى يعلن إتفاق الحكومة البريطانية مع ما انتهت إليه اللجنة من آراء وأن مشروع التقسيم يمثل أفضل حل، وترى ضرورة السماح بهجرة حوالى ثمانية آلاف يهودى خلال ثمانية أشهر من أغسطس عام ١٩٣٧ وحتى مارس عام ١٩٣٨.

وعقب نشر التقرير عم فلسطين غضب واستياء شديدان، فلم يكن العرب ينتظرون هذا الحل بعد ثورتهم التى قاموا بها وأن تصبح الأوضاع أسوأ مما كانت عليه قبل الثورة.

وأمام ذلك كله استأنف الفلسطينيون الثورة، وتطورت الأحداث فدعت الحكومة البريطانية إلى مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن لدراسة المشكلة الفلسطينية ووجهت الدعوة إلى مصر والسودان واليمن وشرقى الأردن ثم إلى الفلسطين والوكالة اليهودية، وتألف الوفد العربى من كل الاطراف السابقة، وبدأ جلساته فى ٧ فبراير عام ١٩٣٩، ورفض العرب الجلوس مع مندوبى اليهود فاضطر البريطانيون إلى الجلوس مع العرب صباحا واليهود بعد الظهر، واستمرت الجلسات حتى ١٨ مارس عام ١٩٣٩، وعرضت بريطانيا إقامة حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط بمعاهدة مع بريطانيا وفرض قيود على الهجرة وانتقال الأراضى لكن العرب

واليهود رفضوا المقترحات البريطانية فانتهت أعمال المؤتمر فى ٢٧ مارس ١٩٣٩ بعد أن فشل فى الوصول إلى حل يرضى كافة الاطراف فأصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض فى السابع من مايو عام ١٩٣٩ واعلنت أنه ليس فى خطتها تكوين دولة يهودية فى فلسطين وعدم استعدادها للاعتراف باستقلال فلسطين كدولة عربية، بل إن هدفها تكوين حكومة مستقلة لفلسطين من العرب واليهود خلال عشر سنوات، ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة .

رفض العرب واليهود الكتاب الأبيض، فلم يحقق هذا الكتاب الأمانى القومية للعرب كما أنه جاء غامضا فيما يتعلق بمسألة الإستقلال فاستمرت ثورة العرب الفلسطينيين إلى ما بعد نشوب الحرب العالمية الثانية . أما اليهود فقد احتجوا على هذا الكتاب خاصة فيما يتعلق بموضوع الهجرة .

وفى خلال الحرب العالمية الثانية لم يقبل عرب فلسطين القتال إلى جانب بريطانيا وان كان هناك فريق من الفلسطينيين يتزعمه حزب الدفاع رأى انه لابأس من القتال إلى جانب البريطانيين لأن فى ذلك فرصة لانشاء جيش قوى يدافع عن فلسطين مستقبلا . وكان المفتى الحسينى ضد فكره القتال إلى جانب البريطانيين مما جعل السلطات الفرنسية تجبره على مغادرة لبنان التى كان يقيم بها آنذاك إلى العراق ، فطاردته السلطات البريطانية ايضا بعد ان فشلت ثورة رشيد الكيلانى ففر إلى إيران . أما اليهود رغم رفضهم للكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ فقد انضموا فى صفوف الحلفاء نكاية فى ألمانيا النازية من خلال فيلق يهودى بلغ تعداده خمسة آلاف جندى أصبح فيما بعد نواة جيش الدفاع الاسرائيلى .

ومن الآثار الهامة التى تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية فيما يتعلق بفلسطين وقضيتها تحول الصهيونية إلى أحضان الولايات المتحدة الأمريكية كبديل إستراتيجى لبريطانيا، فقد أدرك الصهيونيون أن بريطانيا

قد وفت بتعهداتها منذ اصدار تصريح بالفور عام ١٩١٧ ومهدت الطريق كي يحقق اليهود احلامهم في اقامة دولتهم في فلسطين، ثم أن بريطانيا بدأت تفقد المكانة السياسية التي كانت تتمتع بها من قبل في المجتمع الدولي وحلت محلها الولايات المتحدة التي خرجت قوية بعد الحرب العالمية الثانية . وبالإضافة إلى ذلك كله فقد كانت الولايات المتحدة تبحث لها عن مجالات جديدة في الشرق الاوسط فأراد اليهود أن يكونوا بمثابة رأس جسر لهم لتثبيت اقدامهم في المنطقة [1] . وفي الفترة ما بين ٩-١١ مايو ١٩٤٢ دعا الصهاينة إلى عقد مؤتمر في فندق ( بلتيمور) في الولايات المتحدة لدراسة الموقف جرى من خلاله شجب السياسة البريطانية تجاه فلسطين التي نص عليها الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ وطالب بإدخال الوف اليهود المهاجرين الذين اضطهدوا من جانب النازيين . ويمكن القول أنه بظهور برنامج بلتيمور أخذ الصهاينة يبذلون جهداً كبيراً لكسب رجال السياسة الامريكيين . وبالفعل نجحوا في ذلك فانتقلوا إلى مرحلة الصدام الإرهابي مع سلطات الإنتداب البريطاني في فلسطين فاغتالوا اللورد موين Moyne في نوفمبر عام ١٩٤٤ بالقاهرة، ونسفوا فندق الملك داود بالقدس الذي كان مقراً لقيادة القوات البريطانية في فلسطين في ٢٢ يوليه عام ١٩٤٦ .

وهكذا بلغ الصهاينة مبلغاً كبيراً من كسب المساعدة الدولية والقوة الإرهابية فتدخلت بريطانيا فطلبت عقد دورة خاصة للجمعية العامة للامم المتحدة لبحث مشكلة فلسطين في الثاني من أبريل عام ١٩٤٧ وعينت الأمم المتحدة لجنة لبحث مشكلة فلسطين فأعدت تقريراً إشتمل على مشروعين : الأول يوصي بتقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية ويهودية مع قيام وحدة اقتصادية بينهما . والثاني يوصي بقيام دولة إتحادية مستقلة عاصمتها القدس . وقد تبنت الأمم المتحدة المشروع الأول

---

(١) محمود حلمي : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ وما بعدها .

وأوصت بتقسيم فلسطين، كما أوصى قرار التقسيم بانهاء الإنتداب البريطاني على فلسطين مع تقسيمها سياسيا إلى دولتين منفصلتين، وإبقاء القدس وما حولها منطقة دولية تحت إدارة الأمم المتحدة .

لم يقبل العرب قرار التقسيم وبدأ الفلسطينيون هجماتهم ضد اليهود بعد صدور القرار فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وكان اليهود قد استعدوا تماماً لخوض الحرب منذ فترة طويلة، وقررت الدول العربية دخول جيوشها إلى فلسطين الا أنها أرغمت على وقف القتال لمدة أربعة أسابيع ( ١ يونيه إلى ٩ يوليه ١٩٤٨) أعاد خلالها اليهود تنظيم صفوفهم، فلما استؤنفت الحرب فى التاسع من يوليه ١٩٤٨ بدت القوات اليهودية اكثر قوة فرجحت كفة اليهود، ثم قبلت الدول العربية بقرار مجلس الأمن وقف القتال فى ١٨ يوليه عام ١٩٤٨ . وانتهت هذه الحرب بتوقيع أربع اتفاقيات : الأولى مع مصر فى ٢٤ فبراير عام ١٩٤٩، والثانية مع لبنان فى ٢٣ مارس عام ١٩٤٩، والثالثة مع الاردن فى ٣ أبريل عام ١٩٤٩، والرابعة مع سوريا فى ٢٠ يوليه ١٩٤٩ .

# الفصل الرابع

## تطور السودان السياسى منذ الحرب العالمية الثانية وحتى عام ١٩٦٩

# القسم الأول

## خريطة الأحزاب السياسية والكتل الإقليمية فى السودان

خريطة الأحزاب السياسية والكتل الإقليمية فى السودان :

تمحورت فكرة إنشاء الأحزاب السياسية فى السودان قبل عام ١٩٥٦ حول العلاقة التى ينشدها السودانيون : هل هى الاستقلال أم الاتحاد أم الوحدة مع مصر . أما فى أعقاب الاستقلال فقد شهدنا محورا ثالثا دارت حوله مجموعة من الأحزاب يرتكز بعضها على أساس عقائدى والبعض الآخر يقوم على أساس قبلى .

وعلى هذا النحو المتقدم فنحن أمام أربعة أنواع من الأحزاب :

١- أحزاب اتحادية .

٢- أحزاب استقلالية .

٣- أحزاب عقائدية .

٤- كتل إقليمية وأحزاب جنوبية .

أولا : الأحزاب الاتحادية :

لقد آمن نفر كبير من المواطنين السودانيين بضرورة وجود رابطة سياسية قوية تجمع كلا البلدين ، مصر والسودان ، وذلك فى محاولة لتوحيد الجهود لطرد الإنجليز ولإكمال المسيرة معا خصوصا وأن هناك أرضية مشتركة تصلح للانطلاق معا فى مرحلة جديدة بعد خروج إنجلترا من مصر والسودان ، لذلك شهدنا أحزابا كثيرة تنادى بهذه الفكرة وهى : حزب الاتحاديين ، وحزب الأحرار وحزب الأشقاء ، وحزب وحدة وادى النيل . وهذه الأحزاب تجمعت سويا فى عام ١٩٥٢ لتشكل ما عرف بالحزب الوطنى الاتحادى .
وقد انسلخ منه جناح سمى بحزب الشعب الديمقراطى لكنه عاد ليندمج مع الحزب الوطنى الاتحادى تحت أسم الحزب الاتحادى الديمقراطى .

١- حزب الاتحاديين :

نشأ هذا الحزب فى أكتوبر عام ١٩٤٤ ، وكان يؤمن بالاتحاد مع مصر على أساس نظام الدومنيون Dominion حيث يمكن للشعب السودانى أن ينفصل أنى شاء مع الحفاظ

علــى مقوماتــه القومية ابان قيام دولة الاتحاد . وقد يكون ذلك راجعا إلى رغبتهم في عدم تقييد وحرمان الأجيال القادمة من حرية الإرادة .

وقــد تميز الاتحاديون بأفكار واعية ، ففى عام ١٩٤٤ راحوا يتحدثون عن أيمانهم بالحــرية الفــردية وانمــاء الشخصــية الإنسانية وروح التسامح وعدم استغلال الشعب أو اضطهاد الطبقات وضرورة احترام رغبات وشعور الأقليات .

وكانت مبادئهم تتمثل فى وضع أسس تكفل توزيع الثروة بشكل عادل بين المواطنين وتحــريم الاحــتكار والــنظم الإقطاعية وتعميم الجمعيات التعاونية بين المزارعين والعمال وتشــجيع الملكــيات الصغيرة والأراضى ، ووضع المنافع العامة كالكهرباء والمياه ووسائل النقل فى أيدى البلديات ، وتوفير فرص عمل لكل القادرين ، وإدخال الضمان الاجتماعى .

ومما لاشك فيه أن هذه الأهداف التى نادى بها الاتحاديون منـــــــــــــــف

ما يقرب من نصف قرن مضى كانت مؤشرا الى أن قادتهم كانوا يتمتعون بوعى وفكر خاص ربما يرجع الى انتمائهم الى (مدرسة أبى روف الفكرية) التى كانت تعنى بالقراءة فى كافة المجالات الادبية والسياسية • وعلى الرغم من علو شأن الطائفية فى البلاد فانهم قد نأوا عنها ، رغم ترحيبها بالتعاون معهم ، واعتبروها أساسا من الأسس التى يعتمد عليها الاستعمار لتهدئه الشعور[1] وعلى الرغم من تكون الاتحاديين من فئات عرفت بحب القراءة والاطلاع والثقافة العميقة ، ومبادئهم التى كانت فى مجملها تحمى الفئات الكادحة الا أن أعدادهم لم تكن كثيرة ، وربما يرجع ذلك الى ابتعادهم عن الطائفية واعلان الحرب عليهم رغم نفوذها وتغلغلها فى تركيبة المجتمع السودانى •

ولقد استمر حزب الاتحاديين يمارس نشاطه السياسى حتى عام ١٩٥٢ •

**٢ ـ حزب الأحرار :**

ظهر هذا الحزب فى عام ١٩٤٤ ، وكانت أفكاره تدور حول ايجاد علاقة مستقبلية مع مصر تقوم على أساس الاتحاد الحر Confedration وفى عام ١٩٤٥ حدث انشقاق فى داخله وأصبح هناك أحرار اتحاديون ، وأحرار انفصاليون • ويرجع السبب فى ذلك الى قرارات مؤتمر الخريجين عام ١٩٤٥ والتى من أهمها « قيام حكومة سودانية ديمقراطية فى اتحاد مع مصر تحت التاج المصرى » • وقد انضوى الانفصاليون تحت ظل حزب الامة بينما اظل الباقون يحافظون على مبادئهم حتى عام ١٩٥٢ •

**٣ ـ حزب الاشقاء :**

نشأ هذا الحزب ابان معركة انتخابات مؤتمر الخريجين العلم (*) فى

---

(١) مذكرات خضر حمد : الحركة الوطنية السودانية • الاستقلال ومابعده ص ١٠٧ ومابعدها •

(*) تأسس المؤتمر فى فبراير عام ١٩٣٨ وان كانت فكرة قيامه قد بدأت قبل ذلك فى عام ١٩٣٥ • وقد عمل المؤتمر على تحقيق عدة أهدافاجتماعية داخل السودان ، ثم راح يتبنى اهدافا سياسية خصوصا اثناء الحرب العالمية الثانية حين تقدم بمذكرة الى الحاكم العام للسودان يوضح فيها مطالب الشعب السودانى التى ادت فى النهاية الى التعجيل باصدار قانون المجالس الاستشارية عام ١٩٤٣ •

سنة ١٩٤٣ • ويصف اسماعيل الازهرى فى مذكراته هذا الحزب بأنه كان يتكون من « جماعة من الشباب المتحمس جمعتهم ظروف الدراسة وأوثق بينهم التجاوب ووحدة الغرض والرغبة الصادقة فى خدمة الوطن »(١) •

وقد عرفوا بالاشقاء لان معظمهم كانوا أخوة أشقاء ، ولم يكن هذا الاسم اسما سياسيا • والتفت هذه الجماعة باسماعيل وعلى الازهرى وابراهيم المفتى وانتخبت اسماعيل الازهرى رئيسا لنادى الخريجين •

وهناك من يقول بان هذه الجماعة كانت تعرف بمجلس السيد عبد الرحمن المهدى ، قبل ان تنضم اليها مجموعة أزهرى ، حيث كان السيد عبد الرحمن يجمع أصدقاءه فى قصره بالخرطوم ويبحث معهم شئون السياسية والادب • ولما أصبح الازهرى زعيما للاشقاء افترق الزعيمان المهدى والازهرى(٢) •

وعلى الرغم من ان هذا الحزب لم يعلن عن مبادئه الا اننا يمكن ان نستشفها من القرار الذى أصدره مؤتمر الخريجين العام فى ١٢ أبريل ١٩٤٥ طبقا لميثاق الاحزاب الثلاثة المؤتلفة ( الاتحاديون — الاحرار — الاشقاء ) ، ومن مذكرة لجنته الفرعية بالقاهرة المنعقدة فى ١٧ أبريل من نفس العام ، وهذه المبادىء تتمثل فى قيام حكومة سودانية ديمقراطية فى اتحاد مع مصر تحت التاج المصرى(٣) •

ولم يكتف الاشقاء فيما بعد بالاتحاد الفدرالى مع مصر ، أو التمادى الى مرحلة الوحدة أو الاندماج ، بل كان موقفهم وسطا • وفى أوائل الخمسينيات انشق هذا الحزب الى جناحين : الاول برئاسة اسماعيل الازهرى محتفظا بمبادىء الحزب الاساسية ، والاخر برئاسة محمد نور الدين الذى نادى بوحدة وادى النيل •

---

(١) جريدة الايام فى ١٩٥٧/٦٢٩ عن احمد دياب : المرجع السابق • ص ٢٠٤ •

(٢) محمد احمد محجوب : الديمقراطية فى الميزان • ص ٤٥ ، ٤٦ •

(٣) F.O. 371—45972. Memorandum of the Congress sub-committee to the prime Minister . P.5.

وقد وصف محمد أحمد محجوب الاشقاء بأنهم جماعة « تكاد تكون مغلقة كالماسونية وأنها حلقة أصدقاء لا مفكرين سياسين توحدهم أيديولوجية واحدة ولذلك عجزوا حين أصبحوا حزبا سياسيا عن صوغ برنامج لهم[١] .

وبالرغم من هذا الوصف الجائر لهم فقد ثبت أن هدفهم كان الوحدة السياسية والادارية التامة لوادى النيل تحت التاج المصرى مع تمتع السودانيين بالحقوق المتساوية مع المصريين والتعاون الكامل بين القوات المسلحة السودانية والمصرية . كذلك فان قياداته لم تهادن الاستعمار[٢] .

### ٤ ـ حزب وحدة وادى النيل :

كان ظهور هذا الحزب فى يناير عام ١٩٤٦ ، وكما يبدو من تسميته فانه يعد من أكثر الاحزاب الاتحادية تطرفا من حيث درجة العلاقة بين مصر والسودان ، اذ أنه يدعو الى اقامة وحدة بين البلدين .

وعلى الرغم من أن الفكرة الاتحادية لا الوحدوية كانت هى المسيطرة على الشارع السودانى فى ذلك الوقت فان هذا الحزب قد وجد له أنصارا من بين جموع الشعب السودانى ، نظرا لبساطة مبادئه التى نادت بها الجماهير وجسدتها فى شعار « تحيا وحدة وادى النيل » . وعلى هذا النحو فاننا نقول ان مبادىء هذا الحزب كانت ترمى الى اقامة وحدة كاملة بين شطرى الوادى .

### ٥ ـ حزب الجبهة الوطنية :

يرجع تكوين هذا الحزب الى جماعة من كبار الموظفين من طائفة الختمية(*) المتقاعدين بالمعاش . ويرى البعض أن نشأة هذا الحزب أنما

---

(١) محمد أحمد محجوب : المرجع السابق . ص ٤٤

(٢) احمد دياب : المرجع السابق . ص ٢١٠ ـ ٢١١

(*) هى واحدة من اهم الطوائف او الطرق الصوفية فى السودان وتسمى احيانا بالميرغنية نسبة الى الجد الاكبر السيد على الميرغنى وان كان مؤسسها فى السودان هو السيد محمد عثمان الميرغنى . اما تسميتها بالختمية فهناك روايات عديدة حول ذلك الا ان اشهرها هو نسبتها الى تربة الختمية فى شرقى السودان مقر معتقل زعماء الطريقة واتباعها . وتعتبر الختمية من دعاة التعاون والاتحاد مع مصر .

ترجع الى غيره كبار الختمية من الزعامة والجماهيرية التى حصل عليهـا اسماعيل الازهرى من جماهير الختمية ، بالاضافة الى تطرف الازهرى فى الوحدة مع مصر الامر الذى جعل الختمية فى عداء مع الادارة البريطانية فى السودان(١) •

ورغم أن نشأة هذا الحزب كانت ارستقراطية فان زعمـاءه كانوا يمتازون بالوعى السياسى ، وكانت درجة العلاقة الاتحادية ، التى طالبوا بها ، مع مصر غاية فى الضعف وتمثلت فى وحدة رأس الدولة ، أى اتحاد شخصى •

ولم يستمر هذا الحزب كثيرا بل أصبح من بين الاحـــزاب التى اندمجت لتكون الحزب الوطنى الاتحادى •

### ٦ ـ الحزب الوطنى الاتحادى :

فى أعقاب قيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، ومع بدء الاستعداد لاجراء مفاوضات مع انجلترا بشأن الجلاء عن مصر والسودان كان من الضرورى أن يأخذ قادة الثورة رأى السودانيين فى هــــذا الشأن • ولما كان رأى السودانيين موزعا بين عدة أحزاب كان لابد من توحيد هذه الآراء والرؤى وخاصة تلك الآراء المنتشرة بين الاحزاب الاتحادية •

ولم تكن المشكلة آنذاك هى كيف يتم جمع الاحزاب الاتحادية بقدر ما كانت كيفية اللقاء بين طرفى الاشقاء • وقد كانت المساعى تســــير ثم تتعثر ، وكان الحديث يدور حول الانتخابات التى سوف يواجه فيها الاتحاديون حزب الامة •

وقد لعب اللواء محمد نجيب دورا بارزا فى جمع الشمل فى محاولة لتكوين حزب اتحادى ، وكان يعاونه فى هذه المهمة الصاغ صلاح سالم • وتم الاتفاق فيما بين الاحزاب الاتحادية على الالتحام فى حزب سياسى واحد تحت اسم « الحزب الوطنى الاتحادى » وذلك فى أواخـــر عام

---

(١) Holt. P.M.; A Modern History of the Sudan. P. 162.

١٩٥٢[١] •

وفى عام ١٩٥٤ تعرض الحزب الوطنى الاتحادى الى انقسامات فاستقال من الحزب كل منميرغنى حمزة ، وخلف الله خالد ، وأحمد جلبى• وقد قام خلف خالد وزير الدفاع بشن هجوم عنيف على الحزب وقادته وامتنع مع زميليه عن حضور اجتماعات مجلس الوزراء • وقد قام هؤلاء الثلاثة بتكوين حزب « الاستقلال الجمهورى » الذى باركه السيد على الميرغنى حيث كان الأخير على خلاف مع الحزب الوطنى الاتحادى •

وكان الحزب الجمهورى يدعو الى استقلال السودان ، وقيام علاقة بين مصر والسودان على أساس الند للند[٢] •

وقد ظل هذا الحزب الجمهورى فى الساحة السودانية حتى قيام حزب الشعب الديمقراطى فى يونية ١٩٥٦ •

ويمكن أن نبلور تلك الانقسامات التى ظهرت فى صفوف الحزب الوطنى الاتحادى قبيل اعلان الاستقلال فى الفئات الثلاث التالية :

**الأولى :** استقلالية خرجت عن الحزب فى أوائل علم ١٩٥٥ وكونت حزب الاستقلال الجمهورى المشار اليه •

**الثانية :** نادت مؤخرا بالاستقلال ، وكانت بزعامة رئيس الحزب وهى فى الاصل جماعة حزب الأشقاء ، وقد بقيت تسيطر على الحزب حتى تم حله فى ١٧ نوفمبر عام ١٩٥٨ •

**الثالثة :** وكانت تطالب بالاتحاد مع مصر وتمسكت به وظلت تحافظ على مبادئها حتى اعلان الاستقلال وهى التى عرفت فيما بعد بحزب الشعب الديمقراطى •

---

(١) مذكرات خضر حمد : المصدر السابق • ص ١٧٠
انظر ايضا : مذكرات محمد نجيب : كنت رئيسا لمصر • ص ٢٨١

(٢) محمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية فى السودان • ( ١٩٠٠ ـ ١٩٦٩ ) ص ٢٤٠
انظر ايضا : جريدة صوت السودان • بتاريخ ٣ يناير عام ١٩٥٥

**٧ ـ حزب الشعب الديمقراطى :**

قام هذا الحزب تحت رعاية الطائفة الختمية فى عام ١٩٥٦ ، ومن مبادئه « العمل على تحقيق وحدة الامة العربية ووحدة الوطن العربى » تحت شعار القومية العربية • وقد شارك هذا الحزب فى الانتخابات العامة سنة ١٩٥٨ ، كما اشترك مع حزب الامة فى الحكم حتى قيام الحكم العسكرى فى نوفمبر ١٩٥٨ بزعامة عبود الذى حل الاحزاب السياسية • وفى أعقاب ثورة اكتوبر سنة ١٩٦٤ أعاد الحزب نشاطه الى أن تم اندماجه مع الحزب الوطنى الاتحادى فيما يسمى بالحزب الاتحادى الديمقراطى(١) •

**٨ ـ الحزب الاتحادى الديمقراطى :**

عادت الحياة الحزبية مرة أخرى عقب ثورة اكتوبر ١٩٦٤ ، وجرت محاولات بين رجالات حزبى الشعب الديمقراطى والحزب الوطنى الاتحادى لجمع الصفوف فى مواجهة حزب الامة الاستقلالى ، وانتهت هذه المحاولات فى ١٢ ديسمبر عام ١٩٦٧ باندماج الحزبين فى حزب واحد سمى بالحزب الاتحادى الديمقراطى •

ودخل هذا الحزب انتخابات عام ١٩٦٨ وحصل على ١٠١ مقعدا من مقاعد الجمعية التأسيسية ( ٣١٨ مقعدا ) • وظل هذا الحزب يمارس نشاطه السياسى حتى ٢٥ مايو سنة ١٩٦٩ عندما حلت جميع الاحزاب السودانية •

**ثانيـا : الاحزاب الاستقلالية :**

**١ ـ حزب القوميين :**

تم انشاء هذا الحزب فى عام ١٩٤٤ على يد أحمد يوسف هاشم الذى كان يتولى اصدار جريدة الفجر • وكان زعماؤه يمثلون البقية الباقية من مدرسة الفجر الفكرية(٢) •

---

(١) ابراهيم حاج موسى : المرجع السابق • ص ٥٥٤

(٢) السودان الجديد : العدد رقم ٩٦ بتاريخ ٢ نوفمبر

ولقد دعت مبادىء هذا الحزب بشكل واضح الى استقلال السودان والابتعاد عن مصر • وفي عام ١٩٤٦ توارى هذا الحزب وانضم أعضاؤه الى حزب الامة حيث التقت أهدافهم مع أهدافه •

**٢ — الحزب الجمهوري الاشتراكي :**

ظهر هذا الحزب في عام ١٩٥١ ، وكان يضم زعماء القبائل وبعض المثقفين وعددا كبيرا من الجنوبيين • ويروى أن تأسيسه كان بإيماز من الانجليز وذلك للضغط على حزب الامة اذا ماحاول أن يعلن عصيانه عليهم •

وقد احتوى الحزب انعناصر الاستقلالية التي كانت تبغض الطائفية اما لتعارض الطائفية مع مصالحها الخاصة كما هو الحال بالنسبة لزعماء العشائر ، اما لان الطائفية كانت تحد من تطلعات بعضهم السياسية خصوصا بالنسبة للجنوبيين •

وتتفق مبادىء هذا الحزب مع مبادىء حزب الامة ، الا أن الاختلاف الوحيد بينهما كان في دعوة الاول للجمهورية بشكل واضح وصريح كما يبدو من تسميته • وكان رجالات الحزب الجمهوري يعتقدون بأن السيد عبد الرحمن المهدي كان يسعى مع الانجليز لانشاء مملكة في السودان وهو ما كان يتعارض مع افكارهم واتجاهاتهم[١] •

وقد ظل الحزب يعمل في الساحة السياسية لسنوات قليلة انتهت باعلان استقلال السودان الامر الذي يؤكد أنه كان من صنع الانجليز حيث لم يعد لوجوده ثمة مبرر •

**ثالثا : الاحزاب العقائدية :**

وهناك أحزاب أخرى في اسودان ذات صبغة عقائدية ، كجبهة الميثاق الاسلامي والحزب الشيوعي •

---

(١) محمد علي الطيب : الحركة الوطنية في السودان ١٩٣٦ — ١٩٥٦ • ص ٨١

انظر ايضا : Report on the Adminstration of the Sudan in 1951-52
( Reports: 2—11—62 )

انظر ايضا :
Duncan, J.S.R.; The Sudan. A Record of Achievement P. 263.

وكانت جبهة الميثاق الاسلامى تضم فى جنباتها « أنصـــار السنة » و « الاخوان المسلمين » و « الرابطة الاسلامية » وقد ظلت هذه الجبهة تمارس نشاطها حتى عام ١٩٦٩ ٠

**الحزب الشيوعى :**

وهناك أيضا الحزب الشـــيوعى الذى أعلن مولـــده بأم درمان فى أغسطس عام ١٩٤٥ وعرف باسم « حسدتو » اختصـــارا للكلمـــات : « الحركة السودانية الديمقراطية للتحرر الوطنى » ٠

ورغم الصلات الواضحة بين الحركة الشيوعية فى مصر ومثيلتها فى السودان وتأثر الاخيرة بها وهو ماسوف نعرض اليه فان أحد زعمـــاء الحزب الشيوعى السودانى السابقين ينفى أن « الحركة الشـــيوعية السودانية ابن شرعى للحركة الشيوعية المصرية »(١) ٠ كذلك فان راح يسوق الادلة على ضعف الصـــلة بين الحركتين الشـــيوعيتين المصرية والسودانية قبل عام ١٩٤٧ ؛ من ذلك ان مجـــلة أم درمان بالرغم من اسمها ووجهها السودانى واحتشاد معظم كوادر قسم السودان وقسم النوبيين فى ( ح ٠ م ) فانها كانت عديمة الاثر على الحياة السياسية د خل السودان ، حيث منعت الادارة الاستعمارية دخونها الى السودان(٢) ٠

ويتتبع أحمد سليمان ظهور الحركة الشيوعية فى الســودان قائلا : ان أول من نظم حلقة لدراسة الماركســية ثلاثة من الارمن الذين قدموا الى السودان فى الفترة ما بين عامى ١٩١٧ و ١٩٢٠ وهم أرتين أركيـــان وكان يعمل ميكانيكيا بمصلحة انوابورات ، وبادروس ساهورتيان الذى التحق بخدمة « الاشغال العمومية » ، وأنيس ظهر بيان وكان وكيلا تجاريا لنقل البضائع الواردة من أوربا انى الخرطوم والمصدرة أيضا ٠

وكان أول اتصال لهم بالسودان بشخص يدعى على أحمد صـــالح ( على حاجى ) ، كان يعمل بمطبعة الحكومة والذى اتصل بدوره بستة من أقاربه وأصدقائه وكون معهم أول خلية شيوعية بالسودان ٠

---

(١) أحمد سليمان : ومشيناها خطى ، صفحات من ذكريات شـــيوعى اهتدى ٠ ص ٨٥

(٢) نفس المرجع ٠ ص ٩٥

ولم تكتب للتنظيم الشيوعى الحياة طويلا فقد اندثر بخروج الارمن من السودان وارتداد على حاجى الذى حوكم فى عام ١٩٢٤ •

وفى أوائل الاربعينيات ظهرت الحلقات الماركسية من جديدة فى الخرطوم اثر نشاط مستر « ستورى » الذى كان مجندا فى القوات الانجليزية بالسودان آنذاك ، كما أنه كان أحد أعضاء الحزب الشيوعى البريطانى • وقد اتصل ببعض طلاب المدارس العليا أمثال أحمد زين العابدين وحسن محمد حامد والطاهر سراج وغيرهم من المثقفين أمثال حسن الطاهر زروق والمهندس عبد الحميد أبو القاسم •

وراح مدرس انجليزى آخر يدعى مستر « دكنسون » يواصل الدور الذى كان يلعبه مستر ستورى وكان أيضا عضوا بالحزب الشيوعى البريطانى والتحق بخدمة مصلحة المعارف السودانية فى مارس عام ١٩٤٥[1] •

ويبدو من عرض أحمد سليمان لظهور الحركة الشيوعية والحزب الشيوعى فى السودان اعتداده بالذات القومية التى ضاع فى خضمها دور مصر فى ظهور وانتشار الحركة الشيوعية فى السودان متناسيا حتى الاتصالات بل والهيمنة الثقافية والعلمية لمصر فى السودان والمتطقة طوال التاريخ الحديث الأمر الذى ادى الى التأثير والتأثر وهو ما حدث بالفعل مع الطلاب والقادمين من السودان الى مصر الذين نهلوا من ثقافتها وحضروا ندواتها ثم راحوا ينشرونها فى السودان فهاهو عبده دهب يعترف بهذا التأثير بقوله « كنت أشعر اننى بحاجة الى الثقافة ، وكنا نبحث فى الصحافة عن المحاضرات والندوات فى الاندية المختلفة وذات يوم من أيام ١٩٣٩ قرأت عن مناظرة ستجرى فى مقر النادى الديمقراطى حول المرأة المصرية الاوربية بين الاستاذين سلامة موسى وزكى مبارك » • وبعدها أصبح عبده دهب شيوعيا وتكاثر غيره من المصريين والسودانيين فى صفوف الاتحاد الديمقراطى أو بالدقة فى صفوف المجموعة الماركسية التى تواجدت خلف واجهة النادى الديمقراطى •

---

(١) أحمد سليمان : المرجع السابق • ص ٨٦ ـ ٨٨

وفى مصر ساهم عبده دهب بنشاط كبير فى الحركة الشيوعية من خلال مجلة ( حرية الشعوب ) وخصوصا منذ العدد الذى صدر فى ٢٠ اكتوبر ١٩٤١ حيث بدأت تعرض للقضايا السودانية والنوبية وتنشر بعض المقالات فى هذا الشأن مثل : « من القاهرة الى الخرطوم » ، « المهرجان الأدبى فى السودان » ، « السودانيون المتعلمون أيضا » ، « حول مقال الادب النوبى » ، « نشاط الهيئات السودانية فى القاهرة » •

وعقب توقف اصدار « حرية الشعوب » جرت محاولات لاصدار مجلة أخرى حملت اسم « أم درمان » أهتمت بقضايا السودان والنوبة •

ويروى عبده دهب قصة تأسيس قسم السودان فى ( ح • م ) فيقول « فى عام ١٩٤٣ كلفنى التنظيم بالاهتمام بتجنيد عناصر سودانية وبعد ذلك بالسفر الى السودان للاتصال بمجموعة شيوعية سمعنا أنها موجودة هناك • وفى الخرطوم قابلت أحد مؤسسى هذه المجموعة وهو ضابط انجليزى اسمه ( ستورى ) الذى قال أنه برغم كل مابذل من جهود فلم يستطع أن يجند سوى شخصين هما أحمد زين العابدين وحسن الطاهر زروق • وطلب منى ستورى ان أضم نشاطنا الى مجموعته التى يزمع ان يلحقها بنشاط الحزب الشيوعى الانجليزى • وعند عودتى عرضت ذلك على اللجنة المركزية فعارض كوربيل بشدة وأكد على ضرورة الاسراع بتكوين قسم مستقل للسودانيين تمهيدا لتأسيس تنظيم مستقل فى السودان • وفعلا تكون هذا القسم سريعا وكان اسمه الحركى ( شركة الملح والصودا )[١] •

وقد انضم الى هذا القسم عبد الخالق محجوب ، د • عبد الوهاب زين العابدين ، محمد أمين حسين ، عبد الرحيم فودة ، د • عز الدين على عامر ، عبد الماجد أبو حسبو ، حسن اسماعيل • ومثله فى اللجنة المركزية اثنان هما : عبده دهب وعبد الماجد أبو حسبو • ثم ما لبثت ( ح • م ) أن انتقلت الى مرحلة أخرى بأن أسهمت فى تأسيس التنظيم الشيوعى السودانى المستقل الذى كان نواة للحزب الشيوعى السودانى[٢] •

---

(١) رفعت السعيد : تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٤٠ ـ ١٩٥٠ ص ١٧٨ ، ص ٢١٢ ـ ٢١٤ ، ص ٣٥٢

(٢) نفس المرجع • ص ٣٥٢

وفى عام ١٩٤٥ وصل الى القاهرة شخصان هما حسن الطاهر زروق والمهندس عبد الحميد أبو القاسم وعقد اجتماع ضم قادة القسم السودانى بالقاهرة ومندوبى مجموعة الخرطوم وعددا من قادة ( ح • م ) هم هنرى كورييل و د • عبد الفتاح القاضى وتحسين المصرى • وقدم المندوبان تقريرا يطالبان فيه بتشكيل تنظيم مستقل له قيادة مستقله ووافق المجتمعون على ذلك • واتفق على ان يستمر السودانيون المقيمون فى مصر أعضاء فى ( ح • م ) ، وفى حالة عودتهم الى السودان ينضمون فورا الى التنظيم هناك وفى نفس المستوى الذى كانوا يعملون فيه بالقاهرة • واتفق أيضا على أنه فى حالة انتقال أى شيوعى سودانى للاقامة فى مصر ولو بصفة مؤقته ينضم الى المستوى المقابل فى (ح • م) ، واتفق على تسميته التنظيم السودانى الوليد باسم « الحركة السودانية للتحرر الوطنى » ( حستو ) • وهكذا ولد أول تنظيم شيوعى سودانى باسهام مباشر من ( ح • م )[1] •

وتؤكد أوراق هنرى كورييل تأثر الحركة الشيوعية فى السودان بالحركة الشيوعية فى مصر بل وامتزاجهما من خلال عبده دهب ورفاقه السودانيين • ويشير كورييل الى الدور العظيم التى لعبه عبده دهب حين نجح فى الاتصال بأحد المحيطين بأحمد حسنين رئيس الديوان الملكى آنذاك وحصل على التقارير العديدة التى كانت ترد الى السراى عن الشيوعيين ، وهو الذى حصل على الرخصة التى لا غنى عنها للمجلة الاسبوعية ( حرية الشعوب ) ، وكان هو أيضا الذى اجتذب معظم المحررين بها •

ويقول هنرى كورييل أنه قد تعرف على المسالة السودانية بفضل عبده دهب والطلبة السودانيين الذين كانوا يحضرون للقائه ، وأن اصدقاءه ساعدوه على ان يقيم وزنا للحقائق السودانية حتى لا يكون تصوره للمشكلة « مصريا » تماما (٢) •

---

(١) رفعت السعيد : المرجع السابق • ص ٣٥٢

(٢) رءوف عباس : اوراق هنرى كورييل والحركة الشيوعية المصرية • ترجمة عزه رياض • القاهرة • ١٩٨٨ • ص ٩٥

كذلك فقد أشار كوربيل الى أن أحد الضباط المصريين (محمد نجيب) قد طلب اليه معرفة موقف الشيوعيين من المسألة السودانية فكتب اليه تقريرا حول ذلك الموقف ، كان يتألف من عنصرين : الاول خاص بالنضال المشترك للشعبين ضد الامبريالية ، وعلى ذلك جرى تطبيق هذا المبدأ من خلال مجلة أم درمان التى حمل عددها الاول اسم « نضال مشترك » . وكان العنصر الثانى فى التقرير هو «حق الشعب السودانى فى تقريرمصيره بعد التحرر من سيطرة الامبريالية »[١] .

من ذلك كله يتبين لنا أن هناك صلة حميمة بين الحركتين الشيوعية فى مصر والسودان ، فالثانية ابن شرعى للاولى حيث انخرط طلاب السودان وغيرهم ممن أتوا الى مصر فى صفوف حدتو وخبروا أساليب الدعاية بكافة أشكالها ، ساعدهم على ذلك ما كانت تموج به القاهرة من نشاط ثقافى اتخذ أشكالا عدة من ندوات وصالونات ادبية ومكتبات تحوى الكثير من الكتب والدراسات بالاضافة الى الصحف التى كانت منبرا لنشر أفكارهم . ثم راحوا بعد ذلك كله يبثون دعوتهم فى السودان حتى استطاعوا تكوين حركتهم فى داخله .

ومنذ عام ١٩٤٧ وبعد انفصال القسم السودانى من الحركة المصرية وتكوين الحركة السودانية بدأ العاملون فى ( حستو ) يسعون لتوسيع قاعدتهم فانشأوا ما اسموه بالجبهة المعادية للاستعمار كواجهة لممارسة نشاطهم الظاهرى ، واصدروا جريدة تسمى « الميدان » .

وقد ظهرت فيما بعد الانشقاقات فى صفوف الحزب الشيوعى السودانى أدت الى انقاسامه قبل ثورة أكتوبر عام ١٩٦٤ ، وظهر حزب جديد أطلق على نفسه ( الحزب الشيوعى السودانى . القيادة الثورية ) بدأ يسير على نهج الحزب الشيوعى الصينى .

وقد حل الحزب الشيوعى فى أواخر عام ١٩٦٥ وأثار هذا الحل بعض القضايا الدستورية ، كما أدى الى أزمة بين السلطات العامة ، لكن ذلك كله يؤد الى توقف النشاط الشيوعى فى السودان .

---

(١) رءوف عباس : المصدر السابق . ص ٩٥ ـ ٩٧

وحين ظهر الحزب الاشتراكى السودانى فى يناير عام ١٩٦٧ كان معظم أعضاء أمانته من أعضاء الحزب الشيوعى السابق • كذلك فقد ظهر فى ديسمبر عام ١٩٦٦ حزب الجنوب الديمقراطى الذى ضم جميع الشيوعيين والاشتراكيين والديمقراطيين من أبناء الجنوب وفتح عضويته الى كل أبناء السودان شماليين وجنوبيين •

وفى اكتوبر عام ١٩٦٨ ظهر حزب يسارى ثالث يدعى ( حزب العمال والفلاحين ) • وقد بقيت هذه الأحزاب اليسارية الثلاثة تعمل فى الحقل السياسى حتى حلت عام ١٩٦٩[١] •

**رابعا : الكتل القبلية والأحزاب الجنوبية :**

والى جوار الاحزاب السابقة ظهرت بعض الكتل القبلية التى تمثل الاقليمية أهمها : « مؤتمر البجة » الذى يمثل مجموعة القبائل البيجاوية التى تضم البشارية والهدندوة والامرار وابنى عامر وغيرها • وكان لهذه المجموعة نواب فى الجمعية التأسيسية التى قامت عام ١٩٦٥ بلغوا عشرة نواب • وهناك أيضا « اتحاد جبال النوبا » الذى يمثل المجموعة النوباوية غربى السودان فى كردفان • وقد ضمت الجمعية التأسيسية فى عام ١٩٦٥ عشرة نواب نوباويين • وقد تم حل هذه الكتل القبلية فى علم ١٩٦٩ كسائر الاحزاب الاخرى •

**أحزاب جنوب السودان :**

فى عام ١٩٥٣ وقبيل اجراء الانتخابات كان مولد حزب الاحرار الجنوبى الذى خاض معركة الانتخابات فى نفس العام وحصل على تسعة مقاعد فى مجلس النواب من بين ٢٤ مقعدا خصصت للجنوب[٢] • وفى سنة ١٩٥٤ غير اسمه الى حزب الاحرار تجنبا لكلمة الجنوب وأصبحت بالتالى عضويته مفتوحة أمام جميع السودانيين •

---

(١) ابراهيم محمد حاج موسى : المرجع السابق • ص ٥٦٣

(٢) نفس المرجع • ص ٥٦٥

ويذكر محمد عمر بشير ان نشأة الحزب كانت عام ١٩٥٤ ( جنوب السودان • دراسة لاسباب النزاع • ترجمة اسعد حليم • ص ١٣٠ )

وقد تم تعيين ثلاثة من وزراء الجنوب فى الحكومة الائتلافية فى عام ١٩٥٨ التى كانت مؤلفة من حزبى الامة وحزب الشعب الديمقراطى • وعقب قيام الحكم العسكرى فى عام ١٩٥٨ لجأ زعماء حزب الاحرار الى أوغندا وكونوا منظمتين لمقاومة الحكم العسكرى : الاولى عرفت باسم الجمعية المسيحية السودانية The Sudan Christian Association والثانية عرفت باسم الاتحاد القومى السودانى الافريقى للمناطق المغلقة • The Sudan AFrican Closed Districts National Union

وانضم حزب الاحرار للمنظمة الاخيرة وذاب كيان الحزب داخلها وتحولت الى حزب « سانو » SANU

واسم سانو هو اختصار لترجمة اسم الحزب بالانجليزية ( منظمة الاتحاد الوطنى السودانى الافريقى ) •
The Sudan African National Union.

وقد ظل هذا الحزب يعمل فى المنفى حتى ثورة اكتوبر عام ١٩٦٤ • وفى العام الاخير انقسم الى جناحين : أحدهما معتدل بزعامة وليم دنج William Deng والاخر متطرف بزعامة جوزيف أدوهو J.H.Oduhu وقد تعرض جناح دنج هو الاخر الى انشقاق تزعمه الفرد وول Alfred Wall

وقد خاض سانو انتخابات عام ١٩٦٨ وحصل على خمسة عشر مقعدا فى الجمعية التأسيسية •

كذلك تجدر الاشارة الى ( حزب الوحدة ) الذى ظهر فى عام ١٩٦٥ وكان يدعو الى وحدة السودان مع تطبيق نظام اللامركزية فى جميع أنحاء السودان •

وأخيرا نشير الى جبهة الجنوب The Southern Front التى نشأت فى أعقاب ثورة أكتوبر عام ١٩٦٤ بزعامة نفر من مثقفى رجال الجنوب الانفصاليين ممن بقوا يعملون فى الخفاء عقب خروج الزعماء السياسيين للجنوب اثناء الحكم العسكرى ( ١٩٥٨ — ١٩٦٤ ) • وقد دعت هذه الجبهة الى انفصال الجنوب فورا أو منحه حق تقرير المصير وذلك عن

طريق استفتاء عام يجرى داخل المديريات الجنوبية الثلاث(*) •

ومن الجدير بالذكر أن هذه الجبهة كانت الحزب السياسى الوحيد الذى ظل يعمل فى داخل السودان بعد عام ١٩٦٤ ، لذلك فقد لاقت آراؤه تأييدا واسعا فى صفوف الجنوبيين • وهذه الجبهة عدت من أخطـــر الاحزاب الجنوبية على وحدة السودان نظرا لدعوتها السافرة لانفصـــال الجنوب عن الشـــمال وصـــلاتها الوثيقة بمنظمة « الانيـــانيـــا » The Anya Nya (١) •

تلك هى خريطة الاحزاب السياسية فى السودان منذ نشأتها وحتى عام ١٩٦٩ • وقد تعرضنا لها بشكل سريع لان الهدف من عرضها على هذا النحو لم يكن الغوص فيها بشكل تفصيلى ، بل الاكتفاء بعرض نشأتهـــا ومبادئها وتطورها فى خطوط عريضة ، الامر الذى يســـهل من مهمتنا فى تفهم دور حزب الامة ومدى العلاقة بينه وبين هذه الاحزاب فى معترك العمل السياسى ، خصوصا وأن هذه الاحزاب سوف يتردد اســـماؤها وموقفها مرارا خلال هذه الدراسة •

* * *

---

(*) مديرية اعالى النيل ، ومديرية بحر الغزال ، والمديرية الاستوائية

(١) ابراهيم حاج موسى : المرجع السابق • ص ٥٦٩

**عوامل قيام الطائفية فى السودان :**

ان الحديث عن حزب الامة ومعظم الاحزاب السياسية الكبرى فى السودان يكون قاصرا اذا أغفل الحديث عن الطوائف الدينية وخصوصا الانصـــار والختمية • ففى رحم هاتين الطـائفتين تخلقت أكبر كتلتين سياسيتين فى السودان ونعنى بهما حزب الامة والحزب الاتحـادى • وبعبارة أخرى فان الطائفة والحزب فى السودان وجهان لعملة واحدة ، لذلك كان لابد من تفهم الطائفية كمدخل لدراسة الحزب •

ولسناهنا فى مجال التعرض للنشأة الدينية للطوائف ولكن يكفى — فى تقديرنا — أن نعرض لاسباب قيامها فربما يكون ذلك مدخـلا لفهم وتفسير كثير من الحقائق والاحداث التى جرت خلال فصول هـــذه الدراسة •

وهذه الاسباب يمكن ردها الى أســباب نفسية واجتماعية ودينية واقتصادية وسياسية •

١ — **الاسباب النفسية والثقافية :** يحتاج الفرد فى بعض الاحيان ، خاصة أولئك الذين لم يؤتوا نصيبا من العلم الى تفسير بعض الظواهر الطبيعية • وقد وقر لدى بعض الناس أن الحكم فى نظرهم تفويض من الله ، وأشاع الحكام عبارة « الحق الالهى المقدس للملوك » وأصـبح الحاكم ، على هذا النحو ، أداة لنقل ارادة الله للناس ، ومن ثم أصبحت طاعته واجبة من لدن الرعية •

ومعروف ان السودان كان ولايزال يموج بجماعات تعتقد كثيرا فى مثل هذه الاقوال ، ولاتزال قبائل كثيرة فى جنوبه وثنية •

وهكذا وجدت الطائفية فى السودان هذا الوضع النفسى ســائدا فأفادت منه كثيرا بل استطاعت أن تجعل من الفرد الحاكم أو الاســرة الحاكمة محورا لتعطيل عقل الفرد العادى ، وأضحت أعمال وتصرفات ذلك

الفرد أوتلك الاسرة هى المثل الاعلى ، ومن ثم كانت اطاعة أوامرها مهما كانت ، فهى فى نظره أسمى الاعمال وأجلهـا • وأكثر من ذلك فان اظهار عدم الرضاء على ذلك الفرد أمر يعرضه للكفر والدمار ! • وبمعنى آخر فقد ترك الفرد العادى أمور البحث والاجتهاد فى فهم وتفسير ما حوله من ظواهر وأولى ثقته العمياء لفرد أو لاسرة(١) •

ويرتبط بهذا الجانب ارتباطا حميما غياب النبع الثقافى الذى يحمى العقل البسيط من الوقوع فى مثل ذلك ، وبمعنى آخر عدم وجود مؤسسة علمية ثقافية فى السودان — كالازهر مثلا — اثناء انتشار هذه الطوائف والطرق فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر • فقد كان الازهر — آنذاك — بدراساته العلمية يؤدى هذه المهمة ، بينهما كان السودان بعيدا عنـه فترك هذا الجانب لرجال الطرق والطوائف الصوفية • !

٢ — اسباب اجتماعية :

معروف أن السودان بلد متعدد السلالات • ففى شـمـاله يقطن النوبيون ، وفى الشرق المجموعة البيجاوية ، وعلى طول مجرى نهر النيل وفى الغرب تسكن أكبر مجموعتين سـكانيتين تنتميان الى أصول عربية وتعرفان باسم الجعليين والجهنيين ، بالاضافة الى النوباويين فى الغرب بكردفان والزنوج فى الجنوب بحيث يمكن القول بأننا أمام « افريقيـة مصغرة »(٢) •

وعلى هذا النحو فاننا أمام عادات وتقاليد ولهجات بل ولغـات متعددة • ويغلب على سكان السودان الطابع القبلى حيث الولاء لزعيم وشيخ القبيلة المدبر لكافة أمورها بحيث أن كل أوامره وقراراته مهمـا كانت فانها واجبة الطاعة والتنفيذ • وعلى ذلك فاننا نلاحظ أن الطائفية فى السودان لم تكن مواجهة بتحدى اقناع مجموعة أفراد السودان كله ،

---

(١) انظر : المؤتمر الديمقراطى الاشتراكى — جامعة الخرطوم — تقييم الاحزاب السياسية ، حـ١ ، الخرطوم ، ١٩٦٦

(٢) حمدنا الله مصطفى حسن : التطور الاقتصـادى والاجتماعى فى السودان • ( ١٨٤١ — ١٨٨١ ) القاهرة ، دار المعـارف ، ١٩٨٥ ، ص ٣١٢ وما بعدها

لكنها بحكم المنطق القبلى مواجهة فقط بتحدى استمالة زعمـاء القبائل الذين يكفى استمالتهم فيسير كافة أفراد القبيلة فى ركاب الزعيم • وعلى هذا النحو استفادت الطائفية فى السودان من هذا الوضع الاجتماعى ، وعلى هدى منه خاضت أكبر الاحزاب السياسية الانتخابات •

٣ ــ أسباب دينية :

لكى نتفهم أثر هذا العامل حسبنا أن نعرض لاثر دخول الاسـلام الى السودان • فالطريقة التى دخل بها الاسلام سواء عن طريق الشمال أو الشرق أو الغرب كانت على يد فئات من العرب ، خاصة تلك التى جاءت من مصر ، أقل ثراء من الفئات التى آثرت العلم على الهجرة •

لقد كانوا مجموعة من الاعراب المسلمين الذين ضاقت بهم سـبل العيش فى الجزيرة العربية أو مصر ، ولم يكونوا أساسا فى مستوى يؤهلهم لنشر الدين الاسلامى بحيث أن واقعهم نفسه لم يمكنهم من فهم الدين فهما قويا •

وقد كان هؤلاء الاعراب المسلمون رعاة يبحثون بأنعامهم عن كلاء وماء ، فاذا ما علمنا أن السودان آنذاك كان يغلب على اقتصاده الطـابع الرعوى ، أدركنا مدى التحدى الذى كان يمثله أولئك المهاجرون الجدد على المواطنين الأصليين فى السودان • فقد كانوا مصدر تنافس فى وسـائل الرزق أكثر منهم دعاة لدين جديد ومن ثم كان من الصعب الاصغاء اليهم بسهولة وحتى لوحدث ذلك الاصغاء فانه كان قليلا •

والخلاصة أن السودان لم يتلق الاسلام بصورة قوية متكاملة عن طريق دعاة متفقهين فيه ، بل ترك العقـل غير محصن فهبت عليه رياح الطائفية واستغلت فيه سذاجة فهمه للدين بل وسخرته لمصالحها الشخصية وصورت له ان الانضواء فى صفوفها والطاعة العمياء لها هى سبل النجاة له من الكفر والالحاد[١] •

---

(١) المؤتمر الديمقراطى الاشتراكى : المصدر السابق • ص ٣.

### ٤ ــ أسباب اقتصادية :

من المعروف أن اقتصاد السودان حتى الان لايزال فى مرحلة متخلفة فما بالنا فى الاونة الماضية القريبة والبعيدة • فقد غلب على هذا الاقتصاد الطابع البدائى ، الذى يمكن اجمال خصائصه فى قلة رأس المال وانخفاض مستوى المعيشة • وهذه الخصائص لا تؤثر فى الجانب المادى وحسب ولكنها أيضا ذات تأثير بالغ من الناحية الاجتماعية • فتراكم رأس المال القابل للاستثمار وارتفاع المدخرات وازدياد الدخل القومى كلها عوامل مساعدة للنمو الاقتصادى المضطرد الذى يزيد من درجة الوعى الاجتماعى وذلك بادخال طرق جديدة لكسب المعيشة ، كالانتقال من بساطة المجتمع الزراعى الى تعقيدات المجتمع الصناعى • ومعروف أيضا أن زيادة معدلات النمو الاقتصادى يمكنها أن تشحذ ذهن الفرد والمجموع وتمكنه من مواجهة الصعاب مهما كانت تعقيداتها •

وكان الوعى السودانى ــ آنذاك ــ بسيطا لان حياة المواطن الاقتصادية كانت محدودة وأقرب الى البدائية • وهكذا وجدت الطائفية ذلك المناخ الاقتصادى ، وقد كانت مغايرة له فى المسكن والملبس والمشاكل والمواصلات الامر الذى أثار فضول الفرد السودانى ، بل كانت هذه المظاهر التى وجدها فى زعماء الطائفة شيئا يثير الانبهار والخشية معا • ولم تكن الطائفية تملك هذه الامور وحسب بل كانت أيضا تملك أدوات الانتاج من رأس المال وأرض وادارة وغير ذلك فهى تستطيع أن تشترى الايدى العاملة وتجعلها تدين له بالطاعة العمياء خاصة اذا كان زعيم الطائفة يمثل رمزا دينيا •

وقد صور أحد الدارسين سطوة عبد الرحمن المهدى الشخصية على الانصار الذين شكلوا جماهير حزب الامة بقوله أنه كان يكفيه أن يشير بأصبعه فتمتثل مئات الآلاف من الناس الذين لم يكونوا قد سمعوا عن معنى السياسة ، ولا يمكنهم ان يعوها لعدة سنوات آتية[١] •

---

(١) J..S.R. Duncan.: The Sudan. A Record of the Achievement. P. 197.

٥ ــ أسباب سياسية :

لقد استفاد الانجليز من الطائفية فى السودان واستخدموها فى فرض سيطرتهم على البلاد وعرفوا متى يضيقون الخناق عليهـــا ومتى يدعوها تتحرك بحساب دقيق • لقد استفادوا من الختمية فى أعقاب ضرب المهدية لاخفاء معالم أبناء المهدى وأنصاره الذين كانوا مصدر خطر عليهم• وحين شعر الانجليز بنمو الختمية نموا أصبح يمثل خطرا أعظم من خطر أبناء المهدى وأنصارهم تركوهم وبحثوا عن ابن المهدى السيد عبد الرحمن الذى ضيقوا عليه انخناق فى بادىء الامر ، ثم راحوا يسعون حثيثا نحوه حين بدأت شوكته تنمو فى التربة السودانية وبدأت من ثم مرحلة جديدة فى حياة البيت المهدى أطلق عليها « المهدية الجديدة » •

* * *

## ظهور المهدية الجديدة :

### فكرة المهدية :

قد لا يكون من قبيل انترف التاريخي أن نشير الى أن فكرة المهدى قد اتخذت لها مظهرين أساسيين فى العالم الاسلامى : فالشيعة يعتبرون المهدى هو ذاته الامام المختفى والمنزه عن الخطأ ، وينتظرون عـــودته المرتقبة . ولا ينبغى أن نشغل أنفسنا كثيرا بهذا الاعتقاد حيث لا يوجـد أرتباط بشكل مباشر بين المذهب الشيعى وبين الاسلام فى السودان .

أما جماهير أهل السنة فيؤمنون بالفكرة خلال الازمات لكنهـــا لم تلتصق بأصول عقيدتهم كجزء أساسى منها ، وعلى هذا يمكن القول انه من الاصوب اعتبار المهدية وليدة الجمع بين أفكار وآمال أكثر منها نظاما عقائديا مترابطا(١) .

وقد حاول الصادق المهدى — حفيد محمد أحمد المهدى — أن يشرح المهدية فى الاسلام ليثبت أنها عقيدة اسلامية قال بها أكثرية المسلمين وانها وردت فى بعض الصحاح الست مثل ( ابوداود — ابن ماجه ) لكن لم يشر الى ورودها فى صحيح البخارى وباقى كتب الصحاح(٢) .

وليس المجال هنا تتبع الفكرة فى التراث ، لكن يمكن القول بأن هناك تلاحما حميما بين فكرة المهدية — التى هى أحد أركان الفكر الشيعى — والصوفية التى لقيت انتشارا واسعا فى أرجاء السودان . وكما نجـــد الامام لدى الشيعة نجد « القطب » أو « غوث الزمن » عند الصوفية . لكن الامام يختلف عن القطب فى أن له سلطات دنيوية بجانب القـــوة الروحية . وقد أعطت فكرة المهدى المنتظر للصوفية ذراعا دنيويا لرفع

---

(١) هولت : المهدية فى السودان . ترجمة د . جميل عبيد . مراجعـــة د . احمد عبد الرحيم مصطفى . ص ٣١ .

(٢) الصادق المهدى : ايديولوجية المهدية . المؤتمر العالمى لتاريخ المهدية . الخرطوم ، ٢٩ نوفمبر — ٢ ديسمبر ١٩٨١ . ص ١

راية العدالة الاجتماعية ، كما أن فى فكرة المهدى الامل والانقاذ كما هو الحال فى الصوفية(١) .

ويمكن أن نخلص الى أن ظروف السودان كانت مهيأة لظهور المهدية ؛ فالطرق الصوفية كانت قد دخلت كل بيت سودانى ، بالاضافة الى أن محمد أحمد نفسه كان قد انضوى فى واحدة من هذه الطرق حينا من الزمن . كذلك فان الظروف الاقتصادية والاوضاع الاجتماعية بالسودان فى أواخر القرن التاسع عشر كانت قد وصلت الى درجة من السوء بات معها الشعب السودانى ينتظر المخلص والمنقذ فكان المهدى(*) .

وبالرغم من أن عام ١٨٩٨ يعتبر هو النهاية لدولة المهدى فى السودان ، الا أنه يمكن القول بأن الولاء للمهدية كان لايزال بين غلاة الانصار الذين استمروا فى زيارة قبة المهدى والخليفة وفى تلاوة « الراتب »(*) ، الامر الذى أقض مضاجع حكومة السودان .

وقد جرت سياسة الحكومة حيال البيت المهدى فى البداية على التسامح باعتباره جماعة دينية على أساس أن أبناء المهدى والخليفة ممن ظلوا على قيد الحياة كانوا لايزالون فى طور صغير لا يسمح لهم بتحمل القيادة ، بالاضافة الى الرقابة الصارمة التى لا تسمح بأى دعاية للعقائد المهدوية .

---

(١) محمد سعيد القدال : الرؤيا الثورية فى فكر المهدى (١٨٤٤ ـ ١٨٨٥). المؤتمر العالمى لتاريخ المهدية عام ١٩٨١ . ص ٩

(*) يقال ان فكرة المهدى المنتظر كانت منتشرة فى السودان قبل تبنى محمد احمد لها . فقد كان الصبية فى الابيض أثناء العابهم ينقسمون الى معسكرين ؟ معسكر المهدى ، ومعسكر الاتراك . كما أن عبد الله التعايشى الذى اصبح خليفة المهدى قد عرض الفكرة على الزبير رحمت باشا . وهناك رواية شفهية تذهب الى ان محمد احمد الخير عبد الله خوجلى قد نادى بالمهدية فى بربر

( انظر : القائمقام سعد الزبير : الزبير باشا رجل السودان . ص ٧٠ ،
انظر ايضا : محمد سعيد القدال : المرجع السابق . ص ٢٨ ، هامش رقم ٤٩ ) .

(*) الراتب عبارة عن أدعية ماخوذة من الاحاديث النبوية الشريفة أو كلام بعض الاولياء ، يتضمن الاستعاذة من كل شر وطالب الخير . وقد يتضمن الراتب بعض آيات القرآن الكريم . ويسمى بالراتب لان شيخ الطريقة يرتب قراءته على تلاميذه صباحا ومساء .

وفى عام ١٩٠٦ استقر السيد عبد الرحمن المهدى بأم درمان ومنح اعانة شهرية بلغت خمسة عشر جنيها من لدن الحكومة ، بالاضافة الى قطعة أرض بالجزيرة فى عام ١٩٠٨ ٠

وفى ذات العام بعث المفتش العام بالنهود رسالة الى المخابرات بالخرطوم يبلغها بأنه قد وعد السيد عبد الرحمن المهدى بالمساعدة فى بناء منازل له ولاعضاء بيت المهدى ، ويرجو اصدار الاوامر بدفع خمسة عشر جنيها لهذا الغرض (١) ٠

كذلك فقد طلب مساعد مدير المخابرات مساعدته فى عام ١٩٠٦ لبيع قطعة أرض بمنطقة « حلة انفيل »(٢) وفى عام ١٩٠٩ طلب مساعد مدير المخابرات بالخرطوم من الحاكم العام تقديم قرض للسيد عبد الرحمن لانشاء ساقية فى جزيرة أبا (٣) وفى نهاية مارس ١٩١٠ طلب عبد الرحمن المهدى مساعدة مالية للسفر الى جزيرة أبا بمديرية النيل الابيض لمعاينة أراضية الزراعية واعدادها للفلاحة(٤) وفى عام ١٩١٤ اعترف بالسيد عبد الرحمن المهدى زعيما لطائفة الانصار رغم أنه لم يكن للطائفة آنذاك وجود رسمى ٠ وهكذا بدأ يزداد نفوذ الرجل ، الامر الذى دعا الحاكم العام للسودان الى طلب مساعدته فى الدعاية ضد تركيا وكسب ود السكان فى الجزيرة وكردفان ودارفور(٥) ٠

وبالرغم من تراخى السلطات الانجليزية مع عبد الرحمن المهدى وبيته فى ذلك الوقت بسبب ظروف الحرب العظمى وغيرها فانه قد حذر

---

(١) Sudan Government. Intelligence Branch. 2/37/315. Natables Free Pasesers. Abd El-Rahman El Mahdi. 1908-1916.
دار الوثائق المركزية بالخرطوم ٠

(٢) Sudan Government. Intelligence Branch. 2/37/3—15. Abd El Rahman son of Mahdi, A.D.T. 386-12. 19-1-1909.
دار الثائق المركزية بالخرطوم ٠

(٣) Intelligence. 2-37-315. Abd El Rahman Wad El Mahdi. A.D.I. 386-72 19-1-1909.
دار الوثائق المركزية بالخرطوم ٠

(٤) دار الوثائق المركزية بالخرطوم ٠
Intelligence. 2-37-315. 13-7-1901.

(٥) محمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ٠ ترجمة هنرى رياض وآخران ٠ ص ١٨٣ ــ ١٨٥

من استغلال هذه الفرصة لاعادة « فكرة المهدية » بين الانصار(١) •

وفى أحد تقارير رجال المخابرات نقرأ بأن أكثرية سكان الكاملين يعتقدون فى المهدى وأن السيد عبد الرحمن سيحل محل الحكومة الحالية قريبا(٢) •

وقد أفتى الشيخ مصطفى المراغى فى ذلك الوقت بأن راتب المهدى لا يعتبر كتابا ممنوعا من وجهة النظر الدينية ، كما تمت الموافقة على أن يقيم السيد عبد الرحمن المهدى الصلاة بجامع أم درمان بعد أن ووفق على اقامته بها • وهكذا ارتفعت هذه القرارات بالمهدية الى درجة الاعتراف الجزئى بها كعقيدة دينية(٣) •

وقد توالى الاهتمام بالسيد عبد الرحمن من جانب الانجليز وتضخمت أراضيه بالسودان وخاصة بمنطقة الجزيرة • ففى عام ١٩١٥ منح أراض اضافية فى الجزيرة أبا • وفى عام ١٩٢٥ حصل هو وعبد الله الفاضل ومحمد خليفة شريف على رخصة لزراعة ٦٠٠ فدان بمشروع قندال لزراعة القطن ، كما تم منح السيد عبد الرحمن قرضا بمبلغ ٤٥٠٠ جنيها تنازلت عنه الحكومة فى عام ١٩٢٦ باعتباره هبة • وفى عام ١٩٣٣ بلغت المساحة المعدة للزراعة فى جزيرة أبا ومديريات الفونج والنيل الابيض وكسلا ١٣٫٠٠٠ فدان،كما أن دخل السيد عبد الرحمن تراوح مابين ١٥٫٠٠٠ الى ٤٠٫٠٠٠ جنيه فى العام الواحد • وبلغ عدد العمال بمشروع الجزيرة حوالى ٤٥٠٠ فردا • وفى عام ١٩٣٦ يمكن القول بأن السيد عبد الرحمن أصبح يمتلك الثروة والنفوذ السياسى(٤) •

ومن بين الدلائل التى تشير الى نفوذ السيد عبد الرحمن المهدى نجاحه فى عام ١٩٣١ فى اقناع طلاب كلية غردون بالعدول عن الاضراب

---

(١) Letters from Symes to Stack. Cairo, 4-3-1917.

انظر محمد عمر بشير : المرجع السابق • ص ١٨٥

(٢) Report by Secret Agent from Kamlin, April, 1916.

دار الوثائق المركزية بالخرطوم • Intelligence-Class a Box, 15.

(٣) محمد عمر بشير : المرجع السابق • ص ١٨٦

(٤) نفس المرجع • ص ١٨٦

بينما فشل باقى الزعماء فى هذه المهمة • وكان هـذا الاضـراب يرفض تخفيض مرتب الخريج من ستة جنيهات ونصـف فى الشهر الى خمسة جنيهات ونصف كما قررت الحكومة(١) •

ولقد تركزت جهود السيد عبد الرحمن المهدى منذ ذلك التاريخ فى النشاط الداخلى كالتبرع للجمعيات الخيرية والمدارس والمعهد العلمى بأم درمان ، كما كان يستقبل بمنزله الموظفين السودانيين والاجانب •

وهكذا بدأ نجم السيد عبد الرحمن المهدى فى الظهور بشكل جلى وأصبح من الشخصيات السودانية المؤهلة لقيادة الحركة الوطنية الامر الذى أصاب الادارة البريطانية وخصـوصا السياسـيين منهم بالهلـع الشديد •

ففى تقرير لقلم المخابرات فى عام ١٩٣٥ ورد تلخيص لموقف السيد عبد الرحمن جاء فيه : أن مطامح السيد عبد الرحمن هى مطامح سياسية بحته فهو ابن الرجل الذى وحد السودان ، وأن اهتمامه الرئيسى هـو خلق مركز مساو لمركز السيد على الميرغنى والحلول محله(٢) •

وقد وردت تقارير من غربى السودان فى عام ١٩٣٥ تنبىء بتزايد نشاط دعاة الحركة المهدية مثل الفكى عبد الله سليمان الذى طالب بجمع الزكاة لارسالها للسيد عبد الرحمن المهدى ، ويوسف أبو زفا الذى أعتقل فى « نيالا » عام ١٩٣٦ ، وجار النبى آدم وهو أحد الوكلاء النشـطين فى « دار مسانيت » عام ١٩٣٦ وكان يعمل على اقناع الناس للهجـرة الى جزيرة أبا ، ومحمد عبد الله أبو بكر الذى يرجع الى أصول حبشية حيث حكم عليه بالسجن والابتعاد عن البلاد(٣) •

---

(١) الصادق المهدى : رسالة الاستقلال • ص ٥

(٢) محمد عمر بشير : المرجع السابق • ص ١٩٥

(٣) S G.A.3. General Situation. Note on Mahdist Affairs 22-7-36.

انظر ايضا : محمد عمر بشير : المرجع السابق • ص ٦٩٦

وقد تزايدت دعوة المهدية الجديدة وبلغت ذروتها ، حتى أصبح الامر يحتاج الى حسم سريع من جانب الادارة البريطانية • ففى عام ١٩٣٦ عقد الحاكم العام مجلسا لبحث هذا الامر واقترح « ريد » مدير النيل الابيض — حيث تتركز أكثر أراضى السيد عبد الرحمن —بأنه لابد من ايقافه عند حده ولكن ليس فى الجانب الاقتصادى • كما رأى « بيرفس » مدير الشمالية الذى لم تتأثر مديريته بشكل مباشر بالمهدية الجديدة أن تترك الفصائل المختلفة لتصفية حساباتها فيما بينها ، بينما رأى مدير الخرطوم ضرورة قمع المهدية حيث بدأت الدعوة تتزايد بين صفوف الخريجيين • وعلق دوجلاس نيوبولد مدير كردفان — حيث نشط وكلاء المهدية هناك — بأن دعوة المهدية لم تعد مجرد طائفة دينية فحسب بل أضحت مصدر ازعاج للامن العالم • كما طالب كينيدى كوك مدير كسلا بضرورة انزال عقوبات صارمة على السيد عبد الرحمن المهدى • وفى ختام هذه المناقشات صدرت قرارات من جانب المديريين أعتبرت توصيات للحاكم العام ، وتتلخص فى حرمان السيد عبد الرحمن من مرتبه ، ومنع الهجرة الى أبا ، والموافقة على زيارة يقوم بها السيد على الميرغنى الى مدينة الابيض ، ومنح لقب سير أو فارس للسيد محمد عثمان ابن أخ السيد على الميرغنى لتمييزه عن غيره لانه سيخلف السيد على ، والموافقة على طلب العون المالى المقدم من السيد على ، واجراء دراسة مستفيضة للتوسع الزراعى للسيد عبد الرحمن المهدى فى منطقة النيل الابيض ، وتشجيع المشروعات الزراعية التى يمتلكها غير المهدويين[1] •

وقد ظلت حكومة السودان تعادى المهدية الجديدة حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ حيث أصبح من الضرورى الاعتماد على المهدى الذى كانت تسعى بالامس الى وقف نفوذه السياسى • وما أن حل عام ١٩٤٤ حتى أصبح نفوذ المهدية قويا وبات من الضرورى لحكومة السودان أن تجد حلا لهذه المسألة التى لم تعد سرا ، وكان لابد أيضا من

---

(١) Minutes of the Northern Government's Mee.ing, November 29, 1936, Northern Provence 1-16.

انظر : محمد عمر بشير : المرجع السابق • ص ١٩٦ ومابعدها •

البحث عن صيغة قانونية لها لانها أصبحت جزءا من تيار الحركة السياسية السودان فكان انشاء حزب الامة عام ١٩٤٥ لهذى أصبح بمثابة تتويج لجهود السيد عبد الرحمن المهدى التى بدأها منذ الحرب العالمية الاولى فى السر ثم بعد ذلك فى العلن ببعث حركة المهدى ٠

* * *

## قيام الحزب :

هنالك حقيقة هامة قد لا تحتاج الى جدل كثير مؤداها أن الاحزاب السودانية لم تولد من أصلاب الطبقات لكى تعبر عن مصـــالح طبقية : فالسودان لم يحو بين جنباته طبقات بالمفهوم الاقتصادى الحديث بل ان هناك طبقة واحدة غالبة وفضفاضة قوامها من يملكون ويعملون فى قطاعات الرعي والزراعة التقليدية المتخلفة والحديثة(١) ٠

ويبقى السؤال الهام اذن فمن أى الارحام خرجت الاحـــزاب السودانية بشكل عام وحزب الامة على وجه الخصوص ؟

على الرغم من تزايد الاحزاب السودانية فى الفترة الاخيرة وتعقدها وتشابكها واختلاف الرؤى التى تطرحها فى الساحة السياسية السودانية الا أننا لانكاد نميز منها سوى الحزبين الكبيرين ، حزب الامة والحزب الاتحادى اللذين قادا الحركة السياسية السودانية منذ نشأتهما وحتى الوقت الحاضر واستندا على أسس طائفية دينية : الانصار بالنسبة لحزب الامة والختمية بالنسبة للحزب الاتحادى ٠ وعلى هذا النحـــو يمكن أن نقول بأن حزب الامة قد ولد ونشأ فى كنف الانصار وكامتـــداد طبيعى للمهدية ٠

وقد اكتنف هذه النشأة ظروف تاريخية وسياسية أخرى أدت الى ميلاد الحزب فى فبراير عام ١٩٤٥ اختلف حولها الكثيرون ولا تزال محل جدل ونقاش فيما بينهم ٠ وقد يكون من الصواب لفهم نشأة هذا الحزب رصد ومتابعة ما كان يدور فى داخل حركة مؤتمر الخريجين الوطنية ، ذلك المؤتمر الذى كان نتيجة حتمية لتطور السودان الحديث منذ الحرب العالمية

---

(١) شيخ ادريس ابراهيم المحامي : الطريق الى الحزب الغالب ٠ دار الكتاب السوداني ٠
الخرطوم ( بدون تاريخ ) ٠ ص ٢٢

الاولى(١) .

لقد كان السيد عبد الرحمن المهـدى يتقرب الى مؤتمر الخريجين خصوصا وأنه كانت بينه وبين الانجليز جفوة فأراد أن يدعم نفوذه بين صفوف الخريجين التى كانت تضم بين ظهرانيها جمـاعة الاشقاء التى كان بعض أفرادها يلقى قصائد المديح أمامه الامر الذى جعله يطمح الى أن يكون فى موضع الزعامة داخل المؤتمر(٢) .

ولما كان المؤتمر قد بدأ يأخذ شكلا سياسيا بديلا للواجهة التعليمية التى عرف بها خاصة بعد زيارة على ماهر للسودان وتقديم المؤتمر لمذكرته السياسية فى أبريل عام ١٩٤٢ . فقد انزعجت الادارة البريطـانية لذلك التحول وخشيت من اجتذاب السيد عبد الرحمن الى مصر فقالت بمهادنته واستغلال جماعة الاشقاء التى قام بدعوتها للاجتماع به مع حضـور « نيوبولد » والشريف يوسف الهندى والسيد محمد على شوقى والشيخ أبو شامة عبد المحمود ومحمد صـالح الشنقيطى . ولوح الانجليـز باستعدادهم لتسليم السودانيين شئون بلادهم تدريجيا مع اعدادهم لحكم أنفسهم بأنفسهم . وانقسم الحاضرون الى فريقين : فريق يحبذ هـذه الفكرة تحت تأثير السيد عبد الرحمن المهدى وآخر يرفضها . وقد جرى اجتماع ثان بعد ثلاثة أيام من الاجتماع الاول فكان مصيره الانقسـام أيضا . وهنا أخرج الانجليز من جعبتهم شعار « السودان للسودانيين » وأوعزوا بانشاء حزب الامة . ولوحوا للسيد عبد الرحمن المهدى بالملك وأنه باستطاعتهم أن يحققوا له ذلك من خلال المنظمات الدستورية التى ابتدعوها (٣) .

---

(١) احمد ابراهيم دياب : تطور الحركة الوطنية فى السودان ( ١٩٣٨ ـ ١٩٥٣ ) معهد البحوث والدراسات العربية . بغداد ، ص ٢٣٠ ومابعدها .

(٢) مذكرات خضر حمد : المصدر السابق . ص ١١٢

(٣) انظر حول ذلك كلا من :
- احمد ابراهيم دياب : المرجع السابق . ص ٢٣٠ ومابعدها .
- على عبد الرحمن : الديمقراطية والاشتراكية فى السودان . ص ٨١

ولقد كانت نتيجة انتخابات الهيئة الستينية لمؤتمر الخريجين في ٢٧ نوفمبر عام ١٩٤٤ على غير ما كان يأمل السيد الرحمن ، حيث فاز الأشقاء بأغلبية ٣٦ مقعدا ، بينما لم ينل تحالف المهدويين والاتحاديين والقوميين سوى خمسة عشر مقعدا . كذلك فقد كانت هذه النتيجة على غير ما كانت تتوقع الادارة الانجليزية وفي غير مصـلحة المخابرات البريطانيـة في السودان ، فانتهز السيد عبد الرحمن فرصـة وجود أعضـاء المجلس الاستشاري الاقليميين في الخرطوم وقدم لهم فكرة انشاء «جريدة الامة» لتنطق بلسان حال الحزب . ووافق أكثر الاعضاء الاقليميين الا قليلا على الانضمام والمشاركة . وهكذا كانت النواة الاولى لحزب الامة من بعض أعضاء المجلس الاستشاري والعناصر التي وصفت بأنها معتدلة (١) .

وفي ١٨ فبراير عام ١٩٤٥ بعث عبد الله خليل خطابا للسـكرتير الاداري يطلب منه التصريح بانشاء حـزب الامـة والموافقـة على دستوره(٢) .

ويبقى أن نذكر رواية أصحاب الحزب نفسه حول نشأته من خلال البيان الذي أصدره الحزب على لسان سكرتيره العام عبد الله خليل في ٢٥ فبراير عام ١٩٤٥ فقد جاء فيه « .. والتقى من أبناء السـودان في سعيهم وقلبوا وجوه الرأى جميعهـا وعملوا للظروف الحاضره حسابها وللمستقبل القريب حسابه وللبعيد حسابه ، فرأوا أن الوقت قد حان لقيام حزب سياسي يكون نقطة ارتكاز لليقظة الفكرية السـودانية التي بدت تتلمس طريقها للافصاح عن رأيها في مستقبل البلاد ليطالب بحقـوق السودان الطبيعية الى قطع السودانيون شوطا بعيدا في طريق التأهل لحمل أعبائها ، كما أثبتوا ادراكهم بقيمتها بما قاموا به من نصيب في نصرة المبادىء الانسانية التي من أجلها خاض السودان مع بريطانيا العظمى

---

(١) احمد ابراهيم دياب : المرجع السابق . ص ٢٣٤

(٢) F.O. 141-1024. Political Situation in Sudan.

انظر ايضا : F.O. 141-1024. Appendix «A» (1) from Abdalla Khalil to H.H. Macintosh Governor, Khtm. 20—2—45.

وحليفاتها غمار هذه الحرب الضروس ٠٠ رأوا أن الوقت قد حان لقيام حزب سياسى فاتصلوا ببعض كبار الخريجين وقادة الرأى واتصلوا ببعض زعماء العشائر ورؤساء القبائل ووجهاء القوم فتوالت الاجتماعات لتمحيص الآراء واتباع الذى هو أقوم وأخيرا أقروا تكوين حزب سياسى واختاروا له اسم حزب الامة »[1] ٠

وأخيرا نقرأ فى وثائق الخارجية البريطانية لعام ١٩٤٥ — وهو العام الذى أعلن فيه قيام الحزب — قصة تأسيس هذا الحزب حيث جرى فى أوائل يناير عام ١٩٤٥ عقد اجتماع من جانب مؤسسى الحزب فى أم درمان وذلك لوضع البرنامج والقواعد التى سوف يسير الحزب على هداها ٠ وقد حضر هذا الاجتماع ثلاثون فردا من الخريجين من الانصار والقوميين أمثال الشيخ أحمد عثمان القاضى وعبد الله بك خنبل ومحمد على شوقى وابراهيم أحمد ومحمد خليفة شريف ومحمد عثمان ميرغنى ، وأحمد يوسف هاشم وعبد الكريم محمد[2] ٠

وقد جرت مناقشات واقتراحات وتشكلت لجنة من الشيخ أحمد عثمان القاضى ومحمد على شوقى ومحمد عثمان ميرغنى لدراسة هذه الاقتراحات ورسم القواعد والبرنامج[3] ٠

وفى ذات الوقت تلقى السكرتير الادارى خطابا موقعا من الشيخ سرور رملى يخبره فيه بأن التماسا قد قدم الى السكرتير القضائى

---

(١) انظر بيان حزب الامة حول نشأة الحزب فى : السودان الجديد : العدد رقم ٦٦ ، السنة الثانية بتاريخ ٦ ابريل ١٩٤٥ ٠

انظر ايضا حكومة السودان : تقرير عن ادارة السودان فى عام ١٩٤٥ قدمه الحاكم العام لحكومة صاحبة الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة وللحكومة المصرية الملكية ٠ ص ٣

(٢) F.O. 371-45972. Sudan Political Intelligence 30th January, 1945. No. 45. P.. 3.

(٣) F.O. 371-45972. Ibid.

لتسجيل جماعة تحت اسم « جماعة الأمة السودانية » The Umma El-Sudanya Company لانشاء جريدة تحمل اسم الامة(١) .

وتمضى هذه الرواية قائلة بأن المؤسسين قد أخبروا بأن التماسهم بطلب الترخيص ينبغى أن يتم حينما يكون المشروع مكتمل التفاصيل ، وأن اسم الجماعة المقترح لن تتم الموافقة عليه قبل اجراء التعديلات اللازمة . وكانت العقبة التى واجهت المؤسسين أنهم جميعا كانوا موظفين حكوميين فكان لزاما عليهم أن يقدموا استقالاتهم(٢) .

وفى موضع آخر من الوثائق البريطانية نقرأ بأن الحاكم ( حاكم مديرية الخرطوم ) قد وافق على انشاء ناد (Club) وفقا للبند رقم ١٦٥ من لوائح قانون الحكومة المحلية لعام ١٩٣٨(٣) .

ولقد اعترضت فئة من أعضاء الحزب المؤسسين على كلمة ( نادى ) التى وردت فى الرد باعتبار أنها وصف خاطىء وغير لائق لحزبهم الامر الذى أثار خوفهم من أن هذا الوصف من جانب الحكومة قد يعنى ضمنا عدم استعدادها للموافقة على الاهداف السياسية التى تضمنها دستور الحزب . كما فسر آخرون هذا الرد الذى جاءهم من لدن حاكم المديرية بدلا من السكرتير الادارى على أن الحكومة سوف تقصر نشاط الحزب على مديرية الخرطوم وحسب(٤) .

وقد جرى — سرا — شرح هذا الوضع لاولئك الاعضاء بأنه ليس هناك نص فى القانون للموافقة على الاحزاب ، وأن الموافقة الوحيدة التى يمكن الحصول عليها هى مجرد انشاء ناد (Club) كما جاء فى القانون ، وأن ذلك كاف تماما لتغطية كافة الاهداف التى يبتغونها . كما جرى لفت أنظارهم الى أن الاحزاب السياسية الكبرى فى انجلترا ومصر متطابقة

---

(١) F.O. 371 - 45972. Op. Cit

(٢) F.O. 371-45972. Ibid

(٣) F.O 371- 45972. Sudan Political Intelligence. Summary No. 47. February, 1945.

(٤) F.O. 371- 45972, Ibid.

ومماثلة لانديتها(١) .

## صلة الانجليز بالحزب :

ولم يسلم الحزب من الصاق تهمة التعاون مع الانجليز منذ نشأته حيث يروى احمد خير فى مذكراته بأن هذا الحزب قد نشأ فى ظــروف قاسية « .. يتستر عليه أهله ويتهامس بأهله ذووه .. ولد وذكرى حزب الامة المصرى مازالت ماثلة فى الاذهان وشعار ( مصر للمصريين ) دليـل الاتجاه الخاطىء أو التضليل المشين »(٢) .

ويبدو مما سبق عرضه ومما هو آت أن الحزب فى نشأته لم يكن مبرأ من تهمة الاتصال بالانجليز . فقد جاء فى مذكرات السـيد عبد الرحمن المهدى أن « .. الانجليز قد تغاضوا عن الحركة الاستقلالية وعن حـزب الامة اذ كان همهم الاول انقضاء على النفوذ المصرى .. » ويضيف راعى الحزب قائلا : لم يكن حزب الامة مبرأ من الاخطاء ومن أخطائه البارزة أنه ذهب فى بعض الظروف أكثر مما يجب فى مهادنة الحكومة .. »(٣) .

ويفسر البعض الاتجاه البريطانى لحزب الامة والدعم المقدم له من لدن الادارة البريطانية بأنه ربما يعود الى المشاعر غير الودية للمصريين من جانب المهدى نفسه وأتباعه وأنه كان يأمل فى حصول الســودان على الاستقلال ويتمكن من اقامة حكم ملكى لنفسه (٤) .

ومعروف أن العلاقة البريطانية مع عبد الرحمن المهدى كانت تتسم ــ فى البداية ــ بالخوف خشية احياء قومية أو ثورة والده فحـــددوا نشاطاته فى شبابه حتى اندلاع الحرب العالمية الاولى وما بعدها كما سبق أن أشرنا الى ذلك . كذلك فانهم كانوا يخشون نفوذه المنتشر فى غــربى السودان بكرد فان ودارفور فعملوا على تحديد نشاطه فى منطقة الجزيرة

---

(١) F.O. 371— 45972. Op. Cit.

(٢) كفاح جيل ، ط ٢ ، ص ١٥٢

(٣) الصادق المهدى : جهاد فى سبيل الاستقلال ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٤) Faburmi, L.A; The Sudan in Anylo Egyptian Relation Acase Study in Power Politics. 1800- 1956. P. 23/-23.

وبالتدريج اتجهت سياسة المحاصرة الى التعاون معه • وقد لعب الانجليز نفس الدور مع سير أديمو الاكيجا Sir ADeymo Alakija في نيجيريا ، وأيضا مع السيد الميرغنى بشكل متوازن ، ولكن حين بدأ المهدى يقف كزعيم للاستقلال وضد فكرة الاتحاد مع مصر اتجهوا اليه وأعطوا ظهرهم للميرغنى (١) •

وفى المذكرة التى كتبها السكرتير الادارى للسودان الى مديرى المديريات السودانية عن صلات الحزب بالانجليز طلب منهم ألا « •• يهملوا حزب الامة أو يسيئوا استخدامه حتى لا يفقدوا مساعدته » (٢) •

ولم نذهب بعيدا وأمامنا بيان اعلان قيام الحزب نفسه الذى لاينكر البتة هذه الصلة • فقد ورد فيه أن القائمين على الحزب « •• لن يتكروا لانجلترا جميلها الذى بذرته بأموال المحسنين الانجليز اذ شيدوا كلية غردون فأشع منها نور أضاء القطر ، ولن ينسوا للمحسنين الانجليز مساهمتهم فى تشييد مدرسة كتشنر الطبية لتكون عونا على تخفيف الآلام •• »(٣) •

ويبدو أن هذه الصلة بين حزب الامة وحكومة السودان قد تناقلتها الصحف المصرية من حيث مسئولية الانجليز عن تأسيس الحزب ومساعدتهم له بمبلغ عشرين ألف جنيها مصريا وغير ذلك من التهم • وقد بعث المستر روبرتسون السكرتير الادارى لحكومة السودان برسالة

---

(١) Ibid, P. 333.

(٢) F.O. 371-45984. Robertson to Sudan Agent, 8th April, 1945

انظر أيضا : احمد دياب : المرجع السابق • ص ٢٣٨

(٣) انظر بيان عبد الله خليل سكرتير عام الحزب منشور بمجلة السودان الجديد ، العدد رقم ٦٦ بتاريخ ٦ ابريل ١٩٤٥

الى الصحف السودانية — ومنها جريدة الامة — محاولا نفض هذه التهم عن حكومة السودان ، وأنها تقف موقف الحياد التام من جميع الاحزاب السياسية « التى ليست هدامة » • وقد تحفظ السكرتير الادارى فى رسالته قائلا : « •• وعندما تكون الاهداف المعلنة لاى حزب من الاحزاب مطابقة لسياسة الحكومة •• فان الحكومة بالطبع تعطف على مثل تلك الاهداف »(١) •

ومع ازدياد التهم والاشاعات التى سرت حول صلة الانجليز بحزب الامة راحت حكومة السودان تنفى — على لسان السكرتير الادارى — هذه الصلة وتعتبرها مجرد اشاعات وتصور خاطىء •

ففى بيان للصحافة السودانية بتاريخ ١٢ يونية عام ١٩٤٥ أجاب السكرتير الادارى على عدة تساؤلات ، من بينها تساؤل حول اشاعة فكرة اعلان الملكية فى السودان على يد السيد عبد الرحمن المهدى ذكر فيه أن هذه الاشاعة قد أطلقها أتباع المهدية لكسب المزيد من الانصار كما روجها أيضا خصوم المهدية لجمع كل المعادين لآل المهدية الى جانبهم(٢) •

وتذكر احدى وثائق الخارجية البريطانية أنه تم استدعاء السيدين ( المهدى والميرغنى ) وأفهما أن الاشاعات التى سرت بأن حكومة السودان تساند حزب الامة وتفكر فى اعلان الملكية فى السودان لا أساس لها من الصحة (٣) •

وتجدر الاشارة هنا الى تشابه الظروف التى نشأ فيها حزب الامة السودانى مع شبيهه حزب الامة المصرى من حيث نشأتهما حول

---

(١) الامة : العدد رقم ٤٢٦ ، بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٤٦ ، ص ١

(٢) F O. 371-45972. Sudan Political Intelligence. Summary No. 50 ( The Civil S cretary's Stateffent .o the Press on June 12th 1945.

انظر ايضا :

(٣) F.O. 371-45972, Sudan Political Intelligence, Summary No. 97. 28th March 1945.

جريدة تعبر عن رأيهما ، بالاضافة الى الاتهامات التى راحت تطاردهما من حيث دور الانجليز فى صنعهما(*) •

من ذلك كله نرى أن فكرة حزب الامة قد ولدت فى بيت الانصــار وحملها الامام عبد الرحمن المهدى الى مؤتمر الخريجين الذى كان يتزعم الحركة السياسية آنذاك ثم القى بنفسه فى أحضان الانجليز ليخلق توازنا مع رجال الختمية والاتحــاديين الذين كانوا يلاقون عطف مصر الطرف الثانى فى حكومة الاتفاق الثنائى ، فالتقطة رجال حــكومة الســـودان الانجليز ومنحوه الشرعية السياسية وتعهدوه بالرعاية وهو مالم تنــكره وثائق أصحاب الحزب نفسه بينما أنكرته الوثائق البريطانية !•

* * *

(*) انظر : احمد زكريا الشلق : حزب الامة ودور فى السياسة المصرية • دار المعارف • القاهرة ١٩٧٩ •

**برنامج الحزب :**

انطلقت فلسفة حزب الامة من شعاره الرئيسى الذى ضمنه دستوره الاول فى عام ١٩٤٥ والذى يعلن ( السودان للسودانيين )(١) •

ويرى البعض أن هذا الشعار قد اتخذته من قبل الجماعة التى التفت حول رئيس تحرير « جريدة الحضارة » حسين الخليفة شريف فى عـام ١٩٢٤ • وقد كان حسين الخليفة وجماعته «حزبا معتدلا مواليا للحكومة»• وبموت زعيمه عام ١٩٢٩ تفرقت هذه الجمـاعة التى كانت تتخـذ من « السودان للسودانيين » شعارا لها ، وان ظل هذا التعبير شعارا لعدد من الموظفين والضباط •

ثم ظهر الشعار مرة ثانية « لجماعة الفجر » بقيادة عرفات محمد عبد الله الذى لعب دورا بارزا فى ثورة ١٩٢٤ • وبموت عرفات وقيام مؤتمر الخريجين فى فبراير ١٩٣٨ اختفت جماعة الفجر واختفى هـذا الشعار حتى أخرجه الانجليز حين أو عزوا بقيام حزب الامة(٢) •

وهناك من يرى أن صاحب هذا الشعار هو السيرونجت Wingate حاكم السودان وسردار الجيش المصرى الذى خلف السير مكما هون فى

---

(١) احزاب سودانية ١/٣/٤٤ ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم •
انظر ايضا : برنامج حزب الامة الانتخابى سنة ١٩٥٧ •
انظر ايضا : دستور حزب الامة المعدل سنة ١٩٦٧ •
(٢) خضر حمد : المصدر السابق • ص ٩١ ، انظر أيضا : احمد دياب • المرجع السابق • ص ٢٣٢

F.O. 141-1024. Civil Secretary's Office (P.O.Box 282) Khartoum 8th April, 1945

انظر ايضا : F.O. 371-45984. from Robertson to Sudan Agent. 1945

انظر ايضا : F.O. 371-45972, Sudan Political Intelligance. Summary No. 47. February, 1945.

انظر ايضا :
F.O. 141-1024. Appendix «A» (2) Constitution of the Nation Party. 1364 A.H. — 1945 A.D, Omdurman 12-2-45

نوفمبر ١٩١٦ • وقد ابتكره ونجت لصد تأثير الحركة الوطنية المصرية ــ بقيادة سعد زغلول فى عام ١٩١٩ ــ على السودانيين[١] •

واذا ما عدنا الى برنامج الحزب نفسه عام ١٩٥٧ لنفهم ماذا يعنى بهذا الشعار فاننا نقرأ أن هذا الشعار هو جماع فلسفة الحزب السياسية والاقتصادية والاجتماعية • ففى الفترة السابقة على الاستقلال نادى الحزب بالاستقلال التام للسودان ، وكان الشعار يعنى عند رجال الحزب أن يكون السودان وطنا حرا يصرف السودانيون وحدهم أموره وشئونه العامة ولا يشاركهم فيه أحد ، وبالتالى فانهم وحدهم الذين ينعمون بخيره[٢] •

وفى الجانب السياسى أصبح هذا الشعار يعنى صيانة الاستقلال وتدعيمه اذ أنه أصبح يعنى ــ فى أعقاب الاستقلال ــ « •• أن يبقى السودان وطنا حرا يسعد بالبقاء فيه جميع السودانيين ، فلا تمييز ولا عنصرية ولا تفرقة بين الموالين وغير الموالين •• » ، بل أن يوفى كل مواطن حقه وأن يطلب منه فى نفس الوقت أداء واجبه نحو سائر المواطنين وبالتالى وطنه • وباختصار فان فلسفة الحزب السياسية من خلال هذا الشعار ــ كما ورد بالبرنامج ــ تقوم على تكليف السودانيين جميعا بأداء واجباتهم على الوجه الاكمل وكفالة جميع حقوقهم ووفائها لهم جميعا بلا تفرقه ، وهى فلسفة ــ كما يقولون ــ تتمشى مع شعار « السودان للسودانيين » ، وأن السودان لن يبقى لابنائه الا اذا أدوا جميعهم واجباتهم كاملة[٣] •

وراح رجال الحزب كذلك يشرحون كيفية تطبيق هذا الشعار فى

---

(١) محمد على الطيب : الحركة الوطنية فى السودان من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٥٦ ، ص ٦١ •
انظر ايضا :

Sudan Intell, Reports. Letters from Wingate to Earl Curzon 26 March, 1919.

(٢) برنامج حزب الامة الانتخابى سنة ١٩٥٧ • دار الوثائق المركزية بالخرطوم •
(٣) نفس المصدر •

المجال الخارجى ، فذهبوا الى أن أية علاقة خارجية لا تحقق مصــلحة السودان والسودانيين ولا ترعى الاستقلال والسيادة رعاية كاملة تعد مرفوضة اذ أنه لامساومة — عندهم — فى هذا المبدأ العام • ولما كانت الشئون الخارجية تقوم أساسا على معاملة المثل فانهم بالتالى لا يقدمون على أية سياسة خارجية من شأنها التدخل فى شئون دولة أخرى(١) •

كذلك فانهم طالبوا بتطبيق هذا الشعار فى المجال الاجتماعى حفاظا على التقاليد الموروثة وصونا لكرامة الفرد والمجمــوعة • وفى مطالبتهم بشعار السودان للسودانيين أعلنوا أنهم يدركون بأنهم فى بلاد اتسعت رقعتها وباعدت المسافات بين أهلها • وبالرغم من ذلك كله فالسودان فى نظرهم لن يعدم الروابط التى تنشىء أمة قوية متماسكة وأنهم سيعملون على تقويتها حتى تختفى النعرات التى تفرق بين الناس(٢) •

واذا عدنا الى تقصى ماذا كان يقصد بشعار السودان للسودانيين فى كافة المراحل الزمنية التى مر بها السودان خاصة بعد انشاء الحزب فى شتاء عام ١٩٤٥ وما بعد ذلك فسوف يتبين لنا ان هذا الشعار كان مقصودا به عند رجال الحزب التخلص من القوى الاجنبية فى السودان ، وضرب الفكرة التى نادى بها فريق من السودانيين خاصة قبل عام ١٩٥٦ بايجاد رابطة اتحادية مع مصر • وبمعنى آخر كان مغزى هذا الشعار يدور حول هذا المعنى السياسى المرتبط ارتباطا وثيقا بالقضية الوطنية التى كانت تعنى بالتحديد آنذاك التخلص من دولتى الحكم الثنائى • لذلك كله فاننى اتفق فقط مع ما ذهب اليه رجالات الحزب بالنسبة لهذا الجانب • أما محاولة تطبيق هذا الشعار على جوانب أخرى سياسية واجتماعية انمـــا هو نوع من الاقوال النظرية الدعائية للحزب لتحقيق مكاسب انتخابية ، فمن الذى يختلف معهم بأن السودان للسودانيين بعد الاستقلال ؟ • ان هذا الشعار — فى تقديرى — قد ذهب بذهاب دولتى الحكم الثنائى سنة ١٩٥٦ •

---

(١) برنامج حزب الامة الانتخابى سنة ١٩٥٧ •

(٢) نفس المصدر •

انظر ايضا : Duncan ; Op. Cit. P. 197.

ولقد عدل الحزب كثيرا فى برامجه منذ أول برنامج له عام ١٩٤٥ وحتى برنامجه الشهير « نحو آفاق جديدة » الصادر عام ١٩٦٥ والذى يحتاج منا لوقفه متأنية اذ أنه يعتبر فى تقديرى تتويج لبرامج السابقة ويمثل رؤية ناضجة للحزب بعد أن قطع شوطا كبيرا فى ممارسة العمل السياسى ، لذلك كله فان عرض أفكار ورؤى الحزب من خلال هذا البرنامج ربما تعطينا صورة واضحة عن أفكاره فى كافة قضايا السودان(*) .

فبالنسبة لنظام الحكم أشار برنامج عام ١٩٦٥ الى أن الشكل الديمقراطى للحكم الديمقراطى الذى يحقق الاستقرار للسودان ، فى ظل ظروفه التى تتميز بالعصبيات القبلية والعنصرية والطائفية ، هو أن تختار البلاد رأسها الدستورى الذى يتولى مسئولية الحكم ويرمز لوحدة الامة ، اختيارا شعبيا مباشرا ليحكم البلاد فترة محدودة من الزمن لا يخضع الحكم اثناءها لاهتزازات أو تغيير ، على أن يتولى التشريع — الى جانبه — مجلس نيابى يختاره الشعب ويكون مسئولا عن اجازة القوانين أو تعطيلها ، وينظم العلاقة ما بين ذلك الرئيس المنتخب وذلك المجلس النيابى، وهذا كله — فى نظرهم — يتمثل فى نظام الجمهورية الرئاسية(١) .

وبالرغم من هذا الاعلان الصريح للنظام الرئاسى الذى يهدف اليه الحزب فان خصومه السياسيين وغيرهم اتهموه — خاصة فى بداية نشأته

---

(*) حول دساتير ولوائح حزب الامة انظر ما يلى :
- اللائحة الداخلية لحزب الامة بسنة ١٩٤٥ .
- دستور حزب الامة سنة ١٩٤٥ .
- دستور حزب الامة سنة ١٩٥٧ .
- اللائحة الداخلية لحزب الامة سنة ١٩٦٤ .
- دستور حزب الامة ( نحو آفاق جديدة ) سنة ١٩٦٥ .
- برنامج حزب الامة الانتخابى سنة ١٩٦٧ .
- دستور حزب الامة ( جناح الهادى ) المعدل سنة ١٩٦٧ .
- البرنامج الانتخابى لحزب الامة ( جناح الهادى ) ابريل ١٩٦٨ .
( دار الوثائق المركزية بالخرطوم ) .

(١) برنامج حزب الامة عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م ، نحو آفاق جديدة . الخرطوم . ص ٥ - ٦

ـــ بأنه كان يرمى الى إعلان ( ملكية مهدية ) فى السودان ، الامر الذى اضطر السكرتير الادارى الى اصدار بيان فى يونية عام ١٩٤٥ ينفى فيه أن يكون انشاء الحزب مخالفا للاهداف التى اعلنها دستوره والتى أقرتها الحكومة من قبل[1] .

كذلك فقد أمر الصادق المهدى ـــ حفيد السيد عبد الرحمن ـــ بوجود اتجاه داخل حزب الامة كان يدعو ـــ آنذاك ـــ الى الاخذ بنظام الملكية [2] .

ويبدو أن هذه الفكرة ـــ فكرة الاخذ بالنظام الملكى ـــ كانت مطروحة على الساحة السياسية فى بادىء الامر عند قيام حزب الامة مما أدى الى انسلاخ نفر من الخريجين عن عضوية المؤتمر وكونوا حزبا جديدا عرف باسم ( الحزب الجمهوري ) تميزا لاتجاههم نحو الجمهورية ورفضا للملكية [3] .

وفى مجال القضاء حدد البرنامج مصادر التشريع والقانون فى ثلاثة مصادر :

١ ـــ المصادر الاسلامية .

٢ ـــ المصادر الوضعية التى لا تتعارض معها .

٣ ـــ المصادر العرفية المستمدة من التقاليد السودانية الحميدة[4] .

---

(١) Report on the Adminstration of the Sudan in 1945 ( Reporte 1—10—55)

(٢) الصادق المهدى : جهاد فى سبيل الاستقلال . ص ١٢٧

(٣) الاخوان الجمهوريون : معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية خلال ثلاثين عاما ( ١٩٤٥ ـــ ١٩٧٥ ) . الكتاب الاول ، ط ١ ، الخرطوم ، ١٩٧٦ .
انظر ايضا :محمد على الطيب : المرجع السابق . ص ٦٥ ـــ ٦٦
انظر ايضا : احمد محمد شاموق : المرجع السابق . ص ١٤ ـــ ٢٤
انظر ايضا : السودان الجديد : العدد رقم ٧٢ بتاريخ ١٨ مايو ١٩٤٥ . ص ١٤

(٤) برنامج حزب الامة : « نحو آفاق جديدة » . ص ٧

ويبدو أن هذا التقسيم يعكس التركيب الاجتماعى للسودان ، فالسودان يضم بين جنباته صنوفا شتى من البشر بحيث يشكل « افريقية مصغرة » • وداخل هذه الكتل أو بعضها وجدت ديانات ومعتقدات تتباين من منطقة لاخرى فبات من الضرورى أن يكون التشريع الذى يصدر فى السودان مراعيا لكل هذه الظروف على الرغم من أن الرجل السودانى - بشكل عام - أكثر ميلا الى التمسك بالدين ، لكن ظروفه التى أشرنا اليها كانت تقف حائلا أمام تنفيذ هذه الفكرة •

وفى مجال الادارة اقترح البرنامج تطبيق نظام اللامركزية الادارية نظرا لترامى أجزاء السودان وتباين ظروفه • ففى ظل اللامركزية يصرف المواطنون على مستوى المركز والمديرية شئونهم المحلية تصريفا تاما تحت اشراف عام من وزارة الحكومات المحلية • كما طالب البرنامج بتطوير المجالس المحلية لتشمل جميع أرجاء السودان بحيث يدخلها ممثلون حقيقيون للسكان (١) •

ولقد اقترح البرنامج تطويرا لنظام الحكم المحلى يقوم على عناصر ثلاثة :

١ - الضباط التنفيذيون الذين يسعون الى عدم تركيز السلطة فى أيديهم بل عليهم اشراك أعضاء المجلس •

٢ - الاعضاء • وهؤلاء يجب أن يتحلوا بالخبرة والاخلاص ليكونوا ممثلين حقيقيين لمواطنيهم •

٣ - رجال الادارة الاهلية • وهؤلاء ينبغى أن يطوروا وضعهم حتى يتمشى وظروف البلاد وذلك باشتراط نوعية خاصة ذات مؤهلات علمية لتولى الوظائف فى الادارة الاهلية • كذلك فقد أشار البرنامج الى أن تولى وظائف الادارة الاهلية ينبغى الا يترك لعوامل الوراثة ، بل لابد من اتخاذ مبدأ الشورى ورأى الجماعة أساسا للولاية •

---

(١) برنامج حزب الامة : نحو آفاق جديدة • ص ٩ - ١٠

وفى المجال العسكرى أشار البرنامج إلى ضرورة تطهير الجيش من أى عناصر تعمل بالسياسة الحزبية وأن تكون تربية رجاله قائمة على أساس الولاء لدستور البلاد (١) .

والحقيقة أنه من الصعب تطبيق هذا الهدف داخل الجيش رغم أهمية أن يكون الجيش بعيدا عن الصراعات السياسية الحزبية . لكن الواقع أن الفرد السودانى بطبيعته منغمس دوما فى المسائل السياسية سواء أكان داخل المؤسسة العسكرية أو خارجها . فالسودانى بشكل عام حريص أن يكون له ولاء ما تجاه احدى الطائفتين الرئيسيتين فى السودان ، سواء أكان داخل الجيش أم خارجه ، وأعنى بهما الانصار والختمية ، فهاتان الطائفتان تمثلان قاعدتين أساستين لكل من حزب الامة والحزب الاتحادى، ناهيك عن بعض الولاءات الاخرى بالنسبة للاحزاب العقائدية كالحزب الشيوعى مثلا . وكثيرا ماسمعنا عن بعض الحركات والتنظيمات داخل الجيش السودانى التى لها مثل هذه الميول أو الافكار العقائدية والتى حاولت السيطرة على مقاليد الحكم .

كذلك فقد أشار البرنامج الى امكانية الاستفادة من الجيش فى الحقل الاقتصادى المدنى وذلك بأن تقوم الدولة بتعيين لجنة من العسكريين يجلس اليها الخبراء الاقتصاديون لوضع خطة يستفاد بموجبها بالجيش فى نشاط الدولة الاقتصادى المدنى (٢) .

ولم يشر البرنامج الى مسألة التجنيد الاجبارى للشباب السودانى ربما لصعوبة حصرهم فى أرجاء السودان المترامى الاطراف ونظر لحدوده شبه المفتوحة على الجيران الافريقيين ، أو ربما لان هذه المسألة تحتاج الى نفقات باهظة من حيث المأكل والملبس والمأوى .

وفى المجال الاجتماعى كان تخطيط الحزب يرمى الى القضاء على الفوارق الطبقية وصهر الامة السودانية فى بوتقه قومية موحدة ، ذلك لان المجتمع السودانى مجتمع طائفى قبلى شديد التعقيد فى تركيبته السكانية .

---

(١) برنامج حزب الامة « نحو آفاق جديدة » . ص ١٠
(٢) نفس المصدر . ص ١١

ومن الامور اللافتة للنظر فى هذا المجال أن الحزب طلب من الدولة الاهتمام بشئون الاسرة وتفضيل المتزوج على الاعزب وتشجيع الزواج ، بل ربط ذلك بقانون الضرائب بحيث يكون فى صالح المتزوجين وفى صالح المتوالد ، فقد كان الحزب يهدف الى زيادة عدد السكان بمعدل ٥٪ فى السنة ، بالاضافة الى محاربة الرزائل والانحرافات الخلقية(١) •

وفى تقديرى ان الحزب قد أصاب فى هذا الجانب على الرغم مما تثيره هذه الدعوة من دهشة البعض ـ لان معظم المجتمعات الان تحاول خفض النسل ـ خاصة بالنسبة لمجتمع كالسودان لا تحتمل ظروفه الاقتصادية مثل هذه الاعباء الجديدة • لكن هذه الدهشة قد تزول سريعا اذا علمنا أن المجتمع السودانى قد انتشرت به عادات سيئة ، فالبغاء كان علنيا وسريا ، بالاضافة الى اللهو والعبث والمجون الذى يحول بين المـرء وبين أداء واجباته الاجتماعية ويجعله نهبا للغريزة والشهوة • فالدعوة الى الزواج الشرعى فيه حفظ للشباب والشيوخ ، الامر الذى يؤدى الى خلق مواطن صالح وقوى يدخر قواه للانتاج المثمر والمفيد للمجموع •

أما توجهات وأهداف الحزب الاقتصادية فقد حددها فيما يلى :

**أولا :** تطوير البلاد اقتصادية بقفزات سريعة ترفع دخل الفـرد السودانى الى المستوى الذى يكفل له المأكل والملبس والمسكن والدواء والمواصلات والتعليم •

**ثانيا :** عدم السماح لفرد أو جماعة باستغلال فرد أو جماعة ، بـل ينال المواطنون كلهم ما يكفى حاجتهم وأن ينال العاملون حسب مجهودهم، وضرورة هيمنة الدولة على النشاط الاقتصادى لتحقيق تلك الاهداف •

**ثالثا :** تحرير النشاط الاقتصادى من التبعية لاى مراكز نفوذ أجنبية

**رابعا :** تنسيق السياسة الاقتصادية مع الاقطار المجاورة لتفادى الانتاج الكاسد والمنافسة الضارة •

---

(١) برنامج حزب الامة « نحو آفاق جديدة » ص ١٢

وقد رأى الحزب من خلال برنامجه ضرورة تحقيق هذه الاهداف عن طريق تقسيم النشاط الاقتصادى على ثلاثة قطاعات : قطاع عام تملكه وتديره الدولة ويشمل الخدمات العامة ، وقطاع تعاونى ويشمل المشروعات الزراعية والمنشآت التجارية الاستهلاكية والخدمات التجارية ، وقطـاع خاص ويعنى بالمشروعات الزراعية فى طور الانشاء والصناعات الخفيفة والتجارة الخارجية(١) .

وقد أشار البرنامج الى سبل التنمية الاقتصادية من حيث غنى السودان بالموارد الحيوانية والزراعية وضرورة استغلالها ، وتوفير الثروات الخام فى البلاد ، واستقرار نظام الحكم الذى يشيع جـوا من الامان لرأس المال ، بالاضافة الى قيام جهاز للتخطيط الاقتصادى يكون ملحقا برئاسة الدولة ، وقيام مركز عام للبحوث العملية يهىء الجو المناسب لرجـالات العلم(٢) .

وبالنسبة للتعليم فان الحزب كان يرى ضرورة القضاء على الامية فى البلاد وخضوع التعليم لتخطيط يتمشى وحاجة البـلاد . بمعنى أن يوزع الطلاب ما بين التعليم الاكاديمى والتعليم المهنى . كذلك فقد هدف برنامج الحزب فى هذا المجـال الى ازالة الثنائية فى التعليم والمتمثلة فى المدرسة والمعهد الدينى وضرورة توحيد البرنامج فى كل مراحل التعليم .

وبالنسبة للتعليم الجامعى رأى الحزب ضرورة خضوع كل الوحدات الجامعية بالسودان لادارة واحدة لتتمـكن من تنظيم التعليم الجامعى وتنسيقه مع احتياجات البلاد ، على أن يكون هذا النوع من التعـليم خاضعا لرئاسة الدولة مستقلا عن الحكومة(٣) .

ويبدو ان إخضاع كل الجامعات التى فى السودان لادارة واحدة مسألة شديدة الصعوبة اذا علمنا أن هذه الجامعات ( الخرطوم ـ القاهرة فرع الخرطوم ـ أم درمان ) لها ادارات ولوائح ومناهج علمية تتباين

---

(١) برنامج حزب الامة : المصدر السابق . ص ١٣ ـ ١٦
(٢) نفس المصدر . ص ١٧
(٣) نفس المصدر . ص ١٧ ـ ١٨

تماما عن بعضها البعض . وان الاشراف الحكومي فى السودان بعيد تماما عنها وبالتالى فان تحقيق مثل هذا الهدف الحزبى ربما يحتاج الى وقت طويل .

وفى مجال السياسة الخارجية رسم الحزب أهدافه على النحو التالى :

١ ـ رعاية مصالح السودان وأمنه الخارجى .

٢ ـ التعاون مع الدول الاخرى فى توطيد السلام .

٣ ـ تشجيع التضامن الافريقى الاسيوى .

٤ ـ الحياد التام فى الصراع مابين المعسكرين الرأسمالى والشيوعى(١) .

**البناء التنظيمى للحزب :**

( أ ) العضوية : وفيما يتعلق بتنظيمات الحزب فقد ورد فى بيانات وكتابات الحزب الرسمية بأن عضوية حزب الامة مفتوحة لكل سودانى تجاوز الثامنة عشرة من عمره يؤمن بمبدأ « السودان للسودانيين » ، ويعاون فى العمل على تحقيق استقلال السودان بكامل حدوده الجغرافية مع المحافظة على الصلات الودية مع مصر وبريطانيا (٢) .

ولما كان حزب الامة يستند فى دعمه ومساندته على أنصار المهدى الامر الذى أوصد الباب أمام الكثيرين من أبناء السودان غير المسلمين المنتشرين فى كافة أرجاء السودان وخصوصا فى الجنوب ، فقد أصدر الحزب بيانا

---

(١) برنامج حزب الامة : نحو آفاق جديدة . ص ٣١ ـ ٣٢

(٢) احزاب سودانية ٤٤١٣/١ ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم .
انظر ايضا : بيان حزب الامة بمجلة : السودان الجديدة ، العدد رقم ٦٦ ، ٦ ابريل ١٩٤٦ ، ص ٣
انظر ايضا : البرنامج الانتخابى لحزب الامة ، ابريل ١٩٦٨ ، ٦٢/٣ ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم .

ذكر فيه أن « .. أبواب حزب الامة مفتوحة لكل السودانيين ، وأعلن الامام عبد الرحمن » أن كل أنصارى حزب أمة وما كل حزب أمة أنصارى »(١) .

وعلى هذا النحو فقد فتح باب الحزب على مصراعية أمام جموع السودانيين ولغير المسلمين ولمعارضى محمد أحمد المهدى حتى لا يتقوقع الحزب داخل بوتقه الانصار فقط ويحكم على نفسه بالموت . ويبدو أن هذه الفكرة قد آتت أكلها فانخرط كثيرون من مواطنى جنوب السودان وغربه فى صفوف الحزب (٢) .

وفى السنوات الأولى لقيام الحزب وعلى وجه التحديد فى عام ١٩٤٦ بلغ أعضاء حزب الامة ثمانية عشر ألفا(٣) . ثم بدأت أعداده تتزايد بعد ذلك بحيث يمكن القول ان هذا الحزب أصبح يشكل مع الحزب الاتحادى أغلبية المواطنين السودانيين . لذلك فليس من الغريب أن نشهد تبادلا لرئاسة الوزارة ومجلس رأس الدولة وأغلب الوزارات السودانية بين هذين الحزبين الكبيرين من الاستقلال وحتى الآن .

وفى ظننا أن ثورة محمد أحمد المهدى كانت عاملا هاما وراء ازدياد وتعاظم أعداد السودانيين الذين انضموا لعضوية حزب الامة . فقد كانت تلك الثورة تمثل عندهم رمزا كبيرا من رموز الوطنية وذكرى عزيزة قادها مؤسس بيت المهدى ، ولا شك أن حزب الامة بزعامة رجال المهدى من ابنائه واحفاده وقاعدته العريضة من الانصار تشكل امتدادا لهذه الذكرى ومن ثم راحوا ينضوون داخل صفوف هذا الحزب .

ويبدو أن مبادىء الحزب وخصوصا مبدأ السودان للسودانيين كان يروق لكثيريين من أبناء السودان ، لاسيما وأن حركة التحرير الوطنى

---

(١) الاحزاب السودانية ، وثيقة رقم ٥١/١/١ بعنوان الى رجال ونساء الامة . دار الوثائق المركزية بالخرطوم

(٢) انصار ، ١٩٦٧/٢/٧ ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم

(٣) السودان : العدد رقم ٥٦ ١٥ فبراير ١٩٤٦ . ص ٥

والاستقلال قد فرضت نفسها بشكل واسع منذ أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ومن ثم جذب الحزب فئة كبيرة من مثقفي السودان المطالبين بابعاد كل ما هو اجنبي وغير سوداني عن بلادهم حتى ولو كانوا جيرانهم من المصريين . فهذا الشعار يعطي — في نظرهم — للمواطن السوداني شعورا بالندية مع سائر الدول الاخرى المستقلة .

ويمكن أن نضيف الى هذه العوامل ، التي كانت وراء ازدياد جماهيرية الحزب ، عاملا آخر لايقل أهمية عن العوامل السابقة وهو أن المواطن السوداني — كما سبق ان ذكرنا — يميل بطبعه الى الانضواء تحت جماعة تنظيمية ، دينية كانت أم سياسة ، ولا شك أنه يفضل أن تكون هذه الجماعة ذات تأثير قوى فكان حزب الامة يمثل هذا الفكر بما يضمه من أبناء المهدي الذين يملكون الماضي والحاضر ؛ الماضي في ذكرى جدهم محمد أحمد قائد ثورة السودان ، والحاضر الذي يمثله أبناء محمد أحمد واحفاده وما يمتلكون أيضا من مساحات شاسعة من الاراضي والعقارات في السودان .

وأخيرا يمكن القول ان زعامات هذا الحزب الحالية لم تعد تركن الى الذكريات فحسب بل راحت تنهل من العلم الحديث وتأخذ بكل معطياته (*) ، كل ذلك مع غيره من العوامل جعل الحزب يرتكز على قاعدة جماهيرية عريضة ويتبوأ مكانا عليا في السودان .

---

(*) تخرج الصادق المهدي ، الزعيم الحالي للحزب ، في جامعة اكسفورد عام ١٩٥٧ بدرجة شرف في الاقتصاد والسياسة والفلسفة وهو في سنة الحادية والعشرين . وله مؤلفات عديدة . كما القى عدة محاضرات بالانجليزية خارج السودان ، كما انه حاول الخروج عن تقاليد الحزب القديمة .

( انظر : الصادق المهدي : يسألونك عن المهدية . دار القضايا . الخرطوم . ١٩٧٥ )

## ادارة الحزب :

أما ادارة الحــزب فكانت تتولاها هيئة تنتخب مجلس ادارته والسكرتير العام واللجان ووكلاء الإمام(١) .

وفيما يتعلق برئاسة الحزب نود أن نشير الى أن رئاسة حزب الامة كانت دوما تتركز فى آل بيت المهدى . ويعتبر السيد عبد الرحمن المهدى أول رئيس للحزب فى عام ١٩٤٥ ، كما أنه فى ذات الوقت كان يمثل الزعامة الروحية لطائفة الانصار وكان عبد الله خليل أول سكرتير عام للحــزب . وفى فبراير عام ١٩٤٩ ثم انتخاب السيد صديق ابن السيد عبد الرحمن المهدى رئيسا للحزب ، وأعيد انتخـــاب عبد الله خليل سكرتيرا عاما للحزب (٢) .

ويبدو أن وجود قيادة الانصار والحزب فى آل بيت المهدي قد أثار كثيرا من المشاكل فأصــــدر الامام عبد الرحمن المهدى فى سبتمبر ١٩٥٠ قرارا يفصل بين شئون الحزب وشئون الانصار الا فيما يتعلق بالتأييد الشعبى ، بالاضافة الى فصل ميزانية الحزب عن الدائرة ، كما أنه قام بالغاء المذكرة التى أصدرها والتى كانت تخول له حق الرفض أو الاعتراض على قرارات الحزب (٣) .

ولما كان لامام الانصار وكلاء فى كافة أرجاء السودان فقد طلب اليهم التعاون مع لجان حزب الامة فى الدعاية ، وتكوين الشباب وتوزيع الاعلام

---

(١) احزاب سودانية ١/٣/٤٤ ، دستور حزب الامة لسنة ١٩٤٥ ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم

انظر ايضا : مجلة السودان الجديد : العدد ٦٦ بتاريخ ٦ ابريل ســنة ١٩٤٥ ، ص ١

انظر ايضا : جريدة النيل : العدد ٣٧٥١ بتاريخ ١ مارس سنة ١٩٤٨ ، ص ٢

(٢) جريدة الامة : العدد ١٠٦٢ ، بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٤٩ ، ص ١ ، والعدد ١٠٦٣ ، ص ١ ، والعدد رقم ١٠٦٥ ، ص ١

انظر ايضا جريدة النيل : العدد ٤٢٥٧ بتاريخ ١ مايو ١٩٥٠ . ص ٢

(٣) أنصار قسم ٧ ، حزب الامة ١٣٦/٢/٧ ، وثيقة رقم ١٥ بتاريخ ١٩٥٠/٩/٢٠

وتشييد المساجد (١) .

وعلى الرغم من كل هذه انتوجيهات والقــرارات فلم تكن الامور واضحة والفصل حادا بين منصبى رئيس الحزب وامام الانصار مما أدى الى اثارة الاحن والانشقاق داخل صفوف الحزب وجماعة الانصار .

**اللجان الفرعية والهيئات الاقليمية :**

لما كان السودان من الناحية الجغرافية شديد الاتســاع ومتزامى الاطراف ومتعدد الاجناس ، فقد أصبح لزاما ضرورة تواجــد عناصر حزبية منظمة ونشطة تقوم بالدعاية للحزب حول كافة قضاياه وأهــدافه التى كان يتبناها ، بالاضافة الى العمل على ضم أعضاء جدد الى صفوفه .

والحقيقة أن الحزب ــ فى هذه الناحية ــ كان نشطا ومنظما ومدركا لاهمية وخطورة هذه اللجان والهيئات الاقليمية خصوصا فى ظل النشاط المكثف والشديد لباقى الاحزاب السودانية الاخرى وعلى رأسها الحزب (الوطنى ) الاتحادى الذى كان ــ ولايزال ــ منافسا سيــاسيــا خطيرا له .

واذا ماتصفحنا مواد اللائحــــة الداخلية لحزب الامة عام ١٩٤٥ والمعدله سنة ١٩٦٤ فسوف تدرك مدى تنظيم تلك اللجــان والمهام التى كانت تضطلع بها ، وكانت على النحو التالى (٢) .

١ ــ لجنة الشياخة : وكانت تتكون من رئيس وسكرتير وعدد لا يقل عن خمسة أفراد يكونون اللجنة الفرعية للشياخة . وكانت أعمال هــذه اللجنة تتركز فى تقسيم الشياخة الى وحدات ، كل وحدة عبارة عن عشرة منازل ، وتختار لها رئيسا مسئولا عن مراقبة أعمال الحزب فى البيــوت العشرة ، وتنظم لساكنيها اجتماعات دورية لدراسة ومناقشة كل ما يخص

---

(١) انصار قسم ٧ ، ١٩٣٦/٢/٧ ، وثيقة رقم ١

(٢) احزاب سودانية ، اللائحة الداخلية لحزب الامة سنة ١٩٤٥ والمعدله سنة ١٩٦٤ دار الوثائق المركزية بالخرطوم .

الحزب فى النطاق المحلى • ويقوم رئيس الوحدة باعداد سجل لساكنى كل منزل يوضح به الاسم والمهنة والمتجاه الحزبى أوعدم الارتباط بأى حزب، كما يقوم رئيس الوحدة مع لجنة الشياخة بوضع طريقة لكسب أعضاء جدد الى صفوف الحزب(١) •

كذلك فانه من مهام لجنة الشياخة إندعاية للحزب وتسجيل الناخبين قبل الوقت المحدد لقفل كشوفات التسجيل بالنسبة للانتخابات العامة أو مجالس الحكومة المحلية والتأكد من صحة كشوفات التسجيل وتقديم الطعون اذا اقتضى الأمر • وبالاضافة الى ذلك كان على لجنة الشياخة القيام بدراسة الاحوال والمطالب فى داخل حدود اللجنة وحل المشاكل المحلية ورفع توصيات بما توصلت اليه من دراسات الى لجنة العمودية للنظر فيها • وعن طريق هذه اللجنة كان يتم تجميع رسم الانتساب والاكتتابات التى كان يقرها الحزب(٢) •

٢ — لجنة العمودية : وهى تضم كل الشياخات التى تتبع العمودية • وفى حالة المدن يقوم ( الربع ) أو ( القسم ) مقام العمودية • ويدخل رئيس وسكرتير كل لجنة شياخة ضمن أعضاء لجنة العمودية • ويختار أعضاء لجنة العمودية من بينهم رئيسا وسكرتيرا •

وقد تحددت مسئولية لجنة العمودية فى رعاية جميع أعمال الحزب والتنسيق بين لجان الشياخات التابعة لها ، والنظر فى التقارير الواردة لها من اللجان الفرعية وتنفيذ ماتقره منها بقدر الامكان أو رفع تقرير عنه الى الدائرة الانتخابية لنظر فيه ، ودراسة المطالب والمشاكل فى منطقتها •

كذلك فانه كان على لجنة العمودية القيام بالاشراف على الحملات الانتخابية فى كل القرى والاحياء التابعة لها ، وتشكيل لجنة متخصصة للانتخابات فى كل وحدة انتخابية «صندوق اقتراع» •وكان عليها أن تحرص على وصول كل ناخب فى هذه المنطقة الى صندوق الانتخاب فى الوقت

---

(١) اللائحة الداخلية للحزب لعام ١٩٤٥ والمعدله سنة ١٩٦٤

(٢) نفس المصدر •

المناسب . وعليها كذلك أن تشرح لكل الأعضاء الناخبين كيفية الادلاء بأصواتهم وأن توضح لهم رمز كل مرشح من مرشحي حزب الأمة وأن تتأكد اللجنة من معرفة الأعضاء لطريقة التأشير على بطاقة الانتخابات[1]

٣ - لجنة الدائرة الانتخابية : وتتكون من رئيس وسكرتير وأمين الصندوق يختارون من بين رؤساء وسكرتيري كل لجنة عمودية والنائب المنتخب باسم الحزب أو المرشح الذي اعتمده الحزب في آخر انتخابات عامة ولم يفز .

وتقوم اللجنة بكل أعمال الحزب في الدائرة الانتخابية وتعمل على تنسيق أعمال لجان العموديات التابعة لها، ودراسة كل المسائل والمشاكل والمطالب الخاصة بالدائرة الانتخابية ، والنظر في التقارير المرفوعة لها من لجان الوحدات واتخاذ القرارات اللازمة لها . كما كان عليها أن تتفاكر مع مندوبي المركز العام وهيئة المديرية في أمر الترشيح لمن ينال ثقة الحزب وترشح باسم الحزب من تراه في الدائرة الانتخابية عقب موافقة المكتب السياسي عليه . وعلى لجنة الدائرة الانتخابية أيضا العمل على تهيئة كل الاسباب والامكانات الممكنة لكسب الانتخابات وفوز مرشح الحزب . كذلك فقد ألقى على عاتق هذه اللجنة رفع تقرير لهيئة المديرية بمقترحات الميزانية اللازمة للانتخابات مع الاهتمام برفع كل ما يمكن جمعه من تبرعات الأعضاء .

٤ - لجنة المجلس المحلي : كان الأعضاء المنتخبون من لجنة كل دائرة انتخابية في منطقة أي مجلس محلي مع أعضاء الحزب المنتخبين لعضوية ذلك المجلس المحلي يختارون ما يساوي ثلثهم من كبار أعضاء الحزب في منطقة المجلس ليكونوا أعضاء في لجنة الحزب بالمجلس المحلي . كما كان لكل لجنة من لجان المجالس المحلية رئيس وسكرتير . وتقوم هذه اللجنة بتنسيق أعمال لجان الحزب في منطقة المجلس المحلي ، وكل

---

(١) اللائحة الداخلية للحزب عام ١٩٤٥ . المصدر السابق .

مايختص الحزب فى منطقة المجلس[١] •

٥ — هيئة المديرية الاقليمية : وهذه الهيئة كانت تتكون من خمسة أعضاء من كل دائرة انتخابية ، ونائب الحزب بالدائرة أو مرشحها المعتمد من الحزب ولم يفز ، وعشرة أعضاء من سكان عاصمة المديرية بعد موافقة ممثلى الدائرة ، بالاضافة الى أعضاء الحزب فى عضوية أى مجلس محلى بالمديرية • وهؤلاء الاعضاء يجتمعون لاختيار لجنة تنفيذية للمديرية تكون مسئولة عن تنفيذ قرارات الهيئة وقرارات المكتب التنفيذى للحـــزب وبرنامجه •

وقد تمتعت هذه الهيئة بكل صلاحيات هيئة الحزب التأسيسية فيما يخص المديرية التى تمثلها ، كما أنه كان يمكنها مراجعة سياسة الحـزب وقرارات المكتب السياسى فى نطاق المديرية ورفع رأيها للمكتب السياسى اذا كان مخالفا لما أقره المكتب • وكان على هيئة المديرية الاقليمية التخطيط لكسب أى انتخابات عامة ، وانتخابات مجالس الحكومة المحلية بالمديرية وتوزيع اختصاصات اللجان الفرعية واللجان الاخرى فى كل حمـــلة انتخابية حسب دوائر المجلس المراد انتخابه[٢] •

ذلك ما كان نظريا ومعلنا فى أوراق الحزب ، فاذا انتقلنا الى المجال العملى لتطبيق الافكار فلسوف نلاحظ بالفعل نشاطا لابأس به لكوادر حزب الامة فى أرجاء السودان ، وتنافسا ملحوظا لكسب الاعضـــاء الى صفوف الحزب بل ومحاولات لسلخ أعضاء فعليين فى أحزاب أخرى كالحزب الاتحادى مثلا وضمهم الى صفوف حزب الامة •

وكان ممثلو الحزب على صلة دائمة بقادتهم للتشاور وابداء الرأى ، فعلى سبيل المثال نقرأ فى خطاب مرسل من الصديق المهدى رئيس الحزب الى واحد من رجالات الحزب بالفاشر بدارفور يخبره بوصول شـــكاوى

---

(١) اللائحة الداخلية لحزب الامة لعام ١٩٤٥ والمعدله سنة ١٩٦٤

(٢) نفس المصدر

مختلفة من سكان منطقة دارفور ضد أحد النظار الذى ينتمى للحـــزب الوطنى الاتحادى الذى نكل بمؤيدى حزب الامة وسامهم سوء العذاب ، ثم وضح لمسئول الحزب كيفية معالجة هذا المشكل الذى وصفه «بالتعسف» وطلب منه موافاته بالنتائج فى أسرع وقت[1] .

وفى رسالة أخرى من مساعد السكرتير العام للحزب الى سكرتير لجنة الجزيرة أبا أخبره فيها بنتائج الانتخابات التى جرت فى المركز العام للحزب لمجلس الادارة ، وحثه على زيادة الاتصال بينه وبين المركز العام « .. لسير أعمال الحزب »[2] .

وتشير الاحداث الى أن المركز العام للحـــزب كان شديد الحرص على ايجاد صلات قوية بينه وبين مسئولى الحزب وأعضائه فى الاقاليم ، فكثيرا ماكان يدعى هؤلاء المسئولون للحضور الى المركز العام للحزب لمناقشة بعض المسائل الحزبية ورسم الخطط المتعلقة بالانتخابات . ففى أوائل اغسطس عام ١٩٤٨ وأثناء الاستعداد لانتخـــابات الجمعيـــة التشريعية وجه المركز العام للحزب الدعوة الى رؤساء وسكرتيرى لجانه الفرعية للاجتماع على هيئة مؤتمر حضره المندوبون جميعهم عدا القليل وبلغت اللجان المختلفة اكثر من ثمانين لجنة . وقد تحدث فى هذا الاجتماع عبد الله خليل السكرتير العام الذى قام بشرح الموقف السياسى وأعقبه أمين التوم نائب السكرتير العام الذى وضح للحاضرين صـــــدور قانون المجلس التنفيذى للجمعية التشريعية وتأييد الجبهة لهذا القانون وما يلزم اتخاذه من إجراءات فعالة حتى يفوز مرشحوها بأغلبية ساحقة . كمـــا ناقش المؤتمرون كيفية تنظيم الاتصال بين المركز العام للحزب واللجان

---

(١) أ نصار ، حزب الامة ، ٩١/١/٧ ، خطاب من الصديق المهدى الى محمد مصطفى الشيخ على وكيل الفاشر بتاريخ ١٢ ابريل عام ١٩٥٤ . دار الوثائق المركزية بالخرطوم .

(٢) انصار ، ١٧٩/٢/٧ ، خطاب من يعقوب عثمان مساعد السكرتير العام الى سكرتير لجنة حزب الامة بالجزيرة ابا بتاريخ مارس ١٩٤٩ .

الرئيسية والفرعية الخاصة بكل منطقة من المناطق الانتخابية(١) •

كذلك فقد كان المركز العام للحزب يتلقى أحيانا تقارير شهرية من مسئولى الحزب بالاقاليم لتبيان أوضاع الحزب هناك • ومن هـذه التقارير — على سبيل المثال — تقرير كامل عن شهر مايو عام ١٩٥٦ من مراقب الحزب بالفاشر أخبره فيه بأن موظفى الحـزب بالفاشر قائمون بتأدية واجبهم خير قيام فى تنظيم أعمال الحزب من الداخل ، وأن رجال حزب الامة وكافة الاستقلاليين فى مديرية دارفور لايزانون متمسكين بشدة بأهدافهم وعقائدهم الحزبية ، وأضاف بأن كثيرا من المواطنين ممن كانوا يناصرون الحزب الوطنى الاتحادى قد بدأوا يؤيدون الاستقلاليين(٢) •

* * *

## أدوات الحزب :

ومن الامور المتعلقة بتنظيم حزب الامة أدواته التى نفذ من خلالها سياساته وقام بنشر مبادئه ، ونخص منها هنا الصحف والمجلات ورابطة شباب الانصار وهيئة شباب الحزب التى نطقت باسمه ودعت الى تأييد أفكاره وبرامجه •

وأولى هذه الادوات « جريدة الامة » التى كانت مخصصة للحزب بحيث يمكننا أن نعتبر كل ماورد بها تعبيرا عن مبادى وأفكار الحـزب وأن جميع كتابها تقريبا كانوا ممن يؤمنون بسياسة الاستقلال عن مصر •

---

(١) جريدة السودان الجديد : العدد رقم ٥٥٩ بتاريخ ١٠ اغسـطس ١٩٤٨ ، ص ٣

انظر ايضا : جريدة الامة : العدد رقم ٨٤٥ بتاريخ ٤ يونية ١٩٤٨ ، ص ٢

(٢) انصار ، ١٦٧/٢/٧ • تقرير كامل عن شهر مايو ١٩٥٦ من مكتب حزب الامة بالفاشر • من فضل موسى احمد مراقب الحزب الى سكرتير المركز العام لرئاسة الحزب • دار الوثائق المركزية بالخرطوم •

لقد بدأت جريدة الامة فى الاصدار منذ ١٥ مايو عام ١٩٤٥ بعد أن حصلت على تصريح بذلك • وقبل ظهورها كانت هناك فكرة ليكون محمد أحمد محجوب رئيسا لتحريرها الا أن المفاوضات معه حول هذه المسألة قد باءت بالفشل فى نهاية مارس من نفس العام ، لانه كان يشغل منصب قاضى بمنطقة وادمدنى ، وبرزت مسألة استقالته من هذا المنصب كعقبة من العقبات التى حالت دون ذلك(١) •

وأخيرا وقع الاختيار على يوسف مصطفى التنى الذى كان يشغل — آنذاك — وظيفة مهندس فى الادارة العامة للاشغال ، كما أنه كان قد أمضى عامين فى قوة الدفاع السودانية • وقد استقال من وظيفته الحكومية ليشغل منصب رئيس تحرير الجريدة • وكان — كما وصفته تقارير المخابرات البريطانية — يتمتع بشهرة على أنه كاتب معتدل وذكى • وكان ينتمى الى جماعة الفجر تحت رئاسة عرفات محمد عبد الله(٢) •

كذلك فانه بامكاننا أن نعد مجلة « السودان الجديد » من أدوات الحزب والمعبرة عن مبادئه وآرائه حول كافة القضايا التى تبناها حزب الامة ولاسيما السياسية منها • وكانت هذه المجلة تصدر كل أسبوع منذ ٣٠ سبتمبر عام ١٩٤٣ تحت رئاسة أحمد يوسف هاشم •

وتعتبر جريدة ( النيل ) هى الاخرى من جرائد حزب الامة اذا أنها كانت احدى الجرائد الاستقلالية • وقد صدرت هذه الجريدة عام ١٩٣٥

(١) F.O. 371—45972. Sudan. Political Intelligence. 20th February 1945. J. 837.

انظر ايضا :

F.O. 371— 45972. Sudan. Political Intelligence, Summary, No. 49. 31st No. 47, 28th March, 1945.

انظر ايضا :

F.O. 371—4592. Sudan.. Political Intelligence, Summary No. 97 28th March, 1145.

(٢) F.O. 371—45972. Sudan Political Intelligence Summary No.48..

كجريدة يومية من الخرطوم قبل أن ينشأ الحزب بعشر سنوات وكانت مقالاتها عقب قيام الحزب تتسم باندفاع الصريح العلنى عن مبادى حزب الامة والاستقلاليين . وكانت لسان حال دائرة السيد عبد الرحمن المهدى وطائفة الانصار .

ففى عام ١٩٤٥ راحت الجريدة تكتب بالتفصيل عن نشأة الحزب والظروف والملابسات التى أدت الى ظهوره على المسرح السياسى فى السودان وتقدمه للقارىء بشكل عام والمواطن السودانى بشكل خاص(١) .

وحين نشر يحيى الفضلى فى جريدة ( صوت السودان ) بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٤٥ هجوما على حزب الامة ، اتهم فيه رجاله بأنهم يقومون على خدمة مشروعات وطموحات السيد عبد الرحمن المهدى ، انبرت جريدة النيل بالرد عليه ووجهت الاتهام للاشقاء وبشكل مباشر لجريدة صوت السودان ومالكيها الذين سمحوا بنشر مثل هذه الاقاويل(٢) .

**رابطة شباب الانصار وهيئة شباب الحزب :**

وهذه الرابطة يمكننا ان نعتبرها مع هيئة شباب الحزب احدى أدوات الحزب على الرغم من أن أهدافها المعلنة قد تبدو مختلفة ، لكن من الصعب الفصل بينها وبين الحزب كما كان من الصعب انفصل بين زعيم الحزب وامام الانصار . فالزعامات كلها سواء داخل الحزب أو الرابطه كانت تنبع من بيت المهدى .

تكونت الرابطة فى يوم ٢٥ يناير عام ١٩٤٢ بناء على تعليمات الامام عبد الرحمن المهدى تحت اسم ( رابطة شباب الانصار ) على أن يكون مركزها الرئيسى بأم درمان وتتوزع شعبها فى جميع أنحاء السودان أو أى قطر آخر .

---

(١) جريدة النيل : العدد ٣٠٤٦ بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٩٤٥ . ص ١

(٢) F.O. 371—45972. Sudan Political Intelligence, Summary No. 47 28 th March, 1945.

وكان لهذه الرابطة غرض ووسيلة . أما الغرض من تكوينها كما جاء في برنامجا هو العمل بما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والسير على النهج الذى وضحه الامام المهدى وجدده الامام عبد الرحمن . وأما وسيلتها لتحقيق هذا الغرض فكانت على النحو التالى :

١ — تقوية الروح بتقوى الله .

٢ — بتطهير النفس بالاستقامة .

٣ — تقويم الاخلاق بالقدوة الحسنة .

٤ — تثقيف العقل بالتعليم .

٥ — تقوية الجسم بالتمرين(١) .

وقد حوت اللائحة الداخلية لرابطة شباب الانصار عدة بنود لتنظيم الرابطة وتحقيق أهدافها وذلك من حيث الإدارة والشئون المالية(٢) .

وبنظرة فاحصة لاهداف الرابطة يلاحظ المرء أنها مجرد أهداف اجتماعية دينية بعيدة عن الاهداف السياسية . والواقع أن الأهداف الاجتماعية والدينية التى تبنتها هى استمرار لما كان يسير عليه محمد أحمد المهدى كما جاء فى الغرض الذى أنشئت من أجله الرابطة . وعلى ذلك فلا يمكننا الفصل بشكل حاد بين الدين والدولة أى بين الدين والسياسة لدى المهدى فكلاهما وجهان لعملة واحدة . ولكن اذا تفهمنا الظروف السياسية التى نشأت فيها الرابطة زمن الحرب العالمية الثانية ، وصعوبة جهر آل المهدى بأهداف سياسية أمكننا تفسير عدم تضمين الرابطة لاهداف سياسية فى عام ١٩٤٢ وهو العام الذى انشئت فيه الرابطة .

وفى البدايات الاولى لنشأة حزب الامة يمكننا تلمس العلاقة الواضحة بين الرابطة والحزب ، فالسيد عبد الرحمن كان زعيما للرابطة

---

(١) رابطة شباب الانصار ٤٨/٣/١ ، الدستور واللوائح الداخلية دار الوثائق المركزية بالخرطوم .

انظر أيضا : اللائحة الداخلية لرابطة شباب الانصار ، ص ١٢ — ١٣

وايضا : الصادق المهدى : جهاد فى سبيل الاستقلال . ص ٥١

(٢) اللائحة الداخلية لرابطة شباب الانصار ، ص ١٣

وراعيا للحزب فى آن واحد ، وانتشرت المقولة الشهيرة « ان كل انصارى عضو فى حزب الامة » •

ويبدو أن الظروف بدأت تتطلب تكوين رابطة خاصة بشباب حزب الأمة نابعة من داخله وتخضع مباشرة له • ففى ١٨ مارس عــام ١٩٤٨ نقرأ على صفحات جريدة الحزب عن تفكير « •• بعض من شباب حزب الامة بأم درمان فى تكوين هيئة للشباب تحت لواء الحزب فى حـــدود دستوره وذات أهداف سياسية وثقافية واجتماعية ورياضية ••»[١] •

وقد حدد اجتماع عام فى يوم ١٩ مارس ١٩٤٨ بدار الحزب لهذا الغرض وتنيت الكلمات التى بدأها أحمد آدم عوض باسم سـكرتارية شباب الامة وشرح فيها الغرض من انشاء المنظمة المتمثل فى تجميع شتات الشباب وتقوية الصلات وتهيئة الفرصة التى يستطيعون من خلالها العمل كتلة واحدة للوصول الى هدف واحد وهو « تحقيق أمانى الامة السودانية كما يصورها حزب الامة لحما ودما »[٢] •

وقد بدأ شباب الحزب منذ اعلان تكوين منظمته فى العمل والانخراط فى قضايا وهموم الحزب • ففى عام ١٩٤٨ حين تم اعلان الجمعيـــة التشريعية فى السودان والتى اختلفت القوى السياسية فى السودان حول قبولها والعمل من خلالها ، كان حزب الامة من الذين أيدوا التعاون معها ، الامر الذى خلق شيئا من البلبلة داخل صفوف شباب الحزب • فقد نشرت جريدة الاهرام آنذاك أن شباب حزب الامة قد رفعوا مذكرة الى الحزب بعدم موافقتهم على الجمعية التشريعية لكن شباب الحزب كذبوا هذا النبأ ونشروا بيانا وضحوا فيه موقفهم من الجمعية والمجلس التنفيذى والذى تمثل فى قبول مشروع الجمعية التشريعية والمجلس وأن ذلك يعد بمثابة وسيلة لهدفهم الاسمى وهو الحرية والاستقلال التام ، وان كان المجلسان فى الوضع الراهن ليسا كاملين مائة فى المائة ولكنهما مع ذلك ــ فى نظر شباب الحزب ــ أداة خطيرة يمكن الافادة منها[٣] •

---

(١) جريدة الامة : العدد رقم ٧٨٥ بتاريخ ١٨/٣/١٩٤٨ • ص ٢

(٢) جريدة الامة : العدد رقم ٣٧٨ بتاريخ ١٩/٣/١٩٤٨ • ص ٢

(٣) جريدة السودان الجديد : العـــدد ٥٧٨ بتاريخ اسبتمبر ١٩٤٨ • ص ٢ والعدد رقم ٥٧٩ بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩٤٨ • ص ٣

ويبدو بطبيعة الحال أن قيادة الحزب والانصار قد مارستا ضغوطا قوية على شباب الحزب للموافقة على توجهها هذا الامر الذى أدى الى تراجع الشباب عن موقفهم وهذا يعكس نفوذ القيادة وتأثيرها ويوضح أن الاحزاب الشرقية تسير وفقا لقاعدة الزعيم الاوحد أو الروحى الذى يقتضى من جماهيرها أن تسير وفق هواه دون أدنى حد من الحوار الديمقراطى •

وتجدر الاشارة الى أن مثل هذه الروابط والمنظمات الشبابية تستخدمها الاحزاب كأداة للحزب فى الدعاية لاهدافه ومعاركه السياسية بحكم حماس الشباب وقوتهم واندفاعهم • كذلك فانها تعمل على ضمهم الى عضويتها بعد بلوغهم سن النضج •

وقد انتقلت عدوى هذه التنظيمات الشبابية الى احزابنا الشرقية فى مصر ثم السودان وغيرهما تأثرا بالاحزاب النازية والفاشية خلال ثلاثينيات هذا القرن ومرحلة الانبهار الشديد بالتجربتين الالمانية والايطالية ثم فيما بعد التجربة الاسبانية •

**مالية الحزب** : أما مالية الحزب فكانت فى البداية عبارة عن رسم انتساب قدره خمسة قروش يدفعها العضو مرة واحدة فى العمر وفقا لدستور الحزب لعام ١٩٤٥ ، بالاضافة الى الاكتتاب والتبرعات[١] •

ويبدو أن رسم الانتساب لم يظل ثابتا بل زيد الى خمسة وعشرين قرشا وفقا لدستور الحزب المعدل فى سنة ١٩٦٧ ، بالاضافة الى اشتراك سنوى مقداره عشرون قرشا[٢] •

### انشقاق الحزب :

لم يسلم حزب الامة من حدوث بعض الازمات فى بنائه التنظيمى وخصوصا فى منصب الرئاسة ، فوقع خلط بين مهام وواجبات رئيس

---

(١) احزاب سودانية ، ٤٤/٣/١ دستور حزب الامة ١٩٦٤ هـ ــ ١٩٤٥ م دار الوثائق المركزية بالخرطوم •

(٢) دستور حزب الامة المعدل لسنة ١٩٦٧ ؛ دار الوثائق المركزية بالخرطوم •

الحزب وامام الانصار أو بمعنى آخر بين الزعامة السياسية والزعامة الروحية • وربما يعود هذا الخلط أساسا الى عدم وجود خط واضح — كما سبق أن ذكرنا — بين هذين المنصبين الكبيرين : رئيس الحزب وامام أو راعى الانصار رغم أن السيد عبد الرحمن المهدى قد حاول الفصل بين الزعامتين • وهذا كله يؤكد ماسبق أن ذهبنا اليه أن الحزب نشأ وترعرع داخل الطائفية وانغمس فيها •

وقد طفا هذا الخلاف الى السطح وبلغ أشده بين الامام الهادى والصادق المهدى • فقد رأى الامام الهادى أنه لا انفصال بين السلطة السياسية والامامة ، وأن هذا الانفصال ، اذا تم ، فانه يؤدى ولا شك الى انفصال حزب الامة عن قاعدته الشعبية التاريخية المتمثلة فى حركة الانصار والى خروجه من حيز مبادىء ثابتة ليصبح مجرد حزب سياسى كبقية الاحزاب السياسية الاخرى التى تتأرجح مبادؤها حسب الظروف والمصلحة(١) •

أما الصادق فكان يرى أن حل هذا الخلاف ينبغى أن يقوم على أساس قاعدتين : أن يكون الحزب غير طائفى مفتوحا لكل المواطنين على اختلاف عقائدهم ، وأن تكون الخلافات فى الحزب خاضعة لرأى الاغلبية(٢) •

وعلى هذا النحو كانت وجهة نظر الصادق ترى ضرورة وجود قيادة سياسية بزعامته ، منفصلة عن القيادة الروحية ، وأن يتفرغ هو للسياسة ويتنحى عمه الامام الهادى لرعاية الشئون الروحية لطائفة الانصار(٣) •

ويبدو أن الصادق المهدى كان — بطموحه وربما بثقافته — يمثل فى أرائه جيل الشباب فى زعامة الحزب ويتمثل أمامه الاحزاب الكبرى فى العالم ، بينما كان عمه الهادى يمثل الفكر المحافظ الذى لا يريد أن يحيد عنه ، كذلك فقد كان الصادق يتبنى اصلاحات فى مجال الاراضى والسياسة

---

(١) احزاب السودان بين جيلين ، مؤسسة دار الحياة للطباعة والصحافة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ١٠

(٢) نفس المصدر • ص ١٤

(٣) مجلة القلم : العدد الخامس • ص ٤

الاجتماعية لم تجد قبولا لدى عمه المحافظ(١) •

ومن عجب أن الامام عبد الرحمن المهدى قد تنبأ فى عام ١٩٥٨ بمثل هذه انخلافات داخل الحزب وحذر منها • وأعلن أن « •• أى شخص يقوم بدعاية فى داخل حزب الامة أو خارجه ترمى الى تصدع فى صفوف الحزب أو انشقاق فى قيادته فانه مارق وخائن لقضية استقلال السودان وصيانته من التدخل الاجنبى ، وسواء أتى عن طريق الحزب أو من بيت الامام المهدى أوعن قبيلة أو طائفة فانى أحذر من الاستماع اليه أو متابعته لان هذا يعد خيانة ونقضا للعهد »(٢) •

وحين اختل ميزان قيادة النشاط العام فى أواخر حكم عبود وقبيل ثورة ٢١ أكتوبر عام ١٩٦٤ وانصراف الناس عن قيادة الانصار الى تكتلات سياسية أخرى للوقوف ضد الديكتاتورية العسكرية اقترح السادة عبد الله الفاضل المهدى وأحمد المهدى ويحيى المهدى والصادق المهدى فى السادس من اكتوبر عام ١٩٦٤ بأن يرفع مقام الامامة عن العمل السياسى ، ويترك ذلك لحفنة مسئوله عنه ومويدة من الامام ، على أن يقوم الامام بمسئولية البيعة ومايتبعها من مراسيم ، وأن تتولى المسئوليات العامة هيئة قوامها أبناء المهدى والانصار ومن يؤيد مبادئهم من المواطنين وأن تكون لها أهدافها وبرامجها وتنظيماتها الخاصة ، وأن يلتزم الامام بتأييد هذه الهيئة تأييدا مطلقا ، وأن يكون هذا الامر واضحا حتى لا يثير اشكالا أو التباسا أو يترك مجالا للاحتكاك أو تنازع الاختصاصات الامر الذى يفضى الى خلافات يكون الامام طرفا فيها(٣) •

ونظرا لهذا التضارب الشديد بين مسئوليات الامام تجاه شئون الانصار وحزب الامة الذى أدى الى هذا انخلاف تمكن رجال الحزب فى

---

(١) Holt, P.M.; The History of the Sudan from the Coming of Islam to the Present Day. P. 19.

(٢) انظر نص الوثيقة بجريدة النيل بتاريخ ٢٨ يونية ١٩٦٧ ، ص ١

(٣) انصار ، القسم ٧ ، حزب الامة ، ١٣٦/٢/٧ • خطاب موقع من أبناء المهدى الاربعة اعضاء مجلس الوصاية بتاريخ ٦/١٠/١٩٦٤ - دار الوثائق المركزية بالخرطوم •

٢٣ ديسمبر ١٩٦٤ من تنظيم حـــزب الامة وتوضيح العلاقة بينه وبين الامام وبيت المهدى والانصار وتوقيع اتفاق نص على مايلي :

**أولا :** أن يكفل للسيد الامام الهادى الوضع اللائق به بوصفه راعيا للحزب وأن ينص على هذه الرعاية فى الدستور • وهذه الرعوية لها الحق فى رئاسة الهيئة التنفيــذية للمكتب السياسى والتى من مهامها البت فى كبريات المسائل مبدئيا قبل عرضها على المكتب السياسى مجتمعا • كما أن للامام حق الترشيح والموافقة على رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة ، كما أن له الرأى الفاصل فى ترشيحات النواب ، كما أن له الحق أيضا فى أن تعرض عليه جداول أعمال الاجتماعات الخاصة بالحزب مثل اجتماعات المكتب السياسى وغيرها قبل عرضها على المكتب لاخــذ رأيه حتى يكون التفاهم شاملا ومرتبا له منذ بداية الامر •

ثانيا : أن يكون السيد عبد الله الفاضل نائبا للراعى يتمتع بجميع سلطات الراعى •

**ثالثا :** ونتيجة لذلك يصبح الامام ونائبه عضوين فى هيئة الحزب ولجنته التنفيذية تلقائيا ولهما حق الحضور لاى اجتماع متى شــــاءا أو شاء أى واحد منهما •

**رابعا :** يترك للسيد الامام أن يضيف الى اللجنة التنفيــذية والى الهيئة أسماء يراها مفيدة وضرورية •

**خامسا :** ان يكون السيد الصادق المهدى رئيسا للحزب والسيد أحمد المهدى نائبا له •

سادسا : يكون للحزب سكرتير عام ونائب للسكرتير العام ويكون للامام حق ترشيح الاسماء التى يراها لهذين المنصبين[1] •

وهناك نقاط أخرى وردت بهذا الاتفاق تتعلق بترك مقاعد شاغرة للجنوب فى كل من الهيئة التأسيسية واللجنة التنفيذية ( بالمكتب السياسى

---

(١) انصار ، القسـم ٧ ،حزب الامة ١٣٦/٢/٧ ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم •

الحزب ) . وقد زيل الاتفاق بتوقيع كل من الهادى والصادق وأحمد المهدى والسيد عبد الله الفاضل المهدى ويحيى المهدى وغيرهم من الشهود(١) .

وعلى الرغم من هذا الاتفاق فاننا نقرأ من خلال أوراق الحزب الرسمية والخاصة بجناح الصادق المهدى مظهرا آخر للخلاف مع عمه الهادى . ففى أعقاب هذه الاتفاقية دخل الحزب انتخابات عام ١٩٦٥ وفاز فيها بأكثرية المقاعد وقام ائتلاف بينه وبين الحزب الوطنى الاتحادى وتولى محمد أحمد محجوب رئاسة الوزارة ممثلا لحزب الامة على الرغم من اعتراض جناح الصادق عليه ، واتهامه بأنه غير جاد وغير ملتزم بشئون حزبه وغير متصل بالقاعدة الجماهيرية ولا يعنيه من القيادة السياسية سوى مظهرها لذا كانت النية تتجه الى عدم اختياره . وكانت مسألة الاختيار هذه فى يد الامام الذى وافق على محمد أحمد محجوب بعد أن تعهد الاخير بالالتزام التام . ويبدو أن الاتهامات التى وجهت الى محجوب — حتى بعد توليه الوزارة — ظلت قائمة بل وزيد عليها أنه كان منسجما مع بعض وزراء الحزب الوطنى متنافرا مع وزراء حزبه ، فاجتمعت الهيئة البرلمانية فى سراى المهدى بالخرطوم فى ديسمبر ١٩٦٥ وحضرها محجوب فأمطره النواب بالاستجوابات والاسئلة حول تنفيذ بعض المشروعات الاصلاحية . وفى اجتماع ثان للهيئة البرلمانية تقرر ضرورة محاسبة رئيس الوزراء على التفريط فى المسئولية واختاروا لذلك لجنة قدمت تقريرها للهيئة البرلمانية قضت بادانته .

وبدلا من أن يقدم محجوب استقالته عمل على تغيير طبيعة المسألة من مجرد هيئة برلمانية انتخبته الى صراع بين هذه الهيئة والامام الهادى حيث اقنعه بأن المراد من محاسبته هو شخص الامام وليس محمد أحمد محجوب فاقتنع الامام بذلك ورفعا معا شعار « سقوط محجوب سقوط الامام !! »(٢) .

---

(١) انصار القسم ٧ ، المصدر السابق .
(٢) أحزاب سودانية ٥٠/٣/١ ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم .

كذلك تشير الأوراق الحزبية الى بعض التصرفات من جانب الامام الهادى أدت الى اتساع الشقة • وتتمثل هذه التصرفات فى إتجاه الامام الى اقامة جهاز سياسى تنفيذى مستقل عن الحــــزب تدخل فى ســـير الانتخابات فى عام ١٩٦٥ • ففى اجتماع لنحزب فى ١٣ فبراير عام ١٩٦٥، بمناسبة خلو دائرة « خشم القربة » باستقالة نائبها ، قرر بالاجمـــاع مسائدة ترشيح جمال محمد صالح ولكن الامام أصــدر فى نفس اليوم خطابا يساند فيه ترشيح مكى محمد مكى دون الاتصال بالمجلس لالغـاء قراره الاول أو الاتفاق على وضع آخر(1) •

كذلك فقد كان الامام يضيق ذرعا بتصريحات بعض أعضاء الحزب ويهم بفصلهم ، فحاول فصل السيد كمال الدين عباس ثم عدل عن ذلك ، كما قرر فصل السيد عثمان جاد الله فى نوفمبر ١٩٦٥ ووضع بيانا بفصله من الحزب وأعلنه ونشر فى الصحف • ولم تكن صلاحيات الراعى ــ وهى كثيرة ــ تشتمل على صلاحية فصل الاعضاء التى تضعها اللائحـــة بعد التحقيق مع العضو واعطائه فرصة الدفاع فى المكتب السياسى الامر الذى دفع الصادق المهدى الى مناقشته فى هذا الاجراء ، ودعا الاخير المكتب السياسى للنظر فى هذا الامر وقرر عدم الموافقة على بيان الامام • ومنذ تلك اللحظة بدأت سلسلة من الاجتماعات كان يقصدها أعضـــاء المكتب السياسى والهيئة البرلمانيـــة على اعتبار أنهم يمارسون من خلالهـــا صلاحياتهم حسب اللائحة • وكان الامام الهادى يعتبر تلك الاجتماعات مخالفة له ومنع البعض من الذهاب إليها • وازاء ذلك انقسم الناس مابين أجهزة ترى أن لها صلاحيات بموجب دستور الحزب ولوائحه وجماعة ترى أن الامام هو صاحب الســـلطات كلها ولارأى لاى جهـــاز فى مخالفته(1) •

وقد ازدادت عوامل الابتعاد بين الحكومة والحزب وبلغ الامر مداه حين قرر محمد أحمد محجوب فصل السيد عبد الرحمن النور من الوزارة لان الاخير اتهم أقرباء محمد أحمد محجوب بالحصول على تســهيلات خاصة • ونتيجة لهذا الموقف المشحون باحتمالات الانفجار كتب الصادق

---

(١) احزاب سودانية ، المصدر السابق •

المهدى الى الامام الهادى يطالبه بحسم هذا الموقف ، لكنه لم يتلق منه أى رد ، فطالب الامام بعقد اجتماع يحضره جميع قادة الحزب • وفعلا عقد الاجتماع بسراى المهدى وتم شرح الموقف(١) •

ونتيجة لكل تلك الاحداث اجتمعت الهيئة البرلمانية والمكتب السياسى والهيئة التأسيسية وقررت هذه الاجهزة ضرورة ممارسة سلطاتها ووضع الامور فى نصابها وابعاد السيد محمد أحمد محجوب عن الحكم ومنع أى أشخاص من القيام بتصرفات لا تسمح بها اللوائح الحزبية ولا يقرها دستور الحزب • لكن هذه الاجهزة كانت تؤكد فى نفس الوقت أنها تقر رعاية السيد الامام الهادى فى نطاق الممارسة الديمقراطية لسلطات الاجهزة الحزبية(٢) •

واذا كان محمد أحمد المحجوب قد اختفى من مسرح الاحداث ، فان الامام الهادى تقدم للمواجهة بشخصه ورفض قبول قرارات الاغلبية وجمع من حوله المؤيدين لافكاره • وهكذا وقع الانشقاق(٣) •

وقد بدت الساحة السياسية داخل حزب الامة ملبدة بالغيوم خصوصا بين جناحى الصادق والامام الهادى • وقد وصل الامر الى أشده فى ذلك الحادث الذى عرف باسم ( حادث ود نوباوى ) ، حيث كان الامير عبد الله نقد الله يتحدث فى ندوة الهيئة النسوية حدث شغب قام به عدد من الذين كانوا يقطنون جامع الامام عبد الرحمن والمتخرطين فى شباب الانصار واعتدوا على المجتمعين فأصابوا عددا منهم • وهؤلاء المعتدون كانوا من أنصار الامام الهادى الذى كان قد أصدر عدة منشورات تندد بمعارضيه وتصفهم بأنهم كفره وأن دمهم مهدر • ويبدو ان هذه المجموعة التى قامت بالاعتداء كانت متأثرة بمثل هذه الافكار (٤) •

---

(١) أحزاب سودانية ، المصدر السابق •
(٢) نفس المصدر •
(٣) نفس المصدر •
(٤) النشرة الاسبوعية لحزب الامة • العدد رقم ٧ بتاريخ ١٢ يولية ١٩٦٧ • بيان الحزب بتاريخ ٦ يولية ١٩٦٧ • دار الوثائق المركزية بالخرطوم انظر ايضا : الاهرام : العدد رقم ٢٩٤٢٨ بتاريخ ٧ يولية ١٩٦٧ •

وعلى ارغم من اتهامات جناح الصادق للامام الهادى واتباعه بعدم اتباع الطرق الديمقراطية فى حل المشاكل الحزبية ، فاننا نقرأ فى بيان الامام الهادى فى ١٨ يوليو ١٩٦٦ أنه حريص على وحدة الحزب ومتمسك بالاساليب الديمقراطية داخله ويكن كل الاحترام لمنظمات الحزب الدستورية(١) .

وعقب قيام الائتلاف الثانى بين حزبى الامة والوطنى الاتحادى عام ١٩٦٦ ، وكان الصادق المهدى رئيسا للوزارة ومحمد أحمد محجوب زعيما للمعارضة ، وحين تفاقمت الاحوال داخل الحزب ، سعت بعض العناصر لتوحيد الحزب وتم عقد اتفاقية سبتمبر عام ١٩٦٦ وفقا للمبادىء التاليـــة :

أولا : اعادة النظر فى كل ما تم اثناء فترة الانشقاق بما فى ذلك اعادة التكوين الحكومى الجديد باستقالة وزراء الحزب لاتاحة الفرصة لرئيس الوزراء حول التكوين الجديد بالتشاور مع راعى الحزب .

**ثانيا :** ان صلاحيات الراعى ومكانته هى موضع التزام وتقدير الجميع ، على أن يتم وضع اللوائح التفصيلية التى تنظم ممارسة كل الصلاحيات وفقا لمبادىء الحزب ودستوره .

**ثالثا :** اعادة انتخاب أجهزة الحزب المختلفة .

**رابعا :** الاتفاق على تكوين الهيئة التأسيسية للحزب .

**خامسا :** الاتفاق على مبدأ الديمقراطية كأساس لتصريف شئون الحزب .

**سادسا :** يكون مجلس الامام على النحو التالى :

(أ) وزراء الحزب وممثلية فى مجلس السيادة .

(ب) المسئولون التنفيذيون المنتخبون فى أجهزة الحزب .

---

(١) أنظر نص بيان الإمام الهادى بجريدة الرأى العام ، بتاريخ ١٩ يولية ١٩٦٦ .

(ج) يختار الامام خمسة أعضاء منتسبين من بين عشرة أعضاء يرشحهم المجلس[١] .

**سابعا : توحيد الهيئة البرلمانية ووضع لائحة لتنظيم أعمالها .**

وبالفعل تم تنفيذ الاتفاقية وجرى التعديل الوزاري وبدأ النظر فى تكوين الهيئة التأسيسية والتشاور لتحديد موعد لاعادة انتخاب أجهزة الحزب[٢] .

ومرة أخرى اتهم جناح الصادق المهدى عمه الهادى ومن كانوا موالين له بأنهم فى نفس الشهر الذى وقعت فيه الاتفاقية راحوا يسيرون فى خط مضاد للاتفاقية ، كما اتهم أيضا محمد أحمد محجوب الذى كان يقود أغلبية نواب حزب الامة فى المعارضة بأنه كان يسعى ضد الحكومة الائتلافية التى إكتسبت شعبية كبيرة ، وأن محجوب كانت له اتجاهات شخصية وأنه استخدم صلاته بالامام الهادى لتحقيق هذه المآرب الشخصية[٣] .

وفى مؤتمر وكلاء الامام الهادى المنعقد فى الجزيرة أبا والذى دعا اليه فى الفترة مابين ٥ — ٧ فبراير سنة ١٩٦٧ قرر المؤتمرون ادانه دعاة التفرقة داخل الحزب الذين عملوا ويعملون على تقويض تراث الانصار وعدم احترام تقاليدهم وأعلنوا تأييدهم للامام راعى الحزب[٤] .

وفى نوفمبر عام ١٩٦٧ سعت بعض العناصر بقيادة السيد عبد الرحيم الامين الى توحيد حزب الامة فوضعت لذلك مشروعا اشترك فى وضعه كل من : يحيى المهدى وأحمد المهدى وأمين التوم ومحمد أحمد محجوب وعبد الحميد صالح . وقد وصل المشروع الى الامام الهادى

---

(١) احزاب سودانية ، ٥٠/٣/١٢ ، اتفاقية سبتمبر ١٩٦٦ ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) قرارات مؤتمر وكلاء الامام الهادى المنعقد بالجزيرة أبا من فبراير الى السابع منه عام ١٩٦٧ . دار الوثائق المركزية بالخرطوم .

المهدى الذى قام بدراسته وأرسل رده عن طريق محمد داود الخليفة الذى كان يؤيد الامام فى كل آرائه بل انه كتب مذكرة يوضح فيها مكانة الامام فى الدين والدنيا[١] •

وعلى الرغم من أن دستور الحزب المعدل فى نوفمبر عام ١٩٦٧ قد نص على أن يكون امام الانصار راعيا للحزب وزعيمه السياسى ، ويشار اليه فى هذا الدستور وفى اللوائح ( بالزعيم )[٢] ، فانه ظل متمسكا بسلطاته وأفكاره القديمة تجاه الحزب ومعارضا لكل الاتجاهات الديمقراطية التى كان يتنباها جناح الصادق المهدى •

وهكذا كان الانشقاق داخل حزب الامة يدور ويتمحور حول قضية الفصل بين الامامة التى ترى أن نها كل الحق فى تصريف شئون الحزب وبين رئاسة الحزب بالطرق الدستورية التى كان يضعها الحزب للسير على هدى منها • وعلى الرغم من كل المحاولات التى جرت لرأب الصدع فقد ظلت هذه القضية تنخر فى عظام الحزب حتى طالعتنا جريدة « أنباء السودان » فى ٨ نوفمبر ١٩٦٨ بخبر توحيد حزب الامة وترحيب الانصار فى مختلف أقاليم السودان بذلك[٣] •

* * *

---

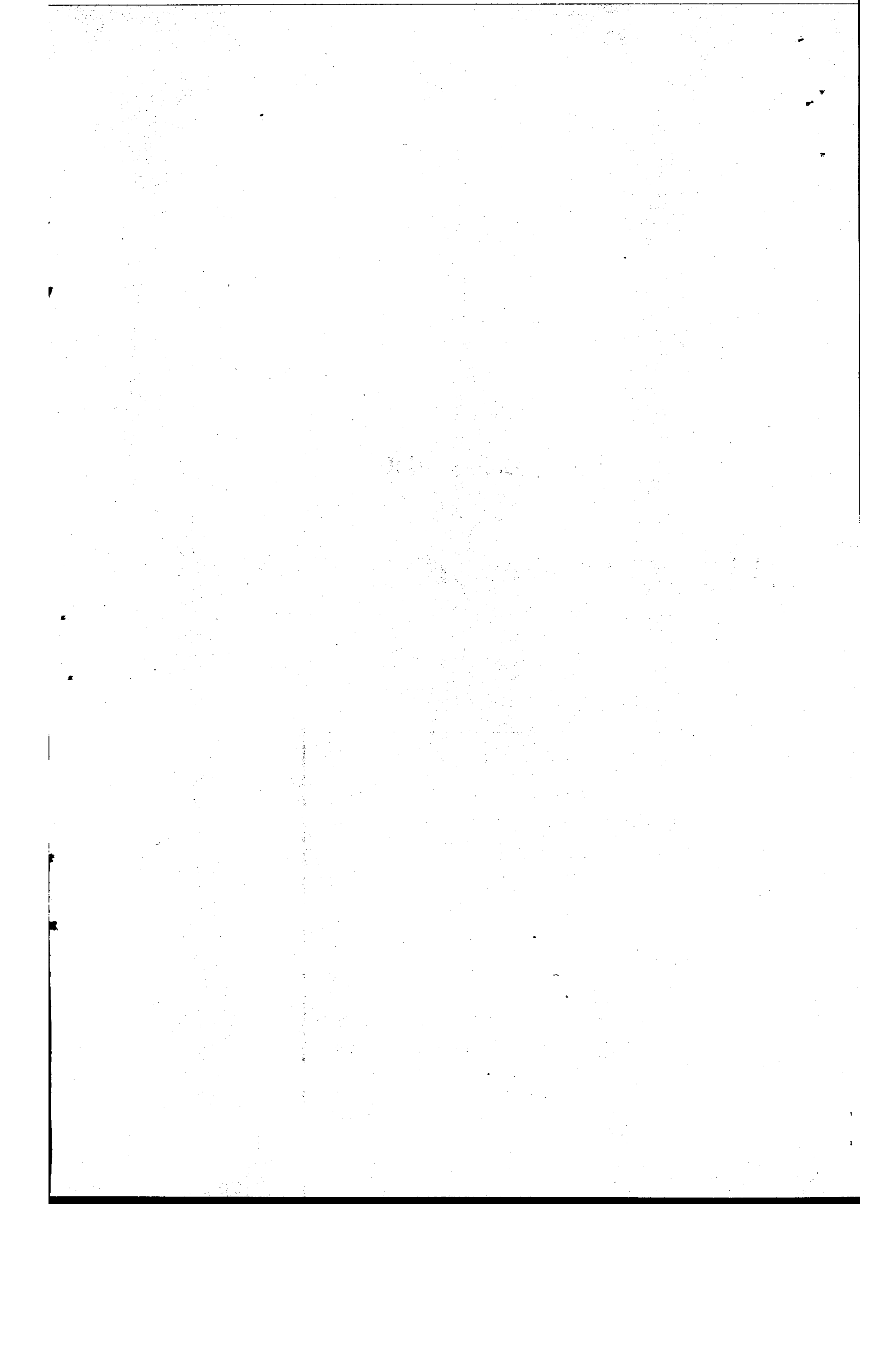
(١) قرارات مؤتمر وكلاء الامام الهادى : المصدر السابق •

(٢) احزاب سودانية ، ١/٣/٥٠ ، وثيقة رقم ١٦ ، دستور حزب الامة المعدل فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم •

(٣) انباء السودان : بتاريخ ٨ نوفمبر ١٩٦٨ •

# القسم الثانى

## مؤتمر الخريجين العام فى السودان ١٩٣٨ ـ ١٩٤٥



## المراحل التى سبقت قيام المؤتمر

قد يكون من المناسب قبل الولوج فى المراحل السابقة لقيام مؤتمر الخريجين ان نشير الى أن كلمة ( خريج ) التى التصقت بالمؤتمر قصد بها خريجى كلية غردون التذكارية التى افتتحت فى الثامن من نوفمبر عام ١٩٠٢ بهدف اعداد الموظفين والفنين اللازمين لمساعدة الادارة الحكومية(١) ٠

ومن أهم المراحل التى مهدت لقيام المؤتمر عام ١٩٣٨ ما يلى :

١ ـ انشاء نادى الخريجين عام ١٩١٨ ٠

٢ ـ حادث اغتيال السير لى ستاك عام ١٩٢٤ ٠

٣ ـ معاهدة عام ١٩٣٦ واثارها السياسية ٠

فى الخامس والعشرين من ابريل عام ١٩١٨ تأسس بمدينة أم درمان أول ناد لخريجى المدارس السودانية عرف باسم نادى الخريجين ٠ ويعتقد بأن فكرة انشاء نادى الخريجين فى السودان مستوحاة من نادى المدارس العليا بمصر(٢) ٠

---

(١) محمد على الطيب : الحركة الوطنية فى السودان من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٥٦ ـ رسالة دكتوراه غير منشورة بآداب عين شمس ، ص ٣٥ ٠
انظر ايضا :

Muddathir Abdel-Rahim; Imperialism and Nationalism in the Sudan. Oxford, 1969, P. 41.

(٢) ابراهيم محمد حاج موسى : التجربة الديمقراطية وتطور نظم الحكم فى السودان ، ص ٥٢٨ ٠

ومن الامور التى عجلت بقيام النادى ازدياد أعداد خريجى كلية غردون منذ عام ١٩٠٧ وتشابه حقوقهم الوظيفية وتجانسهم الثقافى ، بالاضافة الى تدنى الأحوال المعيشية اثناء الحرب العالمية الأولى .

والجدير بالذكر ان الخريجين قد كونوا أنفسهم علميا وثقافيا عن طريق الجمعيات الأدبية ، وأخذت افكارهم طريقها الى جماهير السودان بواسطة صحيفة « حضارة السودان » و « مجلة الفجر » ومجلتى « السودان » و « النهضة » الأسبوعيتين . كما انتهز الخريجون كافة المناسبات الدينية كالاعياد والمولد النبوى والحفلات الاجتماعية لبث أفكارهم وامالهم تجاه مستقبل بلدهم السودان .

ويصف خضر حمد فى مذكراته نشاطات الخريجين داخل النادى فيقول : « ان الخطباء كانوا يتبارون خلال المناسبات ، وكنت تحس من تلك القصائد والكلمات وميض نار . ويضيف أيضا : أن بعض هؤلاء الخطباء كان لسان صدق لما يشعر به بينما كان الآخرون يزخرفون الكلام ويصوغون الشعر للمناسبة وحسبهم من ذلك ان يدلوا بدلوهم فى حقل يجتمع فيه الناس(١) .

وهناك مدرستان أو جماعتان أدبيتان ظهرتا داخل نادى الخريجين ، الأولى تمثل الجماعة السلفية التى كانت تأتى بالانتاج الفكرى السلفى القديم . وهذه الجماعة من بقايا أنصار محمد على شوقى وكانوا يجتمعون فى صالون السيد عبد الرحمن المهدى . وقد تمثل قادة هذه المدرسة فى عبد الله الفاضل المهدى ويحى الفضلى واسماعيل الازهرى وعلى عبد الرحمن الأمين ومحمد أحمد المرضى ومبارك زروق وابراهيم المفتى والحاج عوض الله والشيخ الخاتم وعبد الله أبو سن .

أما الجماعة الثانية فكانت تعبر عن المصالح المهنية وأفكار الموظفين الاقل تشربا للسياسة أى أنها تعكس الأفكار التقليدية . وكان على رأسها

---

(١) مذكرات خضر حمد :- الحركة الوطنية السودانية ، الاستقلال وما بعده ، ص ٢٥ .

الشيخ سيد أحمد القاضي ذو الصلة بمستر بني Penni مدير المخابرات(١) .

ومن النشاطات الأخرى التي قام بها الخريجون في هذه المرحلة انشاء مدرسة ابتدائية أهلية بام درمان وتشجيع الطلاب السودانيين على السفر الى مصر لتلقى العلم في مدارسها . كما انشأوا « ملجأ القرش » بأم درمان عن طريق بيع طوابع قيمة كل منها قرشا واحدا وذلك لايواء الايتام وتعليمهم وتدريبهم . كذلك فقد اتجهوا الى ميدان الرياضة من خلال انشاء الاندية لتوثيق الصلات بين الشباب وبث أفكارهم بين أعضائها (٢) .

وبالرغم من هذه النشاطات العلنية لنادي الخريجين فان الادارة البريطانية لم تكن تخشاه ، بل راحت تشرف عليه منذ البداية ، فافتتاح النادي كان باذن من السلطات حيث اختير نائب مصلحة المعارف المستر سمبسون رئيسا فخريا له ، كما انتخب السيد حسين شريف نائبا للرئيس (٣) .

وكان لابد في تلك الفترة من استخدام الحيلة مع الانجليز حتى تقوى الحركة الوطنية وتتوافر العوامل المادية والمعنوية للمجاهرة بعداء الانجليز ربما تعرض الحركة للعصف بها ، ولو أحس الانجليز ان النادي سيكون نواة للدعوة الى الاستقلال والحرية لما سمحوا بانشائه . وقد يبدو من المضحك ان ننظر الى جمعية سودانية يرأسها انجليزي يمكن ان يرجى منها أي خير للسودان ، ولكن هذا النادي تحول مع تطور الحركة الوطنية وتقدم الوعي المتعاظم الى قلعة المناضلين ، واستطاع الخريجون الانطلاق من داخله الى تكوين مؤتمرهم العام لقيادة الحركة الوطنية

---

(١) أحمد ابراهيم دياب : تطور الحركة الوطنية في السودان ، ١٩٣٨ - ١٩٥٣ ، ٣٨ - ٣٩ .

(٢) ابراهيم محمد حاج موسى : المرجع السابق ، ص ٥٣٦ - ٥٣٧ .

(٣) Henderson, K.D.D.; The Making of the Modern Sudan London, 1953, P. 53.

انظر ايضا : الصادق المهدي : جهاد في سبيل الاستقلال ، ص ٣٦ (٦)

انذاك (١) .

أما حادث اغتيال السير لى ستاك ـ حاكم السودان العام وسردار الجيش المصرى ـ فى نوفمبر عام ١٩٢٤ بالقاهرة وما تلاه من اصدار الحكومة البريطانية لانذارها الشهير للحكومة المصرية بعودة جميع الضباط المصريين ووحدات الجيش المصرى فى خلال أربع وعشرين ساعة واغير ذلك من المطالب الجائرة ـ فقد كانت آثاره سيئة على نفوس السودانيين الأمر الذى أدى الى اشتعال الحركة الوطنية السودانية بقيادة زعماء اللواء الأبيض من أمثال على عبد اللطيف ورفاقه .

ولما كان الانجليز يخشون اتساع حركة على عبد اللطيف اذا ما انضم اليها الخريجون فقد أصدر المستر ديزى استرى نائب الحاكم العام فى ٢٧ أغسطس عام ١٩٢٤ منشورا حدد فيه ( واجبات الموظفين ) ، ووضع امامهم العراقيل التى تحظر عليهم مكاتبة الصحف فى مسائل السياسة أو الأمور العامة دون اذن .

وكان لغياب الوجود المصرى فى السودان بعد عام ١٩٢٤ وتعقب السلطات البريطانية للوطنيين السودانيين اثر هام حيث أصبح النشاط السياسى فى السودان قاصرا على العمل السرى المتمثل فى الحركات الطلابية وكان الخريجون ، وهم من موظفى الحكومة ، يقفون من وراء تلك الحركات وبشكل خفى حتى لا يقعوا تحت طائلة القانون (٢) .

كذلك فقد كان لمعاهدة ١٩٣٦ تأثير واضح على تطور الحركة الوطنية السودانية خصوصا من ناحية المادة الحادية عشرة التى أكدت وضع السودان العالمى كما هو موضح فى وفاق ١٨٩٩ مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقيات جديدة لتعديل اتفاقيتى يناير و ١٠ يولية ١٨٩٩ ، كما اتفق الطرفان المتعاقدان على ان ادارة السودان تستمر مستمدة من

---

(١) ابراهيم الحاردلو : الرباط الثقافى بين مصر والسودان ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ١٩٧٧ ، ص ٣٠ .

(٢) محمد على الطيب : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

الاتفاقيتين المذكورتين ويظل الحاكم العام يواصل مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى وفاق ١٨٩٩ نيابة عن الطرفين المتعاقدين . وبشكل عام فان المعاهدة لم تغير شيئا من الوضع الكائن فى السودان(١) .

وهكذا اوجدت معاهدة ١٩٣٦ مناخا سياسيا جديدا فى السودان . فقد كان لغياب رأى السودانيين قبل واثناء المفاوضات أن جرت مناقشات دائبة حول بنود الاتفاقية ، وما يخص السودان منها بشكل خاص ، داخل اروقة الخريجين وكافة ارجاء السودان الأمر الذى أدى الى اثراء الحركة السياسية وظهور قيادات سياسية من بين صفوف الخريجين(٢) .

وكانت معاهدة ١٩٣٦ — على حد قول الدكتور يونان لبيب — نقطة بدء فى تاريخ السودان من خلال ميلاد الحركة الوطنية وما تلاه من تأسيس لمؤتمر الخريجين وما تبع ذلك كله من ظهور تيار للوحدة مع مصر وآخر للانفصال بين صفوف الخريجين ثم تبلور هذه التيارات فى النهاية الى أحزاب سياسية(٣) .

* * *

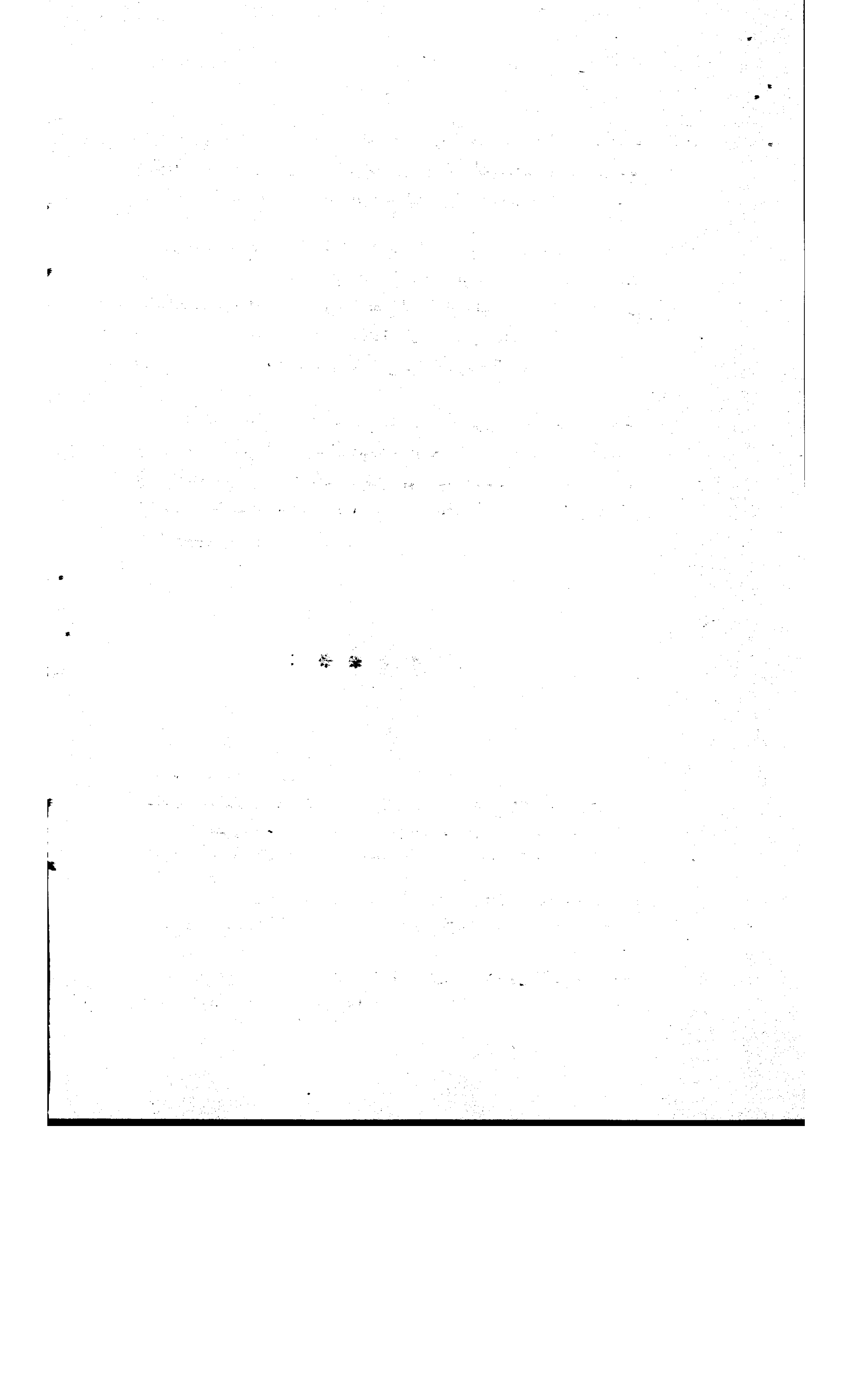
---

انظر ايضا : صحيفة السودان : العدد ٢٠٩١ بتاريخ ٢٨ يونيو ١٩٢٤ .

(١) جمهورية مصر ، رئاسة مجلس الوزراء ، السودان من ١٣ فبراير سنة ١٩٤١ الى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ، ص ٨٦ — ٨٧ .

(٢) F.O. 371/45972. Memorandum of the Congress Sub-Comittee to the prime Minister. Sudan political intelligence Summary No.52. August, 1945.

(٣) يونان لبيب رزق : السودان فى المفاوضات المصرية البريطانية ، ١٩٣٠ — ١٩٣٦ ، القاهرة ، ص ١٤٢ .



## قيام المؤتمر ( فبراير ١٩٣٨ )

لقد تركت الازمة الاقتصادية العالمية ( ١٩٢٩ — ١٩٣٢ ) اثرا بالغا في السودان وانتهز الخريجون هذه الفرصة كي يشرحوا للمواطنين السودانيين دور الإنجليز في صنع هذه الازمة في السودان ومن المعروف ان حكومة السودان قامت بتخفيض مرتب خريجي كلية غردون الجدد من ثمانية جنيهات الى خمسة جنيهات ونصف للموظف الأمر الذى أدي الى اضراب الطلاب واعتصامهم في عام ١٩٣١ .

ولما كان الطلاب على اتصال دائم ببعض الخريجين فقد دعا نادى الخريجين الى اجتماع عام لكل الخريجين شكلت على اثره لجنة سميت بلجنة العشرة والتى سعت الى ايجاد حل لهذه المشكلة مع حكومة السودان حتى أسفرت اتصالاتها الى زيادة مرتب الخريج الى ستة جنيهات ونصف .

ومهما قيل حول أسلوب هذة اللجنة في طريقة المطالبة بحقوق الخريجين الا ان الخريجين خرجوا بنتيجة هامة وخطيرة وهى ان اجتماعهم شيء سهل وميسور وان في امكانهم الدعوة الى اجتماع عام في أى وقت(١) .

ولقد بدأت فكرة مؤتمر الخريجين في الظهور كهيئة تجمعهم سويا في سنة ١٩٣٥ حين ورد ذكرها في « صحيفة السودان » الا ان هذه الفكرة لم تخرج الى حيز الوجود . ويرجع ذلك الى معارضة الادارة البريطانية في السودان . ثم عادت الفكرة مرة أخرى عقب توقيع معاهدة ١٩٣٦ وكان

---

(١) ابراهيم محمد حاج موسى : المرجع السابق ، ص ٥٣٨ .

ذلك فى عام ١٩٣٧ من خـــلال الجمعية الادبية لنادى الخريجين بواد مـدنى .

أما عن صاحب الفكرة أو أصحابها بشكل محدد وواضح فقد اختلف حولها وان لم يستطع الكثيرون ان ينكروا على كل من خضر حمد وأحمد خـير انهما قد وضعا أساس هذه الفكرة فى حيز التنفيذ . وفى ذلك يقول خضر حمد فى مذكراته : « يخطىء من يدعى لنفسه وحده أنه أسس أو خلق عملا يحس بالحاجة اليه كل الناس ويفكرون فيه ، فالاعمال العامة والحركات الوطنية لا تقوم الا اذا كان هناك شعور عام مهيأ لها . ولست بهذا القول أريد أن انكر على أحد حقا ولكنى قصدت أن ابعد الأنانية واعترف ان الشعور الوطنى والاحساس بالحاجة التى التكتل كان موجـودا فى النفوس ولكن على أشكال مختلفة .. ولكن الذى لا شك فيه أنه متوفر عند الجميع ومتفق عليه هو الرغبة فى توحيد الكلمة أو ربط هذه المجموعات من الناس والتى تعمل فى ميادين متفرقة وجمعها فى مكان واحد أو ربطها بعمل واحد(١) » .

وقد أشار خضر حمد – فى تواضع – الى أنه قد فكر فى قيـام المؤتمر دون قصد منه – من خلال كلمة كتبها تحت عنوان « فى الهدف » وبتوقيع « طبجى » بتاريخ ١٤ يولية عام ١٩٣٥ علق فيها على الاجتماع السنوى الذى كانت تقيمه كلية غردون وتطلق عليه اسم (يوم الخريجين) . وقد جاء فى تلك الكلمة : « .... ومما يؤسف له اننا فى كل عام نجتمع لنعيد ذكرى الماضى الجميل ونبكى عهد الطفولة الذاهب الذى قطعناه فى ارتشاف ألبان العلوم والعرفان ، وسرحنا فيه على الميادين السندسية .. ولم نفكر قط فى ان نجعل من هذا اليوم مؤتمرا نبحث فيه أمورنا الهامة التى تتعلق بماضى البلاد وحاضرها ومستقبلها ونعرض أعمالنا فى بحـر العلم المنصرم حتى يكون لاجتماعنا معنى وليعيدنا اثر فى حياتنا العامة . واذا لم تفكر طبقة الخريجين التى هى روح البـلاد وعمد نهضتها فى أمورنا العامة وتخصص لها يوما واحدا فى كل عام فلا اظن أحدا غيرهم

---

(١) خضر حمد : المصدر السابق ، ص ٨٣ .

يستطيع أن يفكر أو يعمل(١) .

وقد علق أحمد خير على هذا المقال فى خطاب مفتوح الى «طبجى» بتاريخ ٢٠ و ٢٤ يولية عام ١٩٣٥ قال فيه : « ان العلاج لموقفنا الحالى هو اقتراح أرسله الى جميع من يهمهم الأمر وهو التمركز فى صعيد واحد لوضع برنامج عملى شامل وتكليف كل فرد بتنفيذ ما يتناسب مع مداركه واستعداده وهذا لا يتطلب منا سوى السير بالنادى خطوة أخرى تجعل من داره الحالية وهى مجمع أدب وسمر ولهو كعبة للنهضـــة المرومة . وطريقنا الى ذلك أما حركة استبدادية نحن بظرفنا ووضعنا السياسى ابعد ما نكون عنها أو التعاون الديمقراطى ، فالى مؤتمر الخريجين .. الى مؤتمر قوامه صراحة المسالم وروحه اتزان العمل وغرضه خـدمة القضيتين ، قضية الخريجين كطبقة وقضيتهم العامة باعتبارهم جــزءا من هذا الكيان ، واختتم أحمد خير مقاله قائلا : فالى مؤتمر الخريجين والى لجنة النادى اقدم الاقتراح فهـــل من مثنى وهل الى تنفيذه من سبيل »(٢) .

وقد أكد أحمد خير مقاله هذا بمحاضرة القاها فى نادى الموظفين بواد مدنى مقر الجمعية الادبية ثم ارسل نسخة من المحاضرة الى خضر حمد واخرى الى نادى الخريجين بأم درمان .

ومن هنا بدأ التفكير فى مؤتمر الخريجين وجد الناس فى التفـكير والفكرة ووسائل تحقيقها واغراضها ، وكانت الرؤوس ـــ كما يقول ـــ خالية من معالم محددة يبدأ منها العمل أو ينطلق ، أما نحن فما كنا نجهل ما نريد ، كنا نريد بالمؤتمر ان يكون كالمؤتمر الهندى أو الوفد المصـرى يتولى قيادة الحركة الوطنية والسياسية(٣) .

والجدير بالذكر أن قادة الحركة الوطنية فى السودان آنذاك كانوا معجبين بمنجزات الحركة السياسية الهندية وبكتابات غاندى ونهــرو

---

(١) خضر حمد : المصدر السابق ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٨٥ .

وخطبهما وأعمالهما ، لذلك فانهم راحوا يترسمون خطـــواتهم حتى يستطيعوا أن يصلوا الى ما وصلوا اليه آنذاك(١) .

وكان من مساوىء التأثر بالمؤتمر الهندى أن وجه الاتهام الى مؤتمر الخريجين بأنه اداة للادارة البريطانية فى السودان وأن بريطانيا هى التى تسيره على نهج المؤتمر الهندى لتبعده عن مصر وتحدث انفصـــاما بين شعبى وادى النيل ، ولذلك فقد قوبلت دعوة المؤتمر بالريبة والشك من جانب بعض رجالات مصر أمثال عمر طوسون الذى وصف المؤتمر بأنه حركة انجليزية تهدف الى فصل السودان عن مصر(٢) .

وقد مضى خضر حمد فى شرح فكرة قيام المؤتمر قائلا ، بدأنا بليال أشبه بالليالى الادبية نقيمها فى نادى الخريجين بأم درمان كل يوم خميس وكانت تتاح الفرصة لكل متحـــدث ليقول رأيه فى كيفية تكوين المؤتمر وأهدافه وآماله القريبة والبعيدة .

ويبدو أن الكثير من النـــاس — فى بادىء الأمـــر — لم يتفهموا المؤتمر الا أنه عبارة عن نقابة للموظفين تنظر فى أحـــوال معيشـــتهم واجازاتهم وتصاريح السفر والترقيات أى أن مفهومهم له كان بشـــكل فئوى أو طبقى ان جـــازا التعبير ، وبالرغم من ذلك كله فقـــد كانت الاجتماعات مفيدة وناجحة فتبين أن هناك ممن تحدثوا عن المؤتمر كانوا يريدون منه أكثر من المطالب الفئوية حيث بنوا عليه أمالا عراضا(٣) .

وكان السيد اسماعيل الازهرى -آنذاك سكرتيرا لنادى الخريجين الذى كان قد وصل الى حالة متردية ، فظهرت الخلافات بين اعضـــائه وتوقف بعضهم عن انتردد اليه ، كما فشلت لجانه فى أن تجذب الناس مرة أخرى اليه . ويبدو أن رجال النادى — والحالة هكذا — قد انتهزوا فرصة طرح مسألة المؤتمر لتقوية النادى على حسابه لدرجة أنهم طالبوا بأن

---

(١) محمد أحمد محجوب : الديمقراطية فى الميزان ، ص ٤١ .
(٢) أحمد دياب ، المرجع السابق ، ص ٥٨ — ٥٩ .
(٣) خضر حمد : المصدر السابق ، ٨٥ .

لا يكون عضوا فى المؤتمر الا من كان عضوا فى النادى ، أى أنهم أرادوا أن يجعلوا المؤتمر فرعا من النادى وأشبه بجمعية أدبية •

وهكذا ظهر الخلاف بين القائمين على المؤتمر ورجال النـادى • وكانت حجة القائمين على المؤتمر أن النادى أصبح مكروها لدى الكثير من الخريجين ، فاذا ربطوا المؤتمر به رفضوا المؤتمر أيضا ، بالاضافة الى أن آفاق المؤتمر أوسع وأبعد مدى من آفاق النادى[1] •

وقد كون القائمون على انشاء المؤتمر لجنة تولت الطواف على كل خريج فى العاصمة المثلثة ( أم درمان ـ الخرطوم ـ الخرطوم بحرى ) وإنتهوا من هذا الطواف الى أن فكرة المؤتمر يجب أن تكون منفصلة عن النادى وأن يصبح المؤتمر هيئة قائمة بذاتها[2] •

ولما قدمت لجنة المؤتمر للجنة النادى وثائق تحوى رأى الخريجين حتى انتهى الخلاف ، وتقدمت لجنة النادى فى الاجتماع العام المنعقـد بتاريخ ١٩ يناير عام ١٩٣٨ باقتراح يقضى بفتح المؤتمر لجميع الخريجين، ثم أخذ النادى بعد ذلك على عاتقه مهمة الدعوة وتنظيم الاجتماع العام وقد اجتمع عدد كبير فى نادى الخريجين وانتخبت هيئة عامة من ستين عضوا انتخبت من بينها لجنة تنفيذية وهؤلاء جميعا يتولون صياغة دستور المؤتمـر •

**موقف حكومة السودان من قيام المؤتمر :**

وعقب انتخاب اللجنة التنفيذية وضعت امامهـا أول مهمة وهى الكتابة الى الحكومة لاخطارها بقيام هيئة اسمها ( مؤتمر الخريجين ) وطلب التصديق عليها مبدئيا الى أن يضعـوا الدستور الذى يحـوى الاغراض والوسائل ولما كان أعضاء هذه اللجنة من كبار الخريجين وهم

---

(١) خضر حمد : المصدر السابق ، ص ٨٦ •
(٢) النيل : العدد رقم ٧٣١ بتاريخ ٦ يناير ١٩٣٨ ، ص ٣ •
انظر ايضا : خضر حمد : المصدر السابق ، ص ٨٦ •

فى ذات الوقت كبار الموظفين لدرجة أن اللجنة اجتمعت وانفضت أكثر من مرة خلال أسبوعين ، وقد حلت هذه المشكلة بطريق الصدفة حين وقع فى يد احد الموظفين المقربين للسكرتير الادارى خطاب سرى للغاية أرسله السكرتير الى كل المديرين معلقا فيه على حركة المؤتمر وموجها أياهم حول كيفية التصرف حيال هذا الوليد الجديد ، فطلب منهم أن يقابلوا هـذه الحركة باعصاب هادئة لأن السودان لابد وأن يتأثر بالحركات التى قامت حوله فى البلاد العربية كمصر وسوريا ولبنان ، ولا غرابة ـ عنده ـ فى أن تنتقل العدوى الى هنا لاسباب كثيرة تربط السودان بتلك البلاد . كذلك فقد أشار فى هذه الخطاب الى أنه لا يريد أن يجابه حركة المؤتمر بالعداء أو الشك من أول مرة فيخلق لها مكانة أكثر مما تستحق . وهكذا كان هذا الخطاب قد هبط عليهم من السماء فأقبلوا على كتابة طلبهم بنفس هادئة(١) .

وهنا لابد من طرح تساؤل هل كانت مباركة الانجليز وموافقتهم على قيام المؤتمر كى يصبح اداة فى أيديهم يسخرونها كيفما ومتى شاءوا أم ماذا ؟ .

لقد ذكر أحد الدراسين أن مؤتمر الخريجين ما هو الانتاج لسياسة سايمز وجيلان(*) ، حتى لا يتجه السودانيون صوب مصر عقب معاهدة ١٩٣٦ . ويتضح جليا اهتمام الانجليز باكتساب الخريجين اذا ما نظرنا الى تشكيل الوفد السودانى الذى سـافر لحضور تتويج الملك جورج السادس فى مايو عام ١٩٣٧ . فلقد كان الوفد الذى زار بريطانيا عام ١٩١٩ مؤلفا من السيدين الكبيرين عبد الرحمن والميرغنى ومندوبين من زعماء ورؤساء القبائل والعلماء . أما الوفد الذى زارها عام ١٩٣٧ فقد شكل أساسا من الشبان والموظفين ومندوبين عن المتعلمين فضـلا عن انضمام السيد محمد عثمان ابن شقيق السيد على الميرغنى والسيد صديق

---

(١) خضر حمد : المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(*) جورج ستيوارت سايمز الحاكم العام للسـودان فى الفترة ما بين ١٩٣٣ ـ ١٩٤١ . اما جيلان فهو السكرتير الادارى لحكومة السودان حتى عام ١٩٣٩ .

المهدى الابن الأكبر للسيد عبد الرحمن الذى اشترك فى اضراب كليـة غردون عام ١٩٣١ ، وهكذا اختلف وفد عام ١٩١٩ عن وفد عام ١٩٣٧ . والوفد الثانى يعتبر ثمرة من ثمار سياسة سايمز الليبرالية التى شجعت الخريجين على أن يقودوا تنظيم مؤتمر لهم(١) .

وفى ١٢ فبراير عام ١٩٣٨ عقد أول اجتماع للمؤتمر برئاسة اسماعيل الازهرى ، وتليت البرقيات التى وردت الى المؤتمر . ثم القى الرئيس كلمته ، وتلى كل من مكى شبيكه مشروع قانون المؤتمر ، وأحمـد عثمان القاضى مشروع مجلة المؤتمر ، وعبد الماجد أحمد مشروع مالية المؤتمر . كما تحدث آخرون فى أسلوب الترشيح والانتخابات(٢) .

وقد تكونت الهيئة الستينية واللجنة التنفيـذية ثم جاء الدور فى طلب التصديق بشكل رسمى من الحكومة وكتبت مذكرة بهذا الشأن جاء فيها أن واجب المؤتمر يتلخص فى الأمور الداخلية التى تهم الســودان وحده والأمور العامة التى تخص الحكومة ، وسيعمل المؤتمر فى هـذين المجالين بروح الصداقة . كما نصت المذكرة بأنه ليس غرض المؤتمر ازعاج الحكومة أو احراجها أو الضغط عليها من قبول آرائه بل مسـاعدتها فى سياستها . كذلك فقد اعلنت المذكرة أن المؤتمر لا يدعى أنه يمثل البـلاد بالمعنى المعروف ، وأن يقف ضد أى طائفة أو جماعة فى البلاد . وأخيرا أكدت المذكرة على ضرورة قيام الثقة المتبادلة وحسن التفاهم والتعاون بين المؤتمر وبين الحكومة(٣) .

وقد رد جيلان السكرتير الادارى على المذكرة بالموافقة على قيـام المؤتمر طالما كانت اغراضه ثقافية اجتماعية وعضـــويته قاصرة على

---

(١) جعفر محمد على بخيت : الادارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان ١٩١٩ - ١٩٣٩ ، نقله من الانجليزية للعربية هنرى رياض ، دار الثقافة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٨٨ .

(٢) النيل العدد ٧٦٢ بتاريخ ١٤ فبراير عام ١٩٣٨ ، ص ١ .

(٣) دريرى محمد عثمان : مذكراتى ، ص ٢٠ .

نقلا عن أحمد دياب : المرجع السابق ، ص ٨٣ - ٨٤ .

الخريجين شريطة أن يظلوا بعيدين عن الخوض في السياسة . وهكذا ربط السكرتير الاداري المؤتمر بالنشاط الثقافي والاجتماعي على الرغم من دستور المؤتمر - كما سنرى - قد جعل ذلك مبهما حين ذكر بان هدفه ( خدمة المصلحة العامة ) وهي تهمة فضفاضة تجعله يتحـرك في كافة المجالات[١] .

***

(١) مكي شبيكة : السودان عبر القرون ، ص ٥٤٤ .

## أهداف وبرنامج المؤتمر .

تحددت أهداف المؤتمر بشكل رسمى فى الطلب المقدم للحكومة للتصديق على قيامه فى كلمات ثلاث هى ( خدمة المصلحة العامة ) • ويعتبر هذا التحديد المختصر على هذا النحو موفقا الى أبعد الحدود وحاويا — على حد تعبير خضر حمد — لكل ما يفكر فيه المرء من أعمال طالما تفسر على أنها للمصلحة العامة[1] •

ولما كان هدف المؤتمر بهذا الشكل العمومى فقــد كان ذلك مدعاة للاجتهادات والامانى التى كانت تجيش فى نفوس ابناء السودان وخاصة الفئة المثقفة والمستنيرة منهم حيث أفسحت لهم جريدة النيل السودانية — التى كانت تحتضن فكرة المؤتمر وتنشر آراءه — صفحاتها للتعبير عن كافة ارائهم حول أهداف المؤتمر وطرق تحقيقها • ففى الثالث من فبراير من عام ١٩٣٨ نشرت النيل مقالا لمكى شبيكة حول أهداف وبرنامج المؤتمر خاطب من خلاله الجماهير وطالبهم بالا يشتطوا فى الخيال بل ينبغى عليهم التريث والتقدم أو السير البطىء للوصول الى أهداف مضمونة • واقترح أن يكون برنامج وأهداف المؤتمر على النحو التالى :

**أولا :** تنوير الرأى العام المثقف بنواحى الحياة المختلفة فى بلادنا بواسطة دراسات علمية مبنية على حقائق ثابتة ونشرها فى صحيفة شهرية •

**ثانيا :** أن يكون المؤتمر مركزا لجمعيات اصلاحية عديدة كان يضم جمعية لتمويل المشروعات الخيرية وأخرى لمحاربة الأمية •

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٨ •

**ثالثا :** رفع مستوى المرأة بنشر ثقافة التدبير المنزلى ومحاربة العــادات الضارة كالختان الفرعونى •

**رابعا :** انعاش القرى وذلك بارشاد سكانها ومعاونة العاطلين فى ايجاد عمل لهم(١) •

كما نشرت الجريدة أيضا فى ١٠ فبراير من نفس العام مقالا لمحمد خليفة شريف اقترح فيها الأعمال التى ينبغى أن يقوم بها المؤتمر وكانت فى نظرة — على النحو التالى :

**أولا :** تنوير الرأى العام المثقف بنواحى الحياة المختلفة فى بلادنا بواسطة دراسات علمية مبنية على حقائق ثابتة ونشرها فى صحيفة شهرية •

**ثانيا :** أن يكون المؤتمر مركزا لجمعيات اصلاحية عديدة كان يضم جمعية لتمويل المشروعات الخيرية وأخرى لمحاربة الأمية •

**ثالثا :** رفع مستوى المرأة بنشر ثقافة التدبير المنزلى ومحاربة العادات الضارة كالختان الفرعونى •

**رابعا :** انعاش القرى وذلك بارشاد سكانها ومعاونة العاطلين فى ايجاد عمل لهم(٢) •

كما نشرت الجريدة أيضا فى ١٠ فبراير من نفس العام مقالا لمحمد الخليفة شريف اقترح فيها الأعمال التى ينبغى ان يقوم بها المؤتمر وكانت — فى نظره — على النحو التالى :

١ — المطالبة باصدار قانون للجنسية السودانية لأن ذلك سوف يقضى على النظام القبلى •

٢ — التعليم على أساس تقرير « دلاوار » وعلى بك الجارم •

---

(١) النيل : العدد ٧٥٥ بتاريخ ٣ فبراير ١٩٣٨ ، ص ١ ، ٢ •

(٢) نفس المصدر ، ص ١ ، ٢ •

٣ـ الادارة الأهلية باعتبارها أساسا للحكم الذاتى فى البلاد كما صرحت بذلك النشرة الرسمية .

٤ ـ العمل على ايجاد قومية سودانية قائمة بنفسها وتشعر بان السودان وطنها وأنها صاحبة الحق فيه وحدها دون سواها .

٥ ـ رفاهية السودان كنص الاتفاقية الانجليزية المصرية .

٦ ـ أولوية الوظائف للسودانيين كنص الاتفاقية(١) .

ونشرت النيل كذلك كلمة لمحمد على شوقى وكانت مختصرة وجامعة لأهداف المؤتمر حيث قال : ان المؤتمر هو رمز وحدتنا وحجر الزاوية لبلوغ أمانينا(٢) . وهذه الكلمة تحمل فى طياتها كثيرا من التأويل وخصوصا الأمانى القومية مما يدل على أن القائمين على انشاء المؤتمر كانت تخامرهم الأهداف السياسية الى جانب الأهداف الاخرى .

أما اسماعيل الازهرى فقد ذكر بان المؤتمر هو لسان الخريجين المعبر عن رغباتهم الموضح لشكاياتهم العامل على تحقيق الأمانى القومية (٣) .

ويمكن أن نستخلص من كلمة ازهرى أن أهداف المؤتمر وتوجهاته تتحدد فى اتجاهين : أهداف خاصة فئوية تتعلق بالخريجين كموظفين فى دواوين الحكومة ، وأهداف عامة على مستوى الوطن غايتها بلوغ الأمانى القومية أو بمعنى آخر الاستقلال .

ومما تقدم وكما كان يجول بخاطر القائمين على مؤتمر الخريجين يمكن اجمال أهدافه فيما يلى :

**أولا :** علاج ما كان يعانيه السودان من شيوع الفوضى الاجتماعية التى كانت تتمثل فى حب الذات والكيد وتنكب سبل الخير والعزلة التى تعانيها النفوس والركود الشائع فى كل البيئات . وهذا العلاج يتم

---

(١) النيل : العدد رقم ٧٦١ بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٣٨ ، ص ١ ـ ٣ .
(٢) النيل : العدد رقم ٧٥٥ بتاريخ ٣ فبراير ١٩٣٨ ، ص ١ .
(٣) النيل : العدد رقم ٧٦٣ بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٣٨ ، ص ١ .

ببث عواطف الخير في النفوس ودفعها للعمل المشترك واشعار الأفراد بواجباتهم وحقوقهم ورفع كابوس الجهالة .

**ثانيا :** محاربة الحزبية ، حيث كانت تطغى في البلاد موجة من التشيع اتخذت من ضعاف النفوس أسلحة ماضية ، وهذه المحاربة تكون بعدم الاعتراف بالحزبية والعمل على وأدها أو توجيهها الى سواء السبيل وذلك بجعلها ذات مبادىء وبرامج .

**ثالثا :** خلق رأى عام وذلك بتهيئة النفوس وتوحيد الشعور بالحق المشترك وأشعار النفوس بأنها تملك حق التعليق على الأحداث بصراحة .

**رابعا :** تقريب وجهات النظر بين فئات الخريجين وازالة ما بين صفوفهم من جفاء أن وجد شيء من ذلك ودفعهم الى التعاون واخراجهم من عزلتم وفي عقد المؤتمر ما يكفل اصلاح ذلك .

**خامسا :** العمل على ازالة الحدود والأمتيازات التى كانت تجرح وتنال من كرامة السودانى سواء أكان موظفا أو تاجرا أو مزارعا أو عاملا ويتم ذلك عن طريق المطالبة برفع القوانين التى تثقل كاهل الموظف ومساواته بغيره ممن يساويه في الكفاءات من الأجانب بل وتفضيله عليهم ، وفتح الباب أمام التاجر في كل بقاع السودان ، وحماية العامل من المزاحم الأجنبى ، وتشجيع المزارع وانصافه من الشركات . ويمكن ان يستمد من الجملة المطاطة لاتفاقية يناير ١٨٩٩ — التى تقول بالعمل على رفاهية السودانى واعطائه المكانة الأولوية في بلاده — قوة تسند وجاهة هذه المطالب وتثبت شرعيتها[1] .

وقد كان لمؤتمر الخريجين دستور من ثمانية بنود شرحت غرضه وحددت عضويته وطرق اجتماعاته ومهمة هيئاته وغير ذلك من الأمور التنظيمية . وقد جاءت بنود الدستور على النحو التالى :

١ — الاسم : يسمى هذا المؤتمر الخريجين العام .

٢ — الغرض : خدمة المصلحة العامة للبلاد والخريجين .

٣ — العضوية :

---

(١) النيل : العدة رقم ٨٣٢ بتاريخ ٨ يناير ١٩٣٨ ، ص ١ ٣ .

( أ ) مفتوحة لكل خريجي مدارس ومعاهد السودان التى فوق مستوى المدارس الأولية • أما السودانيون الذين تخرجوا من غير المدارس فتنظر اللجنة فى قبول عضويتهم •

(ب) على العضو أن يدفع رسم تسجيل واشتراك سنوى •

( جـ ) يشترط دائما الا يقل العضو عن ثمانى عشرة سنة •

٤ ــ الاجتماع السنوى العام : يعقد الاجتماع السنوى العام فى اليوم الثانى لعيد الأضحى المبارك لسماع التقارير وانتخاب هيئة مكونة من ستين عضواً •

٥ ــ الهيئة الستينية : تجتمع هيئة المؤتمر الستينية فى اليوم التالى للاجتماع السنوى العام لمناقشة اقرار أعمال المؤتمر وانتخاب لجنة تنفيذية من بينهم مكونة من خمسة عشر عضوا •

٦ ــ مهمة الهيئة : للهيئة الستينية حق الاشراف على أعمال اللجنة التنفيذية •

٧ ــ القسم : يؤدى كل أعضاء الهيئة الستينية قسم الاخلاص لدستور مؤتمر الخريجين •

٨ ــ التعديل : لا يعدل هذا الدستور الا بموافقة ثلثى أعضاء الهيئة الستينية(١) •

وقد جرى تعليق وتعقيب على صفحات جريدة النيل حول دستورهم من ناحية الاسم ولماذا ابقوه على هذا النحو من حيث ضخامته التى لا تتناسب آنذاك مع ما يقوم به من أعمال والتى قد تكون بسيطة فى بادىء الأمر ، ان الابقاء على الاسم بهذه الصورة لأنه قد يأتى

---

(١) احمد خير : كفاح جيل ، ص ١٩٦ •
انظر ايضا : النيل : العدد رقم ٧٦٣ بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٣٨ ، ص ١ •
انظر ايضا :
F.O. 371-45972, Memorandum of the Congress to the prime Minister. Op. Cit.

اليوم فى المستقبل الذى يقوم فيه الخريجون كمجموعة بأعمال جليلة وكبيرة وعندها يستحق هذا الاسم الضخم .

أما اختيارهم لميقات انعقاد المؤتمر السنوى ثانى أيام عيد الأضحى فقد كان مقصودا حتى يتمكن أغلب الاعضاء من الحضور فى هذه المناسبة الدينية والتى ربما تصبح عيدا قوميا أيضا .

وبالنسبة للمادة الخامسة التى نصت على ايجاد هيئة ستينية لمناقشة القوانين واقرارها فلم يتعرض خلالها لمسألة هل ينتخب اعضاء الاقاليم فى الهيئة أم لا بل ترك الاعضاء احرارا فيمن يريدون انتخابهم سواء من سكان العاصمة أو الاقاليم .

أما المادة الأخيرة الخاصة بالتعديل فلا تحتاج لتعليق — فى نظرهم — لأنها لأزمة لكل دستور(١) .

وهكذا يبدو جليا من دستور المؤتمر وأهدافه التى جاءت مجملة أنها تركز على أمور عامة لخدمة المواطنين السودانيين ولاسيما أصحاب الفكرة ونعنى بهم موظفى الحكومة . والى جانب ذلك ، وكما لاحظنا ممن تعرضوا أو تصدوا للكتابة عن أهداف المؤتمر على صفحات جريدة النيل ، أن القائمين على انشاء المؤتمر كانوا يضعون فى اذهانهم أهدافا سياسية يمكن لمؤتمر الخريجين أن يضطلع بها كما سنرى فيما هو آت من خلال تصديه لبعض المطالب الوطنية وابداء آرائه فيها رفضا أو قبولا .

ولقد عبر عن هذه الأفكار السياسية أحمد يوسف هاشم فى مقال له على صفحات جريدة النيل فى ٦ يولية عام ١٩٤٠ حين أصبح المؤتمر يشكل قوة ضاربة يحسب لها كل حساب قائلا : لقد اشير فى دستور المؤتمر اشارة لا تخفى على اللبيب الى الاغراض التى من أجلها انشىء والتربص لكل فرصة تسمح للمؤتمر ان يصبح هيئة سياسية سافرة(٢) .

---

(١) النيل : العدد رقم ٧٦٣ بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٣٨ ، ص ١ .
(٢) النيل : العدد رقم ١٤٨٢ بتاريخ ٦ يوليو ١٩٤٠ .

وهكذا وبمرور الوقت بدأ المؤتمر يفصح عن أهدافه غير المعلنة.ففى ٤ مارس عام ١٩٤٠ — وعلى صفحات جريدة النيل وتحت عنوان (المؤتمر والقومية السودانية ) طـرح تسـاؤل عن اسـمى غاية لمؤتمـر الخريجين ، واجيب عليه بأن اقصى الأمانى أن يصبح هيئة تمثيلية تنتظم البلاد من اقصاها الى ادناها ، وتتسلم مقاليد الأمور فى البلد وتسير به نحو الحكم الذاتى الصحيح فلا يبرم أمر الا اذا رآه اعضاء تلك الهيئة ، ولا يترك مشروع الا اذا قال اعضاء تلك الهيئة بفساده أو عدم الحاجة اليه • وقد جرى تفسير المقصود بالهيئة التمثيلية على أنها الهيئة التى تتمثل فيها مختلف العناصر والمصالح ، فما من ميدان من ميادين الحياة والعمل الا ويكون للمنتمين اليه ممثلهم الذى ينطق باسمهم ويفصح عن اغراضهم ومصالحهم وغاياتهم[1] •

***

(١) النيل : العدد رقم ١٣٧٨ بتاريخ ٤ مارس ١٩٤٠ ، ص ١ •

## دور المؤتمر الاجتماعي والتعليمي والسياسي

### ( أ ) في المجال الاجتماعي :

لقد نادى مؤتمر الخريجين في المجال الاجتماعي بضرورة القضاء على بعض العادات السيئة في المجتمع السوداني والتي كانت سائدة آنذاك وشكلت عقبات في سبيل تطور البلاد الاجتماعي ، من ذلك دعوته لتخفيض مهور الزواج وتخفيض أيام المآتم الى ثلاثة أيام ومنع شرب الخمور في النوادي السودانية ومحاربة البغاء والقمار[1] .

كذلك فقد شارك اعضاء المؤتمر في عام ١٩٣٩ في جمع الأموال لمساعدة ملجأ القرش الذي أسس في أوائل الثلاثينيات والذي كان يهدف الى انشاء دار يضم الايتام ويقوم على نظام حسن لتعليم الأطفال[2] .

أيضا فقد امتدت يد المؤتمر الى ابناء السودان في خارجه حيث قامت بدراسة مشاكل الطلاب السودانيين الذين يدرسون في مصر ومساعدتهم في ايجاد مأوى للسكنى هناك . وقد أثمرت دعوة المؤتمر — عن طريق لجنته الفرعية بالقاهرة — الى استجابة الملك للتبرع وتأسيس بيت السودان[3] .

ولم يقتصر المؤتمر على بحث مشاكل الطلاب بل اتجه الى حل مشاكل العمال . ففي سنة ١٩٤٠ طلب مجموعة من العمال بمطار وادي

---

(١) النيل : العدد رقم ١٦٤١ بتاريخ ١٢ يناير ١٩٤١ .
انظر ايضا : احمد دياب المرجع السابق ، ص ٩٠ .
(٢) مذكرات خضر حمد : المصدر السابق ، ص ٧٢ ، ص ٣٤٤
(٣) أحمد دياب : المرجع السابق ، ص ٩١ .

سيدنا الحربى ( شمال أم درمان ) من لجنة المؤتمر التنفيذية أن تتقدم بالانابة عنهم باحتجاج حول شروط العمل ، وفى نفس العام تقـدمت مجموعة من العمال نقلتهم ادارة السكة الحديد بعطبرة بطلب للمؤتمر بالادارة البريطانية وتوصلت الى حلول تجاه المشكلتين السابقتين[١] .

وفى ميدان الرياضة راحت لجنة الاصلاح الاجتماعى بالمؤتمر تقيم المهرجانات الرياضية كالذى أقيم فى أم درمان فى ٢٦ نوفمبر عام ١٩٤٣ وغيره من مدن السودان .

كذلك فقد أهتمت لجنة الاصلاح الاجتماعى باقامة مهرجان أدبى سنوى يحتفل به فى اليومين الأول والثانى من عيد الفطر المبارك يعـرض فيه الأدباء والكتاب والشعراء بحوثهم وقصائدهم . وكان أحمد خير هو صاحب فكرة المهرجان الأولى ، وقد اراد لهذا المهرجان ان يصبح أشبه بجامعة للأدب والفن كما أصبح المؤتمر جامعة للوطنية السودانية[٢] .

**(ب) فى المجال التعليمى :**

اتجهت نشاطات المؤتمر فى الحقل التعليمى الى اتجاهين الأول تمثل فى تقديم مذكرات الى الادارة البريطانية لاصـلاح العملية التعليمية ، والثانى تمثل فى المبادرة بانشاء بعض المدارس .

ففى الاتجاه الأول وفى ٢ أبريل عام ١٩٣٩ قدم المؤتمـر مشروعا لاصلاح المعهد العلمى الى السكرتير الادارى . فقد وصل حال هذا المعهد الى وضع سىء ، وكتب كثير من الأدباء فى ذلك الوقت يألمون لحاله وما كان يصيب المتخرج منه من حرج ، والظلام المستقبل أمام طلاب . وكان أمل طلابه يرنو الى قصر بعض الوظائف عليهم كوظائف الكتبة بالمحـاكم الشرعية لاسيما وأنهم تلقوا من الثقافة الدينية والعربية ما كان يؤهلهم لذلك[٣] .

---

(١) احمد دياب : المرجع السابق ، ص ٩٢ .

(٢) احمد خير : المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٣) النيل : العدد رقم ٧٤٢ بتاريخ ١٩ يناير ١٩٣٨ ، ص ١ .

وطالبت المذكرة بزيادة الاعانة المقدمة للمعهد حتى يتمكن من القيام بدوره التعليمي • كذلك فقد اشارت المذكرة الى بيان أوجه الاصلاح في الدراسة كما طالبت بتعيين رئيس مدرب للمعهد من علماء الازهر وتعيين أساتذة جدد واصلاح المناهج في المدارس الابتدائية والثانوية وأن يمنح خريج المعهد شهادة مساوية لشهادة الازهر وان يشيد بيت لطلاب المعهد(١) •

وقد كتب السكرتير الاداري ردا على هذه المذكرة عبر فيها عن أهمية الموضوع لكنه ذكر في رده بأنه « •• رؤى أن من المستحسن قبل اتخاذ أي اجراء رسمي أن تؤخذ آراء واقتراحات القادة المسئولين وأي جهات أخرى عن المسلك الذي يجب أن يتخذ لاصلاح المؤسسة اصلاحات علميا » وهكذا أكد رد الحكومة على أهمية مذكرة المؤتمر وأنها محل دراسة واعتبار •

وقد قبلت معظم المقترحات المتعلقة بالمعهد التي وردت بمذكرة الخريجين ومن ثم تقرر اعادة تنظيم ادارة المعهد ، لكن رفض الاقتراح الذي يطالب بأن يكون المعهد تابعا للازهر كما رفض تشييد بيت للطلاب(٢) •

كذلك فقد رفضت بعض المقترحات التي كانت تتعارض وسياسة الحكومة في الجنوب مثل نشر التعليم والتوسع في التعليم الابتدائي • وتتمثل القيمة الحقيقية لمذكرة الخريجين في أنها أوضحت للحكومة وجهة نظر شاملة متكاملة لنظام التعليم من جانب الطبقة المتعلمة المثقفة(٣) •

---

(١) محمد عمر بشير : تطور التعليم في السودان ١٨٩٨ ــ ١٩٥٦ • ترجمة هنري رياض وآخرون ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٢٨٥ وما بعدها •

(٢) مذكرة السكرتير القضائي في ٢١ مايو ١٩٣٩ ، نقلا عن : محمد عمر بشير ، المرجع السابق ، ص ٢٨٦ •

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٨٧ •

وفى مذكرة يولية عام ١٩٣٩ التى قدمها المؤتمر لحكومة السودان أيد المؤتمر اتجاه الحكومة الى اعادة تنظيم كلية غردون واعلاء مستواها والاتجاه الى انشاء مدرسة ثانوية أخرى والتوسع فى تعليم البنات ، واشارت المذكرة الى ضرورة ان يصبح التعليم حقا مشاعا لكل مواطن ولمعظم من يكونون فى سن التعليم .

وقد أوضحت المذكرة أيضا ان تطور التعليم فى الجنوب لا يمكن ان يتم تحقيقه عن طريق التعليم التبشيرى بل عن طريق انشاء الحكومة للمدارس شريطة ان تكون اللغة العربية هى لغة التخاطب .

كما تقدمت المذكرة باقتراحات أخرى كتخفيض سن القبول بالمدارس الأولية الى ست سنوات للبنين وخمس سنوات للبنات ، وضرورة اصلاح برامج التعليم ، وانشاء تدريب مهنى فى المدارس الأولية والابتدائية وأرسال بعثات للخارج لتدريب مدرسى الثانوى على التدريس وتكوين مجالس استشارية للمدارس الثانية وللكليات الجامعية على ان يمثل السودانيون فيها(١) .

وقد علق خضر حمد على ما قام به المؤتمر فى المجال التعليمى بقوله : ان ما انشاه المؤتمر من المدارس والمعاهد وخلاوى القرآن فى خمس سنوات فاق ما قامت به الحكومة فى خمسين سنة ، وكسب المؤتمر فوق ذلك اتصاله المباشر بالشعب وتبنيه لكثير من مشاكله(٢) .

**( جـ ) فى المجال السياسى :**

اذا كانت أهداف المؤتمر المعلنة قد تمثلت فى الأعمال الاجتماعية والثقافية الا أن رجاله لم ينسوا أنهم قد وضعوا فى رؤوسهم أهدافا سياسية للمؤتمر كانت ترمى آنذاك الى بذل الجهد فى سبيل التخلص من السيطرة الأجنبية على البلاد .

---

(١) محمد عمر بشير : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .
(٢) خضر حمد : المصدر السابق ، ص ٨٩ .

وحين أعلنت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ أعلن المؤتمر تأييده المطلق للديمقراطية واستعداد الكثير من اعضائه للتطوع بالاشتراك فى أعمال الاحتياطات ضد الغارات عن طريق مكاتبهم وانديتهم • وقد شارك كثير من اعضاء المؤتمر باعتبارهم متطوعين من قوة الطوارىء التطوعية التى انشأتها ادارة السودان للدفاع عن السودان ضد أى خطر ايطالى ، وبالرغم من اختلاف وجهات النظر فى صفوف الخريجين تجاه الحرب حيث كان هناك فريق يرى عدم تدخل السودان لنصرة فريق آخر فى الحرب ، وآخر كان يرى ان يكون للسودان وأهله دور فعال فى الدفاع عن الوطن ، الا أنه كان هناك شبه اجماع بين الخريجين بمنح قوة دفاع السودان كل تعضيد للدفاع عن البلاد(١) •

وفى فبراير عام ١٩٤٠ زار على ماهر رئيس الوزراء مصر السودان بدعوة غير رسمية من لدن ستيوارت سايمز حاكم السودان العام • وبالرغم من عدم رضاء سير مايلز لامبسون ( لورد كيلرن فيما بعد ) المعتمد البريطاني فى مصر فقد تمت الزيارة فى ١٨ فبراير عام ١٩٤٠ وكانت أول زيارة يقوم بها زعيم مصرى مسئول للسودان منذ اتفاقية يناير عام ١٨٩٩ •

ولقد حاول الانجليز بشتى الطرق ان يبعدوا على ماهر من الاتصال بشكل مباشر مع السودانيين سواء اكانوا من المثقفين أو السيدين عبد الرحمن المهدي وعلى الميرغنى • وفى تلك المرحلة كان مؤتمر الخريجين يحاول ان يجد له موطأ قدم من خلال زيارة على ماهر للسودان ، فقد كان عليه ان يستثمرها ويجعل منها مظاهرة سياسية تحرك ما يجرى فى دماء السودانيين من عطف نحو مصر وتجعلهم يتكاتفون لكفاح الاستعمار(٢) •

وقد برز فى داخل صفوف الخريجين اقتراحان أولهما كان يرى تكريم على ماهر والوفد المرافق له • والثانى كان يرى ان يقدم المؤتمر مذكرة

---

(١) احمد دياب : المرجع السابق ، ص ١١٩ •
(٢) احمد خير : المصدر السابق ، ص ١٠٨ •

يعبر فيها عن المطالب السودانية الشعبية من مصر . وحول هذين الاقتراحين دار انقاش داخل هيئة المؤتمر ، وانقسموا الى قسمين : قسم يرفض الاحتفال أو التكريم أو حتى الاتصال بعلى ماهر . وكانت الادارة البريطانية تعضد هذا القسم لابعاد المؤتمر من الاتجاه نحو مصر . أما القسم الآخر من انصار مدرسة أبى روف ومدنى ومجموعة الازهرى والانصار فقد رأوا ضرورة ايجاد علاقات وروابط بين مصر والسودان ولم يجهروا بها وفى النهاية انتصرت وجهة نظر القسم الثانى .

وهكذا طلب المؤتمر من الادارة البريطانية فى السودان السماح له بالمشاركة فى تكريم على ماهر . وقد رد الحاكم العام بالموافقة شريطة أن يكون الاحتفال باسم نادى الخريجين وليس باسم مؤتمر الخريجين ولكن لا مانع عنده ان يشارك المؤتمر فى هذا الاحتفال(١) .

وقد قبل اعضاء هيئة المؤتمر كل الشروط التى حددتهم لهم الادارة البريطانية وطمأنوا هذه الادارة بأن الحفل سيكون هزيلا اذ كان هم الانجليز ان يفهموا على ماهر وصحبه ان مصر ليس لها شىء فى السودان(٢) .

ولقد قوبل على ماهر بحفاوة بالغة واعد له حفل ضخم احتشدت له الجماهير وصعدت الى أعلى المنازل المجاورة للنادى ووصل على ماهر ولم يأت معه أحد من الانجليز ، وهتفت الجماهير له ولمصر والسودان ، وكان الحفل مهابا اثار حنق رجال الادارة الانجليزية بقدر ما سر له كل مواطن سودانى ، ووصف على ماهر من قبل الصحافة السودانية وخاصة جريدة النيل على أنه رجل عملى وواقعى يدرس موضوعه فيوفيه ثم يتقدم لانجازه اقدام الواثق . وربما كان هذا الوصف على هذا النحو تمهيدا لما كان يأمله السودانيون من تحقيق مطالبهم التى سيتقدمون بها الى على

---

(١) أحمد دياب : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) خضر حمد : المصدر السابق ، ص ٩٩ .

ماهر(١) .

وقد اعد رجال المؤتمر مذكرة لعلى ماهر تحوى مطالب السودانيين من مصر يمكن تلخيصها فى تقديم العون لسكان جنوب السودان وتمدينهم عن طريق نشر الدين الاسلامى واللغة العربية . كذلك فقد طلبت المذكرة ان تكون مصر مستعدة للمساهمة فى تقديم أية مساعدة لاصلاح شئون المعهد العلمى بأم درمان . ومشروع ( ملجأ القرش ) لأداء غرضه لاسيما وان الأمير عمر طوسون وغيره من المصريين سبق لهم ان ساهموا فى هذا المشروع .

وبالاضافة الى ذلك طلبت المذكرة ان تبذل الجمعيات الخيرية المصرية مجهودا فى انشاء مستشفى أم درمان ، ومساهمة رجال المال والبنوك المصريين بمشاريعهم المفيدة بالسودان لاسيما وان أعمال الانتاج فى السودان وخصوصا الزراعة مربحة اذا ما اديرت بشكل علمى .

واخيرا طلبت من الأمة المصرية ان تقوم بانشاء مكتبة عربية عامة بأم درمان تضم كل المراجع وأمهات الكتب التى انتجتها عقول العلماء والأدباء فى العصور المختلفة(٢) .

وهكذا يمكن القول بأن زيارة على ماهر للسودان عام ١٩٤٠ كانت نقطة تحول فى تاريخ مؤتمر الخريجين وبروز أهداف جديدة له وتوجهات نحو مصر . فقبل هذا التاريخ كان المؤتمر يدور فى فلك الادارة الانجليزية من خلال سيطرة المعتدلين من اصدقاء حكومة السودان على اللجنة التنفيذية للمؤتمر ، ولكن بعد هذا التاريخ أصبح المؤتمر هيئة سياسية ذات اتجاهات مصرية وهو ما كانت حكومة السودان تخشاه وتحاول ابعاد المؤتمر عنه بشتى الطرق .

---

(١) محمد حسنين مخلوف : اسبوعان مع على ماهر فى السودان ، القاهرة ١٩٤١ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٨٦ .
انظر ايضا : خضر حمد : المصدر السابق ، ص ٩٩ .
انظر ايضا : النيل : العدد رقم ١٣٦٧ بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٤٠ ، ص ١
وايضا : النيل : العدد رقم ١٣٦٨ بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٤٠ ، ص ١ .
(٢) خضر حمد : المصدر السابق ( الملحق ) ص ٣٤٣ ــ ٣٤٥ .

وفى الثالث من ابريل عام ١٩٤٢ ارسل مؤتمر الخريجين مذكرة الى الحاكم العام تألفت من اثنتى عشرة نقطة طالب فيها بما يلى :

١ ـ اصدار تصريح بريطانى مصرى مشترك يمنح السودان الحق فى تقرير مصيره بعد الحرب مباشرة .

٢ ـ تشكيل هيئة تمثيلية من السودانيين لاقرار الميزانية والقوانين .

٣ ـ فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية .

٤ ـ تأسيس مجلس أعلى للتعليم يكون السودانيون فيه الاكثرية .

٥ ـ الغاء قوانين المناطق المقفلة ورفع قيود الاتجار والانتقال عن السودانيين داخل السودان .

٦ ـ وضع تشريع بتحديد الجنسية السودانية .

٧ ـ وقف الهجرة الى السودان فيما عدا ما قررته المعاهدة الانجليزية المصرية .

٨ ـ عدم تجديد عقد الشركة الزراعية بالجزيرة .

٩ ـ تطبيق مبدأ الرفاهية والأولوية فى الوظائف وذلك باعطاء السودانيين فرصة الاشتراك الفعلى فى وظائف ذات مسئولية سياسية فى جميع فروع الحكومة الرئيسية وقصر الوظائف على السودانيين ، أما المناصب التى تدعو الضرورة لملئها بغير السودانيين تملأ بعقود محدودة الأجل .

١٠ ـ تمكين السودانيين من استثمار موارد البلاد التجارية والزراعية والصناعية .

١١ ـ وضع قانون بالزام الشركات والبيوتات التجارية بتحديد نسبة معقول من وظائفها للسودانيين .

١٢ ـ وقف الاعانات لمدارس الارساليات وتوحيد برامج التعليم فى

عقد الشمال والجنوب(١) .

وهكذا بتقديم مؤتمر الخريجين لمذكرته الشاملة ذات الاثنتي عشرة نقطة يتقدم خطوة الى الأمام فى محـاولة لتبنى مشاكل السـودان الإقتصادية والإجتماعية والسياسية وايجاد حلول مثلى لها الأمر الذى جعل حكومة السودان تنظر الى كل ذلك بعين القلق لاسيما وأن المؤتمر راح يسير نحو اتجاهات قومية وعالمية ويشـارك فى نمو الشعور القومى(٢) .

ولقد كان رد فعل حكومة السودان على هذه المذكرة مخيبا للامال حيث اعادها سير دوجلاس نيوبولد السـكرتير الادارى الى المؤتمر مرفوضة . وقد ذكر السكرتير الادارى فى رده ان الكثير من طلبات مؤتمر الخريجين يمس بشكل مباشر مركز السودان السياسى ودستوره ، هـذا الدستور المؤسس على اتفاقية الحكم الثنائى سنة ١٨٩٩ ، ومعاهدة ١٩٣٦ والمنفذ بموجب التشريعات الخاصة بذلك والذى لا يمكن تغييره الا بعمل مشترك من قبل الدولتين المتعاقدتين ، وحكومة السودان ليست مستعدة لأن تبحث فى أمر تنقيح ذلك الدستور مع أى مجموعة من الاشخاص . وقد نبه السكرتير الادارى رئيس المؤتمر الى أن مؤتمر الخريجين قـد خرج عن دائرة اختصاصه بمحاولة تحويل صفته الى هيئة سياسية وطنية يستحيل معها ان يحتفظ بالتعاون الحكومى أو الأمل فى استمرار اعتراف الحكومة به ، وجاء فى الرد أيضا ان حاكم السودان العام ومستشاريه على علم تام بما يحتاجه السـودان وما يختلج فى نفوس ابنائه المستنيرين لاشتراك متزايد فى حكومة بلادهم وتنميتها ، ولهـذا تدرس حكومة السودان خططا ترمى الى اشتراكهم اشتراكا أوثق فى ادارة شئونهم(٣) .

---

(١) خضر حمد : المصدر السابق ( الملحق ) ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٢) F.O. 371-45972. Memorandum of the Congress Sub-Committee to the prime Minister Sudan political Intelligence Summary No. 52, August, 1945.

(٣) خضر حمد : المصدر السابق ( الملحق ) ، ص ٣٤٩ .

وقد عقب المؤتمر على رد حكومة السودان بأبداء ابسفه لأن ردها قد انضوى على ما ينقض أسس العدالة وينافى الروح الديمقراطية • وتضمن التعقيب ان المؤتمر يعمل بمقتضى دستوره وان كل ماتضمنته مذكرته داخل هذا النطاق ومع ذلك فان الحكومة رفضت جميع المطالب شكلا وموضوعا • أما مسألة تمثيل المؤتمر للبلاد تمثيلا عاما فقد برهنت الحوادث على ان قراراته وأعماله جميعا محل أهتمام وتأييد جميع الطبقات وهو بذلك يعبر عن جميع الطبقات والرأى العام(١) •

وقد ردت حكومة السودان على التعقيب فى ١٦ يونية سنة ١٩٤٢ على لسان نيوبولد السكرتير الادارى الذى ذكر بان الحاكم العام للسودان غير مستعد لأن يقبل مطالب من مؤتمر الخريجين بخصوص دستور السودان ولا حتى ادعاء المؤتمر بأنه يمثل السودان •

وفى لهجة حادة ختم نيوبولد رده بأن معالى الحاكم العام يرغب فى أن يذكر هؤلاء الاعضاء من مؤتمر الخريجين الذين هم موظفو حكومة بواجباتهم كموظفين • أما اذا أصر المؤتمر على تحويل نفسه الى هيئة سياسية والتعرض الى مسائل دستورية وأية مسائل أخرى من شأنها ان تقوده الى الاصطدام بسياسة الحكومة فسوف لا تملك الخيار من ان تحظر على موظفيها الانضمام الى المؤتمر أو البقاء فيه(٢) •

وهكذا كان السجال أو قل ان شئت الصراع متبادلا بين المؤتمر وبين حكومة السودان • فمؤتمر الخريجين يحاول ان يبرهن على أنه الممثل الحقيقى للشعب السودانى وان ينتزع له حقوقا سياسية بينما ترفض حكومة السودان ان تعطى المؤتمر هذه الحقوق وتلوح بعصا السلطة القوية من أنها سوف تتخذ اجراءات حازمة حيال موظفيها الذين هم اعضاء فى المؤتمر ان هم تمادوا فى مطالبهم داخل المؤتمر •

---

(١) خضر حمد : المصدر السابق ، ص ٣٥٠ ـ ٣٥٢ •
(٢) نفس المصدر ، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ •

وقد حدث ان التقى نيوبولد — سرا — ببعض كبار اعضاء المؤتمر أمثال ابراهيم أحمد عوض وعوض ساتى وعبد الماجد أحمد وأكد لهم ان حكومة السودان ستنظر فى مطالبهم الأمر الذى أدى الى حدوث انشقاق داخل صفوف المؤتمر اذ اظهر بعضهم ثقة بتأكيدات نيوبولد بينما إعتبر الاخرون ان الثقة بأى تأكيدات شخصية بعد الرفض الرسمى يعتبر عملا غير وطني(١) .

## موقف المؤتمر من المجلس الاستشارى لشمال السودان :

لقد تم انشاء هذا المجلس بموجب القانون رقم ٣٦ لسنة ١٩٤٣ بناء على قرار من الحاكم العام للسودان فى نفس السنة . وكان قاصرا على المديريات الشمالية الست(*) . وتكون من الحاكم العام رئيسا والسكرتيرين الثلاثة : الادارى والقضائى والمالى نوابا للرئيس ، ومن اعضاء عاديين واعضاء شرف واعضاء غير عاديين ، وكان مجموع اعضائه ثمانية وعشرين عضوا(٢) .

أما اختصاصات هذا المجلس فكما تبدو من اسمه استشارية ، فقد نصت المادة الرابعة عشر من قانون المجلس على الطريقة التى يستأنس بها الحاكم العام برأى المجلس ، فالرئيس — وهو الحاكم العام — هو الذى يضع قائمة الأعمال التى تبحث فى كل دورة ولا يجوز بحث أى موضوع ما لم يكن مدرجا بهذه القائمة(٣) .

ولقد واجه المجلس الاستشارى معارضة قوية من جانب كثير من العناصر الوطنية فى السودان وعلى رأسها — آنذاك — مؤتمر الخريجين

---

(١) محمد أحمد محجوب : الديمقراطية فى الميزانية ، ص ٤٣ .

(*) ١ — مديرية النيل الازرق ٢ — دارفور ٣ — كردفان ٤ — كسلا ٥ — الخرطوم ٦ — المديرية الشمالية .

(٢) حكومة السودان : تقرير عن ادارة السودان فى عام ١٩٤٥ قدمه الحاكم العام لحكومة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة وللحكومة المصرية الملكية ، ص ٦ .

(٣) ابراهيم محمد حاج موسى : المرجع السابق ، ص ٢٠ وما بعدها .

ومن الصحافة والرأى العام فى مصر على اعتبار ان هذا المجلس يرمى الى فصل جنوب السودان عن شماله .

أما جماهير الانصار وقلة من المثقفين فقد قبلت المجلس الاستشارى . وقد روى عبد الرحمن المهدى أسباب مشاركته فى المجلس قائلا أنه حين رفضت حكومة السودان مذكرة الخريجين دعانى هذا لأن اقابل الحاكم العام وأخبره بأن أملهم قد خاب عقب رفض المذكرة فرد عليه الحاكم العام ( السير هدلستون ) أننا سنفعل شيئا للسودان ، وكان هذا الشيء الذى قصده الحاكم العام هو المجلس الاستشارى . لذلك كله فقد نصح السيد عبد الرحمن رجاله بقبول المجلس وضرب لهم مثلا بالشخص الذى يطلب دينا على آخر فهل يرفض اذا سلمه المدين جزءا من دينه أم يأخذه ويطلب الباقى ، وهكذا يجب ان نقبل المجلس ونطالب بباقى حقوقنا(١) .

ويرى البعض ان انشاء المجلس الاستشارى كان نتيجة لتطور مؤتمر الخريجين سياسيا وقيادة المؤتمر للحركة الوطنية من خلال تقديم مذكرته فى أبريل عام ١٩٤٢ والتى أدت الى تفاقم العلاقة بين الادارة البريطانية فى السودان وبين المؤتمر من ناحية والى التقارب بين مصر ومؤتمر الخريجين من ناحية أخرى الأمر الذى دفع ( نيوبولد ) أن يكون المجلس الاستشارى حتى يحافظ على ولاء المعتدلين للادارة البريطانية ويضرب وحدة الحركة الوطنية وهو ما نجح فيه(٢) .

وكان موقف مؤتمر الخريجين تجاه المجلس الاستشارى شديد المعارضة لأن هذا المجلس فى نظرهم سوف يصبح هيئة دستورية تهدد وجوده ، لذلك فقد اجتمعت لجنة المؤتمر وقدمت تقريرها الى الهيئة الستينية الذى قضى عدم بالاشتراك أو حتى الاعتراف بهذا المجلس . وبالاضافة الى ذلك فقد أرسل مؤتمر الخريجين مذكرة الى حكومة السودان شرح فيها أسباب رفضه للمجلس والتى تلخصت فى أن المجلس

---

(١) الصادق المهدى : جهاد فى سبيل الاستقلال ، ص ٤٥ .

(٢) Holt, P.M., A Modern History of the Sudan, P. 148.

انظر ايضا : احمد دياب : المرجع السابق ، ص ١٥١ – ١٥٢ .

لا يملك أية سلطات ، وأن عدد أعضائه قليلون اذا ما قورنوا بعدد سكان السودان ، كما أنهم معينون ولم ينتخبوا . وعلى هذا النحو فهم ليسوا ممثلين للأمة . كذلك فان التحفظات التى إشتمل عليها أمر تأسيس المجلس فى البنود ٩ ، ١٠ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ كان الهدف منها منع الأعضاء من توجيه النقد للادارة البريطانية والكف عن المناقشة الحرة لأى موضوع هـــام .

ومن الدوافع التى جعلت المؤتمر يحجم عن المشـــاركة فى المجلس الاستشارى أنه كان يتوقع أن تكون غالبية اعضاء المجلس من زعماء العشائر والسلطات المحلية ، كما أن المقعـــدين اللذين كان من المقرر اعطاؤهما للمؤتمر لا يكفيان لمقاومة نفوذ تلك العناصر داخل المجلس(١) .

واخيرا فان قانون المجلس الاستشارى قد حوى بندا اثار شكوك مؤتمر الخريجين وهو ابعاد جنوب السودان الأمر الذى يودى الى فصل الجنوب عن الشمال على الرغم من اتصلات القـــوية بينهما من النواحى الاقتصادية والسياسية وغيرهما(٢) .

وقد حرم مؤتمر الخريجين على اعضائه المشاركة فى المجلس وهدد بفصل كل من يقدم على ذلك ، بل قام فعلا بفصل بعض الخريجين ممن تعاونوا مع الحكومة فى هذا الصدد . ففى انتخابات مؤتمر الخريجين التى جرت فى نهاية عام ١٩٤٣ أسفرت النتائج عن فوز العناصر التى عرفت ( بالمعتدلين ) وحصلت على أغلبية داخل اللجنة التنفيذية للمؤتمر والتى أصبح ابراهيم أحمد رئيسا لها ، ومن ثم حاولت اللجنة رفع قرار مقاطعة الخريجين للمجلس الاستشارى وذلك حين قدم (نصر الحاج على) اقتراحا بهذا الشأن وأيده نفر من اعضاء المؤتمر من جماعة ابراهيم أحمد . ولكن قرار اعادة النظر فى مقاطعة المجلس لقى هزيمة من أغلبية اعضاء الهيئة الستينية . وقد جرى ــ كذلك ــ فصل محمد على شوقى عضو الهيئـــة

---

(١) محمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ، ١٩٠٠ - ١٩٦٩ ، ص ٢١٥ .

(٢) احمد دياب : المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

التنفيذية من عضوية المؤتمر لأنه قبل ترشيح مدير مديرية الخـــرطوم للمَجلس الاستشارى (١) ٠

وكانت وجهة نظر المعتدلين فى مؤتمر الخريجين من المشـاركة فى المجلس الاستشارى أنه يتيح فرصة للمتعلمين السودانيين لمناقشة قضايا ومطالب البلاد (٢) ٠

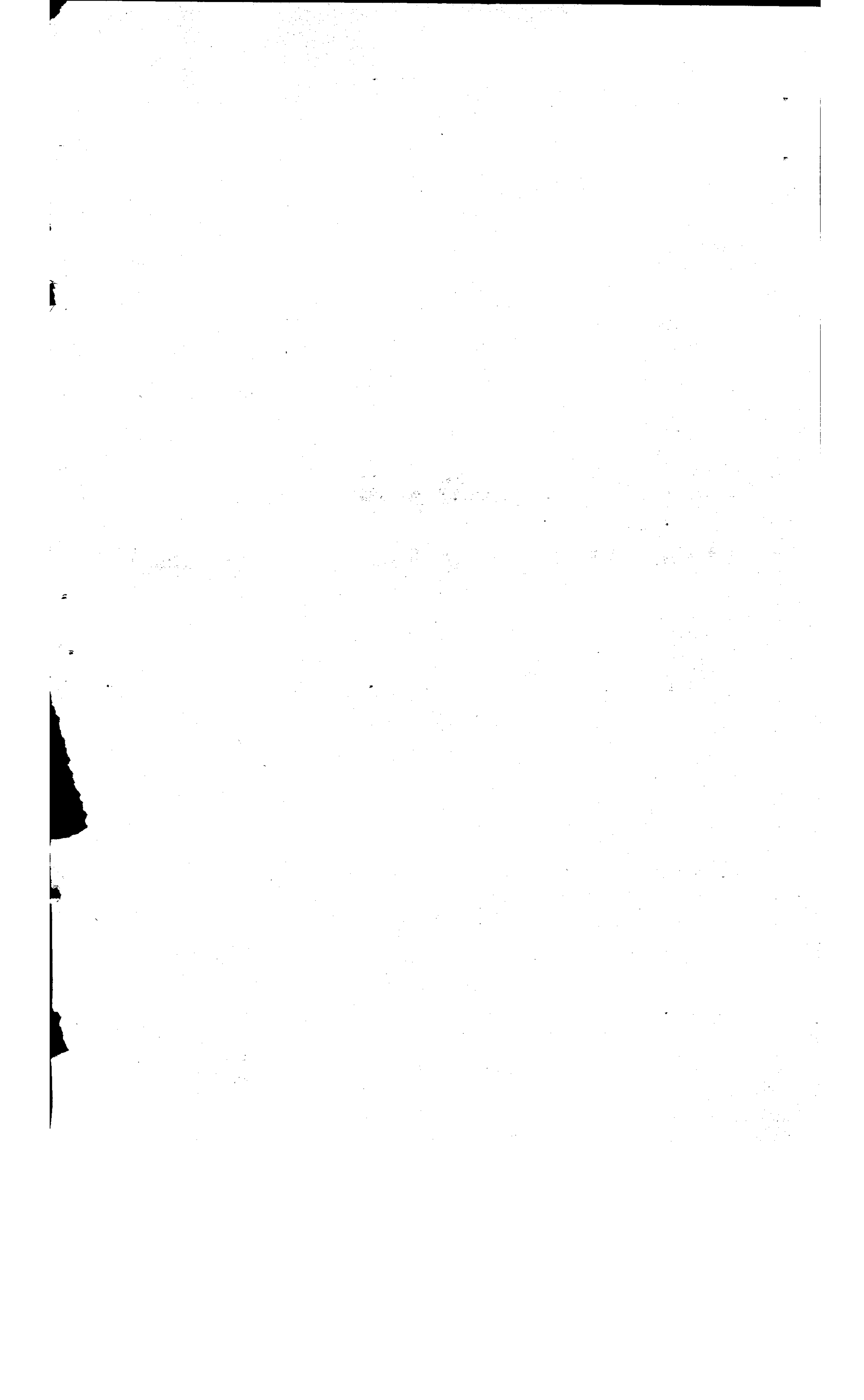
***

(١) F.O. 371-45972. Memorandum of the Congress Sub-Commitee to the prime Minister, Op. Cit.

(٢) محمد عمر بشير : المرجع السابق ، ص ٢١٦ ٠

# القسم الثالث

## المجلس الاستشارى لشمال السودان ١٩٤٣ ـ ١٩٤٨



## نشأة المجلس الاستشارى

لقد بدأ ميلاد فكرة انشاء مجلس استشارى لشمال السودان فى يناير عام ١٩٤٣ حين قام الحاكم العام للسودان بتعيين لجنة سباعية لبحث هذا الامر ، وبناء على تقرير هذه اللجنة صدر قانون المجالس الاستشارية (x) . وبموجب هذا القرار اصدر الحاكم العام قانون المجلس الاستشارى لشمال السودان عام ١٩٤٣ xx.

ولقد اقتصر هذا المجلس على الجزء الشمالى من السودان والمديريات الست منه على وجه الخصوص وهى : مديرية النيل الازرق ومديرية دارفور ومديرية كردفان ومديرية الخرطوم والمديرية الشمالية .

اما تشكيل المجلس فقد كان الحاكم العام له رئيسا ، والسكرتير الادارى والسكرتير القضائى والسكرتير المالى نوابا للرئيس بالاضافة الى اعضاء عاديين وأعضاء شرف واعضاء غير عاديين .

---

x قانون رقم ٧ لسنة ١٩٤٣.

xx قانون رقم ٣٦ لسنة ١٩٤٣ ، انظر : ابراهيم محمد حاج موسى : التجربة الديمقراطية وتطور نظم الحكم فى السودان القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٧.

وكان عدد الاعضاء العاديين ثمانية وعشرين عضوا انقسموا الى ثلاث فئات : الفئة الاولى : أعضاء يمثلون المديريات الست المذكورة سابقا بواقع ثلاثة اعضاء لكل مديرية يقوم الحاكم العام بتعيينهم من بين اعضاء مجلس المديرية ان كان هناك مجلس مديرية ساعة اختيارهم ، اما اذا لم يكن هناك مجلس مديرية فيقوم الحاكم العام بناء على توصية مدير المديرية بتعيينهم من بين الافراد الذين لهم سلطات حكومة محلية . والفئة الثانية : عضوان يمثلان الغرفة التجارية بالسودان يقوم الحاكم العام بتعيينهما على ان يكون احدهما سودانى الاصل . اما الاعضاء الشرف فكان الحاكم العام دائما يختارهم من اعيان السودان ، واقتصرت هذه العضوية الشرفية على زعيمى الطائفتين الختمية والانصار . واخيرا الاعضاء غير العاديين الذين كان يعينهم الحاكم العام كي يوضحوا للمجلس سياسة الحكومة بالنسبة لاى مسألة مدرجة فى قائمة اعمال المجلس الدورية وتنتهى مهمتهم بانتهاء الدورة ، وكان عددهم دائما ثلاثة (١).

---

(١) ابراهيم محمد حاج موسى : المرجع السابق ص ٢٠.

انظر ايضا Holt, P.M.; The History of the Sudan from the coming Islam to the Present Day. p.149.

انظر ايضا Henderson, K.D.D.; The Making of the Modern Sudan, the life and letters of Sir Duglas Newbold. p.302.

انظر ايضا : النيل ، العدد رقم ٢٥٥١ بتاريخ ١٦ يناير ١٩٤٤ ص ١

انظر ايضا : ام درمان ،العدد رقم ٢٢ بتاريخ مارس ١٩٤٦ ص ١٥.

وكان التقليد المتبع فى المجلس هو ان ينسحب الحاكم العام من الاجتماع عقب القائه كلمة الافتتاح والتصديق على وقائع الجلسة السابقة ويقوم بتسليم الرئاسة للسكرتير الادارى ، كما ينسحب معه العضوان الفخريان اذ يعتقد ان حضورهما قد يؤدى الى حجز حرية ابداء الرأى الصريح من داخل المجلس لما لهما من نفوذ عظيم فى البلاد .(١)

وفى زيارة الحمامصى للسودان آنذاك التقى بالسكرتير الادارى للسودان " روبرتسون " ووجه اليه السؤال الاتى : لماذا عين الاعضاء ولم ينتخبوا ؟ فأجاب السكرتير الادارى قائلا : ان هذا السؤال لا اظن انه يمثل الحقيقة ذلك لان اعضاء المجلس وعددهم ٢٨ بخلاف الرئيس ونائب الرئيس يتمتعون بشروط نص عليها القانون ، فان ١٨ عضوا من هؤلاء الاعضاء " ينتخبون " من بين اعضاء مجالس المديريات الست على ان يوافق الحاكم العام على هذا " الانتخاب ".(٢)

والحقيقة ان الحاكم العام كما هو واضح كان يتدخل فى تشكيل هذا المجلس كما تهوى السياسة البريطانية فى السودان ،

---

(١) اخبار الحرب والعالم : العدد رقم ٧٧ بتاريخ ٢٧ ديسمبر عام ١٩٤٤ . ص ١٢.

(٢) جلال الدين الحمامصى : ماذا فى السودان . دار المعارف، القاهرة ١٩٤٥ . ص ٤٨ .

فالفكرة في انشائه بريطانية واعضاؤه لابد ان يختاروا بعناية بحيث لا يصطدموا بهذه السياسة ، كما ان رئاسة هذا المجلس كانت بريطانية والنتيجة بطبيعة الحال ان يفرز هذا المجلس قرارات " استشارية " كما يشير اسم المجلس .

واذا حاولنا التعرف على التركيبة الاجتماعية لاعضاء المجلس من السودانيين فلسوف نجد انهم كانوا يمثلون في المقام الاول أبناء الطبقة الوسطى التى تمثلت فى صفوة كبار رجال الادارة الاهلية وبعض كبار الموظفين السابقين من ابناء المديرية الشمالية .(١) بالاضافة الى واحد من رجال التجارة بين اعضاء الفرقة التجارية السودانية . ولا شك ان هذه الفئة ولاسيما الاولى منها ترتبط مصالحها بمصلحة حكومة السودان بحكم الوظائف التى يشغلونها داخل مؤسسات الحكومة ومن ثم كان من المحتم ان تحافظ هذه الشريحة على مصالحها من خلال الموافقة على كل مقترحات الحكومة اى انها فى معارضتها داخل المجلس ـ ان جاز هذا التعبير او من خلال أبداء رأيها خلال الجلسات ـ كان لابد ان تراعى هذه الامور .

واما الاعضاء الشرقيون الذين يمثلون كبار رجال الطائفية فقد اعطوا عضوية المجلس فى محاولة لكسب جماهير هذه الطوائف

ولاسيما الختمية والانصار • اذ انه من المعروف ان السودانيين بشكل عام يكادون ان يكونوا مقسمين او موزعين بين هاتين الطائفتين •

اما الشريحة او الفئة الثالثة فكان يمثلها قمة رجال الادارة فى السودان امثال السكرتير الادارى والقضائى والمالى الذين هم اشبه بالوزراء • وكانت اراؤهم وافكارهم داخل المجلس لا تمثل او تعكس مطالب السودانيين من اى فئة كانت بل كانت تعبيرا عن مصالح بريطانيا • فهم فى الاصل بريطانيون وليسوا سودانيين ومن ثم فقد كان طبيعيا ان تصدر هذه الاراء داخل المجلس تعبيرا عن مصالح التاج البريطانى

وهكذا فان تركيبة هذا المجلس من رؤساء القبائل والعشائر وكبار موظفى الحكومة ومدير بنك باركليز البريطانى ومدير الغرفة التجارية البريطانية ايضا وغيرهم من رجال الادارة ، كانت بريطانية لحما ودما فكان لزاما ان تكون توجيهات الاعضاء بريطانية اكثر منها سودانية• هكذا اصبح المجلس هدفا للحركة الوطنية التى اخذت تعامله كمؤسسة استعمارية اريد بها فصل السودان عن مصر وفصل جنوب السودان عن شماله • (١)

ونقرأ فى احد تقارير الخارجية البريطانية ان اسباب اقتصار المجلس على المديريات الشمالية يرجع الى عاملين :

---

(١) عبدالعظيم رمضان : اكذوبة الاستعمار المصرى للسودان ص ١١٠•

الاول : يتمثل فى الاوضاع العامة من اجتماعية وثقافية واقتصادية ولغوية لشمال السودان - والتى كانت فى نظر السيد سيتورات سايمز الحاكم السابق للسودان - تختلف اختلافا حادا عن مثيلاتها فى جنوب السودان .

الثانى : ويتمثل فى الاختلاف العرقى والتخلف النسبى لقبائل الجنوب السودانى الامر الذى يؤدى الى اعاقة اختيار الممثلين المحليين المناسبين . وعلى هذا النحو فان الجنوب فى هذه الاونة لم يكن مؤهلا كى يمثل فى الشمال ، كما انه فى ذات الوقت لا يمكن للشمال أن يمثل الجنوب . (١)

وقد كتب السير دوجلاس ينوبولد فى ١٤ يناير عام ١٩٤٤ يرد على الخوف الذى سرى فى بعض الاوساط السودانية من محاولة حكومة السودان فصل الجنوب عن الشمال قائلا : ان الاسباب التى دعت الى اقتصار هذا المجلس على المديريات الست الشمالية بسيطة جدا ، فهى اسباب عملية وليست سياسية وسبق شرحها من خلال المذكرة التفسيرية المرفقة مع اللوائح ( القوانين ) ،ومذكرة

---

(١) F.O. 141-1024. Special Legislative Supplement - Dated 1st. September 1943 to the Sudan Government Gazette No. 731.

مختصرة باللغة العربية طبع منها حوالى الف نسخة وجرى تداولها في خلال الشهرين الماضيين واضاف السير نيوبولد اننا لا نصدر حكما مسبقا على الاوضاع المستقبلية للجنوب السوداني ، فالجنوب ببساطة شديدة ولاسباب تاريخية وطبيعية لم يصل الى درجة من التقدم والالتحام تمكنه ان يبعث بممثلين له على درجة من الكفاءة الى مجلس من هذا النوع ⋅ (١)

مهام المجلس :

بداية نود ان نشير الى ان اختصاصات المجلس الاستشارى لشمال السودان قد نبعت من اسمه الذى يشير الى ان جميع القرارات التى يصدرها استشارية ⋅ والمادة الرابعة عشرة من قانون المجلس تشرح هذه الاختصاصات ⋅ فالحاكم العام - وهو رئيس المجلس - هو الذى يضع قائمة الاعمال التى يجرى بحثها فى كل دورة ، ولا يجوز بحث اى موضوع مالم يكن مدرجا بهذه القائمة ⋅ وقد اوضح الحاكم العام بشكل صريح فى خطابه الافتتاحى للمجلس فى ١٥ مايو عام ١٩٤٤ الوظيفة التى من اجلها وجد قائلا " ⋅⋅ فهذا المجلس وظيفته ان يقدم المشورة للحاكم العام فى مسائل الحكم الهامة من ناحية ويتلقى منه

---

(١) F.O. 141-1024. Extract from Broodcast on the Advisory Council for the Northern Sudan by Sir Duglas Newbold, K.B.E. on 14-1-1944.

بيانات عن سياسة الحكومة في بعض المواضيع من ناحية اخرى ، وللمجلس ان يشمل في مداولته جميع نواحي النشاط الحكومي في شمال السودان .(١)

وعلى هذا النحو فقد كانت اراء المجلس استشارية بحته وليست ملزمة للحكومة بل اكثر من هذا فان الحكومة كانت تحدد المسائل التي ترغب في استشارة المجلس فيها ، كما ان قرارات هذا المجلس لم تكن ملزمة فللحكومة ان تاخذ بها او تطرحها جانبا . وربما يشبه هذا المجلس مجلس شورى القوانين الذي انشئ بمصر عام ١٨٨٣ .(٢)

وعلى الرغم من هذا التحديد لوظيفة عمل المجلس على هذا النحو الا ان الحكومة كان يساورها الشك في ان تنقل المناقشات الى تناول الموضوعات السياسية خارج الاطار الحكومي المحدد

---

(١) خطاب الحاكم العام الا فتتاحي في الدورة الاولى ـ ضابط المجلس الاستشاري ـ اجراءات الدورة الاولى . ص ١٨ ، انظر ايضا جريدة النيل : العدد ٢٦٢٩ ـ ١٥ مايو ١٩٤٤ ـ نص كلمة الحاكم العام . ص ١.

(٢) ثروت بدوي ـ النظام الدستوري العربي . ص ٢٠٩.

لها وقد وضح ذلك من جانب الحكومة عند تناول المجلس في أول جلساته موقف الصحفيين من حضور مداولات المجلس . فقد ذكر بعض الاعضاء ان الوقت لم يحن بعد للسماح للصحفيين بحضور جلسات المجلس لان الصحافة السودانية مازالت ناشئة وغير مسئولة ، وقد تحاول ارضاء قرائها اكثر من محاولتها تحري الصدق .×

وهناك من رأى الموافقة على حضور الصحفيين مداولات المجلس بشروط منها : عدم ذكر الاسماء او تحريف ما يقال او اقتباس جزء منه خارج عن سياق الحديث او نشر صور كاريكاتورية بل مراجعة ماترغب في نشره بواسطة هيئة سكرتارية او لجنة من اعضاء المجلس .××

اما السكرتير الادارى فقد اقترح على المجلس تعيين لجنة خاصة لدراسة علاقة المجلس بالصحافة ، ووافق الاعضاء على هذا الاقتراح ، وتكونت اللجنة من ستة اعضاء من المجلس " لتقرير

---

× هذا الرأى كان لعبدالله خليل عضو المجلس وسكرتير حزب الامة عند انشائه عام ١٩٤٥ ، وايضا تبنى هذا الرأى عبدالكريم محمد من فئة الاعضاء العاديين الذين عينهم الحاكم العام .

×× هذا الاقتراح كان للشيخ خليل عكاشة عضو المجلس وأحد التجار بالابيض والممثل لمديرية كردفان .

مايلزم من السبل التى تكفل الدقة فيما ينشر من مداولات المجلس فى الصحف وتدرس علاقة المجلس بالصحافة مستقبلا وان تقدم توصياتها فى تقرير يعرض على المجلس فى ٧ ديسمبر ١٩٤٤". (١)

ولقد طالبت جريدة النيل بان تحتل الصحافة مكانها الاول فى قاعة المجلس فهى الصلة بينه وبين الشعب ، وانه لمن الخير للحكومة وللمجلس معا ان يتبوأ رجال الصحافة مقاعدهم فى قلب المجلس لينقلوا الى الناس محاضر جلساته ووجهة نظر اعضائه بدل ان يقرأوها فى بيان رسمى مقتضب ذى جانب واحد وهو جانب الحسنات . (٢)

---

(١) تكونت اللجنة من عبدالله خليل والدكتور على بدرى وحامد السيد ومكى عباس وميرغنى حمزة ومحمد على شوقى . انظر :

The Advisory Council for the Proceeding of the Second Session. 5-10 December, 1949.

(٢) النيل : العدد رقم ٢٦٤١ بتاريخ ١٦ مايو ١٩٤٤ ص ١.

## المجلس الاستشاري بين القبول والرفض

هكذا تبين لنا ان حكومة السودان كانت حريصة منذ البداية ان ترسم للمجلس الاطار الذى يتحرك خلاله والذى يقتصر على تقديم المشورة للحاكم العام وتلقي البيانات منه فى موضوعات بعينها. وبدأ المجلس وكأنه مكبل بالاغلال ، الامر الذى جعل هذا المجلس يتأرجح فى الميزان بين المؤيدين له والمعارضين ، فراح كل فريق يدلو بدلوه ويعرض اراءه .

واذا ما عرضنا فى البداية لفريق المؤيدين لانشاء المجلس نجد على رأسهم حكومة السودان صاحبة الفكرة والمدافعة عنها. فقد حاول السكرتير الادارى بوصفه الناطق الرسمي للادارة البريطانية فى السودان الاجابة عما وجه للمجلس من نقد وازالة المخاوف التي ساورت الناس ولاسيما الطبقة المثقفة قائلا : " ان الاسباب التى جعلت هذا المجلس يقتصر على المديريات الشمالية الست قامت على اعتبارات عملية وليس على اعتبارات سياسية وان السودانيين ببساطة لم يصلوا بعد الى درجة من الاستنارة تمكنهم من ارسال مندوبين اكفاء لهذا المجلس ، واضاف السكرتير الادارى قائلا : " ان الحكم الاستشارى مرحلة انتقالية للتدريب على الحكم الذاتى وان اسرع طريقة للتدريب على ذلك هو العمل بجد والتعلم باجتهاد مرحلة بعد اخرى ... وان ظروف السودان الخاصة تتطلب

منا ان لا نقلد الاقطار الاخرى عربية كانت ام افريقية .(١)

كذلك فقد اوضح " نيوبولد " السكرتير الادارى للسودانيين فـــى ١٤ يناير عام ١٩٤٤ انه وان كان المجلس استشاريـــا فليس معنى ذلـــك ان الحكومة سوف لا تأخذ برأيه ، واضـــاف ان المجلس بهذا الشكـــل يعد خطوة اولى فى سبيل انشاء مجالس ذات سلطات واسعة. وحيـــن تعرض لجنوب السودان نفى ان تكون الادارة البريطانيـــة تهدف الى فصلـــه عن الشمال .(٢)

وقد اعتبر ( هولت Holt ) قيام المجلس الاستشـــارى تطورا طيبـــا ومحاولة من جانب الحكومـــة للوصول الى اتفاق مع الحركـــة الوطنية السودانية .

---

(١) محمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ـ ترجمـــة هدى رياض واخوان . الدار السودانية للكتب ـ الخرطـــوم، ١٩٨٠ ص ٢١٨، انظر ايضا: Henderson, K.D.D., The Making fo the Modern Sudan, p.562.

(٢) المجلس الاستشارى ـ الدورة الاولى . نص الكلمة التى اذاعهـــا السكرتير الادارى نيوبولد من راديو ام درمان . انظر ايضـــا : احمد ابراهيم دياب : تطور الحركة الوطنية فى السودان ١٩٣٨ ـ ١٩٥٣ ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ بغداد ص ١٥٥. انظر ايضا: محمد احمد محجوب ـ الديمقراطية فى الميـــزان ص ٢١١.

كذلك فقد اعتبره رغم القيود التي كبل بها ـ خطوة في سبيل تطـــور المؤسسات النيابيـــة (١).

وربما كان هولت في هذا الرأى يصدر من الفكرة التي كان يسيـــر عليها رجال الادارة البريطانيـــة في السودان حيث كانـــوا يـــرون أن من واجبهم تدريب الموظفين السودانيين والسلطات المحلية السودانيـــة علـــى القيام بالاعمـــال الادارية والفنيـــة لمعاونة غير السودانييـــن ، وعلـــى هذا النحو يعد المجلـــس الاستشارى من وجهـــة نظرهم خطو ة لبلـــوغ هذه الغاية .

المهدية والمجلس الاستشارى :

وافق السيد عبدالرحمن المهدى زعيم بيت الانصار انذاك على الاشتـــراك في المجلس الاستشارى حين ارسل اليه الحاكم العام نسخـــا من امر المجلـــس الاستشارى وقانون المجالس الاستشارية في سبتمبر عام ١٩٤٣ مع مذكرة شخصيـــة توضح مكانته ، وارسل عبدالرحمن المهدى رده الذى ضمنه قبوله التعيين فـــى المجلس، كما اجتمع مع السكرتير الادارى عدة مرات حيث ناقش معه بشكـــل مطول وضع اعضاء المجلس . (٢)

---

(١) Holt, P.M.; Op.Cit. P.149.

(٢) F.O. 371 - 35580. Sept. 1943. Item 234.

انظر ايضا : احمد ابراهيم دياب . المرجع السابق ص ١٥٣.

ويجيب عبدالرحمن المهدى نفسه عن سبب قبوله الاشتراك في المجلس الاستشارى قائلا : " قلت ان الحكومة لم تعترف بمقدمي مذكرة المؤتمر ودعاني هذا لان اقابل الحاكم العام السير " هدلستون" في قصره وذكرت له انهم خيبوا امالنا باهمالهم للمذكرة فرد السير هدلستون بقوله " اننا سنعمل شيئا للسودان " وكان الشئ الذى يقصده الحاكم العام هو المجلس الاستشارى لشمال السودان ".

واضاف عبدالرحمن المهدى قائلا : " ولما عرضت على فكرة المجلس الاستشارى قبلتها ونصحت رجالى ان يقبلوا الاشتراك في المجلس واذكر اننى ضربت لهم مثل الشخص الذى يطلب دينا على اخر فهل يرفض اذا سلمه المدين جزء من دينه ام يأخذه ويطالب بالباقى وهكذا نحن يجب ان نقبل المجلس ونطالب بباقى حقوقنا .(١)

ويمضى عبدالرحمن المهدى فى روايته بانه سافر بعد ذلك الى بلدة اركويت وقابل المستر " بنت " السكرتير القضائى الذى قال له " انكم فعلتم خيرا بقبولكم للمجلس الاستشارى لان هذا المجلس سيتطور بعد عشرة او عشرين عاما الى جمعية تشريعية.(٢)

---

(١) الصادق المهدى : جهاد فى سبيل الاستقلال ، المطبعة الحكومية الخرطوم ص ٤٤ ـ ٤٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٥.

ويواصل السيد عبدالرحمن المهدى سبب قبوله لهذه المؤسسات الدستورية التى بدأت بالمجلس الاستشارى او ما اسماه " بالتطور الدستورى" قائلا : " لقد كنت ارى الانجليز يسيرون على مبدأ الاستشارة الفردية فى شئون البلاد مما يتيح لهم التلاعب بحقوقنا فكانوا يقولون للاعيان انا تحدثوا معهم فى امر : " هذا من راى المتعلمين " ، واذا تحدثوا مع المتعلمين يقولون لهم : " هذا ليس من رأى الاعيان " ، ولذلك كان لابد من ايجاد هيئة تتحدث برأى الجميع وتقضى على مثل هذه الاتصالات وكنت شديد الحرص على قيام هذه الهيئة ولكنها عندما قامت اضعفها تخلف فريق من السودانيين عن دخولها "(١).

واذا كانت هذه المبررات التى ساقها السيد عبدالرحمن المهدى تبدو من حيث مظهرها وجيهة الا انها فى واقع امرها غير سليمة بشكل عام ويشوبها القصور . فقوله مثلا ان الدخول فى هذا المجلس يجمع كلمة السودانيين ويمنع دخول البريطانيين بين الاعيان والمتعلمين غير صحيح . فعلى العكس فان ميلاد هذا المجلس جاء يحمل بين جوانحه عوامل الفرقة بين السودانيين ليس فقط بين المتعلمين والاعيان ولكن بين السودانى فى الشمال واخيه السودانى فى الجنوب حين اقتصرت عضويته على المديريات الست الشمالية .

---

(١) المصدر السابق ص ٦٤ ، انظر ايضا : الصادق المهدى : رسالة الاستقلال ، ١٩٨٢ ، ص ١١.

واذا كان السيد عبدالرحمن المهدى يريد للاعيان والمتعلمين ان تتوحد كلمتهم فلماذا لا يكون ذلك من خلال مؤسسة سودانية صرفة كمؤتمر الخريجين الذى كان يحمل لواء الحركة الوطنية آنذاك والذى ولد المجلس الاستشارى اصلا لوأده واحتواء عناصره .

اما قوله بان تخلف بعض الفرقاء عن الدخول فى هذه الهيئة قد اضعفها هو ايضا قول مبتسر . فهذه الهيئة جاءت اصلا منذ بدايتها ضعيفة ولا ترضى كل الفرقاء السودانيين بل كانت ـ فى تقديرى ـ فخا نصبه البريطانيون للايقاع بالحركة الوطنية السودانية التى حمل مشعلها مؤتمر الخريجين .

وما ان اعطى عبدالرحمن المهدى اشارة الموافقة على الاشتراك فى المجلس حتى اندفع " الانصار " الى تأييده والدفاع عن المشاركة فى هذه المؤسسة . فها هو عبدالرحمن على طه احد كبار الانصار يقول " انه مهما كانت دوافع الانجليز فى تكوين المجلس الأستشارى فان حزب الامة وانصاره من المتعلمين والاعيان وزعماء القبائل قبلوا الاشتراك فيه ليتخذوه نواه للعمل الايجابى .(١)

---

(١) عبدالرحمن على طه : السودان للسودانيين . ص ٣٢.

ويرى البعض ان لطائفة من المتعلمين السودانيين وحزب الامة بقيادة السيد عبدالرحمن المهدي المؤيد بطائفة الانصار وجهة نظر اخرى مغايرة ، فقد دافعوا عن الاشتراك في التطورات الدستورية المقترحة بواسطة الادارة البريطانية دون ان يكونوا غافلين عن العيوب والضعف الذى اعتور المجلس الاستشارى ومهما يكن من احد فان حزب الامة كان يتجه تدريجيا الى سياسة التعاون مع الادارة البريطانية .

ويضيف صاحب هذا الرأى ان حزب الامة كان يلعب لعبة مزدوجة وذلك بوقوفه مع معسكر الوطنيين من ناحية ومساهمته في المجلس الاستشارى من ناحية اخرى . فهو يحاول التصدى للمشكلة الوطنية بوجهين متباينين ، ولم يكن موقفه ذلك سائغا للبريطانيين او المصريين كما انه لم يكن مقبولا لدى الوطنيين الداعين لاستقلال حقيقى للسودان متحرر من العصبية والطائفية الدينية .(١)

واذا كان للمجلس الاستشارى لشمال السودان انصاره ومؤيدوه فانه ايضا كان له معارضوه الذين تمثلوا في مؤتمر الخريجين ونفر من المثقفين السودانيين وحكومة مصر ، والاحزاب المصرية والصحافة والرأى العام في مصر ..

---

(١) محمد عمر بشير : المرجع السابق ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

اما مؤتمر الخريجين الذى كان يتزعم لواء الحركــــة الوطنيــــة آنذاك كما سبق القول فقــد اعلن صراحــة رفضه لقيام المجلس الاستشــــارى، وبعث رئيس المؤتمر بمذكــــرة الى الحاكم العام للسودان عن طريــــق السكرتير الادارى وذلك بتاريــخ ٦ اكتوبــر عام ١٩٤٢ • وقد ركـــزت المذكرة على خطورة الفصــل بين شمال السودان وجنوبه ، وأوردت الحجــج القوية على صحة هذه المقولة وطالبــت بالمساواة بين الشمال والجنــــوب. ففى مستهل المذكرة اشار رئيس المؤتمر الى ان قانون المجلس الاستشــــارى قد تضمن قاعدة اثارت مخاوفهم وارتيابهم الا وهى حرمـــان الجنوب مـــن المجلس وانهم قد اعتادوا ان يتقبلوا تطبيــق اللوائح والنظم المختلفة مـــن جانب الادارة فى الحكومة المحلية لان كل منطقــــة لها مشاكلها الخاصـــة التى يستطيع ابناؤها حلها الا انهم لا يستطيعون فهم معنى تطبيق هـــذه القاعدة بالنسبة للحكومة المركزية، فمن المعروف ان مجال الحكومة المركزيــة يغطى على وجه الخصوص كل التشريعات التى تعنى بتطور جميع انحـــاء القطـــر بشكل عام سواء فى مجالات التعليم والصحة والزراعة والتجـــارة والصناعة كما هو الحال فى مجال الدفاع .(٢)

---

(١) F.O. 141 - 1024; Extract from a Memorandum received from president, Graduates Congress, Omdurman to H.E. the Governor General...

(٢) F.O. 141 - 1024; Op.Cit.

واضافت المذكرة ان الحكومة المركزية التى يشارك فيها السودانيون تشمل ادارة جميع انحاء السودان ولذلك فان المجلس الاستشارى المزمع تشكيله باعتباره اعلى مؤسسة تشريعية ينبغى أن يضم كل السودان وليس من الضرورى لوحده بلد ما ان تكون كل اجزائه على مستوى واحد من التقدم .(١)

ومضت مذكرة مؤتمر الخريجين تشرح خطورة مثل هذه التجزئة بين الشمال والجنوب قائلة : ان قاعدة التجزئة يمكن قبولها لو كانت هنالك عداءات او شقاق يمكن ان يؤدي الى اضطراب الامن العام .

ولكن حمدا لله اننا لم نشهد او نسمع عن قتال فى الشوارع أو داخل المدن الكبرى بين ابناء الشمال والجنوب كما يحدث في المدن الهندية بين الفئات المختلفة للسكان ".(٢)

وراحت المذكرة تشرح عوامل التوحد بين شمال السودان وجنوبه عبر التاريخ فأشارت الى ان ابناء الشمال والجنوب السودانى قد شاركوا منذ فترة حكم الفونج فى الجيش والادارة ،

---

(١) F.O. 141 - 1024; Op.Cit.

(٢) Ibid.

كما ان القوات السودانية فى ظل الادارة المصرية كان معظمها من الجنوبيين كذلك فانه ابان الثورة المهدية حاز المحاربون الجنوبيون على شهرة واسعة امثال حمدان ابوعنجة .(١)

ومضت المذكرة تلقى باللائمة على السياسة الحكومية المتبعة حيال الجنوب والتى ساعدت وتساعد على فصله عن الشمال فتقول :ان هذه السياسة قد وضحت الان وتأكدت من خلال التشريع الجديد الذى يقضى بقيام المجلس الاستشارى لشمال السودان . وقد سبق هذا التشريع تمهيد لخلق نوع من العزلة بين شطرى السودان ، فقد وضعت العراقيل فى طريق اولئك الذين يدخلون الى الجنوب ، كما وضعت اللوائح التى تمنع الجنوبيين من الهجرة الى الشمال .. كذلك فقد منع التشجيع الرسمى والاحتكار لبعض الهيئات التبشيرية ووضعت العقبات امام انتشار الاسلام ، كما بذلت جهود جبارة لخلق لغة مشتركة للجنوبيين جرى كتابتها بأحرف لاتينية خوفا من انتشار اللغة العربية لو فتح الباب بين الشمال والجنوب .(٢)

وتوقفت المذكرة عند مسألة الارساليات التبشيرية قائلة : لو ان هذه الارساليات التبشيرية قامت بتنوير الجنوبيين ورفع مستواهم

---

(١) F.O. 141 - 1024; Op.Cit.

(٢) Ibid.

الى مستوى الشماليين فاننا لن نعترض على وجودهـا ولسوف نعد هـؤلاء المبشرين خداما للانسانيـة والحضارة ، ولكن لسوء الحظ لـم يفعلوا شيئا من هذا النوع ، فعلى العكس راحت الارساليـات التبشيريـة المختلفة تعمل على خلق اختلافات دينيـة مشابهة لتلك التى سادت اوربـا فى العصور الوسطى ، وبذر العداوة الدينيـة فى افريقيا الاستوائية وفـى السودان الجنوبى على وجه الخصوص . (١)

كذلك فقد تناولت المذكرة جانبـا اخر وهو الجانـب الاقتصـادى واعتبرته مدعاة لوحدة السودان شماله وجنوبـه ، ذلك ان نظـرة واحـدة الى الخريطـة تجعلنـا نلاحظ بوضوح ان وادى النيـل وحدة اقتصاديـة واحدة وليست هناك حواجز طبيعيـة ، وان التغييرات فى المنـاخ وسقـوط الامطار فى السودان تجعل انتاج المحاصيـل المتنوعة تساهم فى قـوة الاقتصاد السودانى ككل . (٢)

واختتم رئيـس مؤتمر الخريجيـن مذكرته التى رفض فيهـا فكـرة وقيـام المجلس الاستشارى لشمال السودان مطالبـا بازالـة كافـة الحواجـز القائمـة بين السودان شمالـه وجنوبه وتبنى سياسة انشائيـة

---

(١) F.O. 141 - 1024; Op.Cit.

(٢) Ibid..

انظر ايضا : محمد احمد محجوب : الديمقراطيـة فى الميـزان ص

التعليمية وازالة عوامل التباين الثقافى بين شطرى الدولة .(١)

وهكذا عرض مؤتمر الخريجين رأيه بصراحة وشجاعة وباسلوب علمى وهو يرفض هذا الوليد الجديد المتمثل فى المجلس الاستشارى والذى سوف يساعد على زيادة الشقة والاختلاف بين شطرى الوطن الواحد ويطالب بدلا من ذلك بتقوية اواصر الوحدة وتبنى سياسة جديدة تضيف لبنات قوية فى صرح الوحدة السودانية .

ولم يقف مؤتمر الخريجين عند حد تقديم مذكرته بل اصدر قرارا شد انتباه الرأى العام السودانى يقضى بالحرمان من عضويته لاولئك الاعضاء الذين قبلوا التعيين فى المجلس الاستشارى لشمال السودان .(٢)

---

(١) F.O. 141 - 1024, Op.Cit.

(٢) F.O. 371 - 4572 Memorandum of the Congress Sub-Committee to the Prime Minister on 17-4-45.

انظر ايضا : ام درمان . العدد رقم ١٨ بتاريخ يناير ١٩٤٦ ص ١٠٤٧ .

ومن الجدير بالذكر ان بعض اعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر من المعتدلين امثال ابراهيم احمد وعوض ساتي ومحمد علي شوقي قد عارضوا قرار المقاطعة • ولكن حين جرت انتخابات مؤتمر الخريجين في نهاية عام ١٩٤٣ فازت هذه العناصر المعتدلة واصبحت لها اغلبية داخل اللجنة الستينية للمؤتمر الامر الذى جعل هذه العناصر تحاول رفع قرار مقاطعة المؤتمر للمجلس الاستشارى •

ففى احد الاجتماعات للهيئة الستينيه قدم نصر الحاج علي اقتراحا بان يتعاون مؤتمر الخريجين مع المجلس الاستشارى فأيده بعض المعتدلين في ذلك ، واشاروا الى ان المجلس الاستشارى ليس شيئا قائما بذاته انما هو جزء من المشروع الكبير لمشاركة السودانيين في ادارة البلاد وتدريبهم نحو الحكم الذاتي وان مقاطعة المؤتمر للمجلس غير منطقية، لكن هذا القرار لقى هزيمة في الهيئة الستينية • (١)

ويبدو ان قرار مقاطعة المؤتمر هذه كانت تمثل أرقا شديدا للسير نيوبولد السكرتير الادارى حين ارسل الى صديقه " كيم

---

(١) F.O. 371 - 41348 - Congress Reaction to the Advisory council.

انظر ايضا : احمد ابراهيم دياب : المرجع السابق ص ١٥٤ ــ ١٥٥•

سانـدسون" رسالة يبث فيها شكواه وغضبه من مقاطعة السيد على واكثر اعضاء المؤتمر . وبلغ به الغضب مداه حين وصف نتيجة الاقتراع بانها " انتصار للصبيان " على اساس ان اكثر الذين وافقوا على المقاطعة كانوا من الشباب .(١)

ولقد طرح الحمامصى سوءالا على السكرتير الادارى لحكومة السودان فى ذلك الوقت حول مدى روءيته فى احقية المؤتمر فى التعبير عن راى الشعب السودانى . فأجاب قائلا ان هذا المؤتمر يمثل الخريجين ، اى جانبا صغيرا من اهل السودان وهو لذلك لا يمثل جميع اصحاب المصالح الحقيقية فى البلاد .

واضاف السكرتير : " ان موقفنا من هذا المؤتمر اننا كنا نقول لهم على الدوام تكلموا عن انفسكم فقط ولا تتكلموا عن الشعب السودانى اجمع .(٢)

وهكذا نظرت الحكومة السودانية الى المؤتمر وكأنه قطاع منفصل وقائم بذاته وبعيد عن المجتمع السودانى ، بينما كان

---

(١) Henderson, K.D.D. Op.Cit. pp.360, 302.

(٢) جلال الدين الحمامصى : ماذا فى السودان ؟ ص ٤٨.

المؤتمر فى ذلك الوقت يقود تيار الحركة الوطنيـــة حيث استطـــاع ان يجمـع حوله اغلبيـة مثقفى السودان وخريجيـه ، الامـر الـذى شكل خطورة بالغة امام حكومـة السودان ، ومن هـذا المنطلـق الاخير كان مؤتمر الخريجيـن يعطى لنفسه الحـق فـى التعبيـر عن الوطنيين السودانيين بل وكافـة المجتمع السودانى ، وهذا الحـق اراد ان يسلبه منه رجال الادارة البريطانيون من خـلال هذه التصريحات بل ومن خلال قيام المجلس الاستشـاري نفسه للتحدث باسم السودانييـن متى سمح لهم بهذا الحديث ، وعلى هذا النحو كان مؤتمر الخريجيـن صاحب اعلى صوت معارض لقيام المجلس الاستشارى فى السودان .

موقف السيد على الميرغنى :

ارسل الحاكم العام للسيد على الميرغنـى زعيـم الطائفـة الختميـة نسخا من امر المجلس الاستشـارى وقانـون المجلـس الاستشارى فى سبتمبـر عام ١٩٤٣ مع مذكرة شخصية توضح مكانتـه كعضو ، وقد رد السيد على الميرغنى شاكرا وموضحا ان انشـاء المجلـس الاستشارى ماهو الا خطوة للامـام يجب ان نشكر الادارة البريطانيـة عليها وانه سـوف تحصد نتائج طيبة لكل من الادارة البريطانيـة والشعب .(١)

---

(١) F.O. 371 - 35560 - Sept. 1943 Item 233.

انظر ايضا د. احمد ابراهيم دياب : المرجع السابق ص ١٥٢.

وبالرغم من هذا الرد الاولى الا اننا تقـــرأ ان السيـد علـــى الميرغنى وجماعته قد انتهوا الى عدم الترحيب بقيام المجلس الاستشارى ومــن بعده الجمعية التشريعية • (١)

وقد اختلفت الاراء حول تفسير عدم ترحيب السيد علــى الميرغنــى بفكرة قيام المجلس الاستشارى • ولعل اغرب تلك التفسيــــرات ماذكــره السيد دوجلاس نيوبولد فى خطابــه الذى ارسله فى الثالث من ابريـــــل عام ١٩٤٤ الى صديقـــه ب • ح سندسن الذى كان يعمـل انـــــذاك ضابطا بقوة دفاع السودان بشمال افريقية وجـــاء فيه " سيجتمـــــع المجلس الاستشارى فى الخامس عشر من مايـــو وقد قرر ثلثا اعضـــــاء موتمر الخريجين مقاطعة المجلس وكذلك فعل السيد على موخــــــرا وقد سبب الموتمر مقاطعته بان قيام المجلس يحول دون تحقيق تطلعـــات البلاد ، اما السيد على فقد كان يرى ان الامر على عكس راى الموتمـــر تماما " • ولم يشأ السير دوجلاس ان يقول صراحـــة ان السيد علـــى كان يرى ان قيام المجلس خطوة متقدمـــة ومتسرعة لم يكن قد حـــان اوانها بعد ، نسبـــة لتخلف البلاد ، فقد اكتفـــى بالتلميـــح دون التصريح • (٢)

---

(١) Henderson; Op.Cit. p.360.

(٢) احمد سليمان : ومشيناها خطى • صفحات من ذكريات شيوعـــى اهتدى ــ الخرطوم ــ ١٩٨٣ ص ١٩٩•
انظر ايضا : Henderson, Op.Cit. pp.360, 302.

وقد علق احمد سليمان على ذلك قائلا : " ان فى ذلــك ظلمــا بينا وتجنيا فاضحا على السيد على الذى ظل منذ ان رفــض الحاكــم العام مذكرة الخريجين فى عام ١٩٤٢ - يتعاطــف مع المعسكــر المناوىء للحكومة ويتجاوب مع الاشقاء ودعاة الاتحاد مع مصر ٠

وهناك من يعزى سبب معارضة السيد على لموءسستى الحكــم الاستعمارى ، المجلس الاستشـارى ومن بعده الجمعيــة التشريعيــة الى تواطئــه مع الحكومة المصرية التى كانت قد رفضــت بوصفها احــدى دولتى الحكم الثنائى فكرة المجلس الاستشارى وعارضت قيامه ولكــن علــى اساس غير الذى بنى عليه موقف موءتمر الخريجيــن وقاعدتــه مــن الختميــة ٠

واضاف احمد سليمان : وبالطبــع فان موقف السيد علــى المعــارض لموءســسـات الحكم المقترحة من جانــب الادارة البريطانيــة قد ائتلــف مع موقــف مصر حكومة واحزابا ، لكــن ذلك لا يعنى ان الختميــة كانــوا تبعا لمصر ٠(١)

---

(١) احمد سليمان : المرجع السابق ص ٢٠٠٠

وقد شرح خضر حمد فى مذكراته موقف الاتحاديين من المجلس الاستشارى الذى يتمثل فى رفض مثل هذه المؤسسات من جانب حكومة السودان لان الرأى الذى اجمعوا عليه - على حد قوله - " الا يدخلوا فى اى مؤسسة والانجليز فى البلاد او على الاقل قبل ان يحدد موعد خروجهم ويسجل هذا الموعد دوليا . ورفع الاتحاديون شعار " رفض المؤسسات الاستعمارية ولو جاءت مبرأة من كل عيب ". (١)

اما موقف مصر الرسمى والشعبى فيمكن وصفه بالرفض التام للمجلس الاستشارى لشمال السودان . فقد رات الحكومة المصرية فى هذا المجلس خطوة جديدة فى مجرى التيار الزاخر بمحاولات فصل السودان عن مصر والتى بدأتها الادارة البريطانية منذ عام ١٩٢٤. (٢)

وقد تعرض البرلمان المصرى لقيام المجلس الاستشارى من جانب حكومة السودان وقدم عبدالعزيز الصوفانى استجوابا حول راى الحكومة المصرية فى هذا المجلس . (٣)

---

(١) خضر حمد : مذكرات خضر حمد : الحركة الوطنية السودانية. الاستقلال ومابعده ، ص ٩٤ .

(٢) محمد عمر بشير : المرجع السابق ص ٢١٩.

(٣) النيل : العدد رقم ٢٥٦٦ بتاريخ فبراير ١٩٤٤ ص ١.

وقد اعتبر البرلمان المصري قيـــام هذا المجلس نوعـــا من الانفصال بين جنوب السودان وشمالـــه لاسيمـــا تلك الخطوة الخطيـــرة التـــي تزمع الادارة البريطانيـــة اتخاذها وهي عـــدم السماح للشماليـــين بالسفر الى الجنوب الا " بتصريح خـــاص " كمـــا ان الرسائل التـــي ترسل باللغـــة العربيـــة من الشمال الى الجنـــوب ترد ولا تسلـــم للمرسل اليه .(١)

وقد سأل الحمامصـــي السكرتير الاداري لحكومـــة السودان عمـــا تحدثـــت عنه الصحـــف كثيرا حول سلخ الجنوب عن الشمـــال وضمـــه الى منطقة اوغندا . فأجـــاب بعد تفكير " قـــد تكون مسألة فصـــل الجنوب عن السودان قد اثيـــرت في مقالات او تعليقـــات نشرتهـــا الصحف ولكن استطيـــع ان اؤكد لك انهـــا لم تثر رسميـــا للان" وعلق الحمامصي على ذلك بانه قد لاحظ ان محدثـــه قد حـــرص حرصـــا كبيرا على ان يحدد في اجابتـــه ان هذه المسألـــة لم تثر رسميـــا للان .(٢)

---

(١) جلال الدين الحمامصي : المصدر السابق ص ٤٩ ــ ٥٠.

(٢) نفس المصدر : ص ٤٩ ــ ٥٠.

كذلك فقد حرصت الاحزاب السياسية المصرية على أن تفصح عن رأيها الرافض للمجلس والتى ارتأت فيه ارهاصا لفصل جنوب السودان عن شماله وتمهيدا لفصل شماله عن مصر، الا ان حكومة السودان تجاهلت اعتراض مصر واحتجاجاتها المتكررة وظل المجلس الاستشارى يمارس اعماله الى حين قيام الجمعية التشريعية فى اواخر عام ١٩٤٨.(١)

---

(١) احمد سليمان : المرجع السابق ص ٢٠٠.

## اهم القضايا التى ناقشها المجلس الاستشارى

تعرض المجلس الاستشارى لعديد من القضايا الاجتماعية والاقتصاديــة والسياسية ، كما قدمت بعض الدراسات فى موضوعات بعينها من جانب بعــض اعضائه ومن هذه القضايا :

### أ ـ قضية الخفاض :

تضمن جدول اعمال المجلس فى دورة الانعقاد الثالثة موضوع ختــان المرأة ٠ وهذا الموضوع كان شديد الحساسية لارتباط هذه العادة بالديــن الاسلامى وعادات الشعوب فى هذه المنطقة ، لذلك فقد كان طرق هــذا الموضوع يتم مع مراعاة الراى العام ٠٠ فقد استهجن المجلس طريقة العملية الفرعونية القاسية واوصى باغلبية على وضع تشريع يحرمها وتشجيع الشعــب على استعمال الطريقة الاخرى المعروفة بالسنة ٠ (١)

وقد كلف نخبة من العلماء فى كافة المجالات الطبية والدينية بوضع مذكرة حول هذا الموضوع ، وممن شاركوا فى وضعها الدكتور أ٠د٠ بريــدى مدير المصلحة الطبية السودانية ومفتى السودان ونائب قاضى القضاة ٠ (٢)

---

(١) حكومة السودان : تقرير الحاكم العام لسنة ١٩٤٥ ص ٦٠

(٢) المجلس الاستشارى لشمال السودان ـ الدورة الثالثة اجــراءات الدورة الثالثة ٢٣ ـ ٢٨ مايو ١٩٤٥٠ مذكرة عن الخفاض فــى السودان الانجليزى المصرى ص ٣٤٠

وفى مقدمة هذه المذكرة اشار السير هيوبرت هدلستون الحاكم العـــام للسودان بقوله " اننى اطالب بان تعدو مقاما مرموقـــا للنساء والبنـــات السودانيات فى العائلة اعدادا يستند على اساس المعاملة الحسنة ويفسح مجـــالا للنهوض بالشئون المنزلية، ولن يتحقق اى من هذين الغرضين طالما بقيـــت عادة الخفاض الفرعونى ". (١)

أما راى المفتى ونائب قاضى القضاه فقد استند على النصوص الشرعيـــة التى ترى ان الختان سنة من سنن الانبياء وان اول من اختتن سيدنـــا ابراهيم عليه السلام، وان الامام النووى فى شرحه على صحيح مسلم ذكـــر ان النبى (ص) قال الفطـــرة خمس ، وفســـر الخمس فى الختان والاستـحداد وتقليم الاظافر وتنظيف الابط وقص الشارب وان اختلف العلماء حول المراد مـــن الفطرة .

واشارت مقدمة المفتى ونائب قاضى القضاة الى انه يفهم من هـــــذه النصوص المأخوذة من الكتاب والسنة واقوال الائمة ان انخفاض الموصوف فــــى مذكرة الاطباء تخالف الخفاض الذى وضعه علماء المسلمين وعلى المسلمين اتبـاع احكام دينهم الحنيف .

كذلك فقد استند هذان العالمـــان فى حكمهـــا الى مايجـــرى فى مصر من ان الطبقـــة الراقية فيها قد تركت الخفاض وكذلـــك الحـــال

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤.

انظر ايضا : F.O. 371-45972 Sudan Political Intelligances Summary No.49 (New Series) May, 1945.

فى بلاد الحجاز وعلينا ان نتأسى بهذين البلدين .(١)

اما السيد على الميرغنى زعيم الختمية فقد اشار الى ان هنالك عادات مستحسنة وعادات مستهجنة فى نظر العلم والعقل ، والخفاض من العادات غير المستحسنة .

وراح السيد عبدالرحمن المهدى يتحدث فى مقدمته عن انه كان قد اصدر بيانا فى جريدة النيل بتاريخ ٢٢ يوليه عام ١٩٤٤ بشأن العناية بالمرأة السودانية وتثقيفها وتهذيبها ومحاربة عادة الخفاض الفرعونى واستبداله بالسنة السمحاء .(٢)

وقد اعطيت الكلمات لاعضاء المجلس للحديث فى هذا الموضوع امثال الشيخ خليل عكاشة ، والشيخ فضل ابراهيم ، واحمد عثمان القاضى ومكى عباس والشيخ محمد احمد ابو سن والدكتور على بدرى . وقد اجمعوا على ان عملية الختان الفرعونى عادة سيئة وانه لم ترد بشأنها نصوص فى الكتاب ولكن وردت بشأنها نصوص غير موكدة فى السنة .(٣)

وفى الختام طلب رئيس المجلس التصديق على الاقتراحات التى تقدم بها الدكتور على بدرى فى هذا الشأن وكانت النتيجة كالتالى :

---

(١) المجلس الاستشارى لشمال السودان ـ الدورة الثالثة : المصدر السابق ص ٣٥.
(٢) نفس المصدر ص ٣٥.
(٣) نفس المصدر ص ٤٨.

اولا : ان المجلس الاستشارى لشمال السودان يعتبر ان الخفاض بالطريقة الفرعونية المتبعة الان عادة بشعة ووحشية .

ثانيا : ان المجلس مقتنع بان الخفاض بالطريقة الفرعونية لا يستند الى الدين الاسلامى ولكن من مخلفات ايام الجاهلية الوثنية .

ثالثا : ان المجلس يهيب بالسودانيين ان يتركوا عادة الخفاض بالطريقة الفرعونية التى هى عادة متأخرة ومضرة بتقدم البلاد .

رابعا : ان المجلس يطلب من الحكومة ان تقوم بأنجح سبل الدعاية عن طريق المصلحة الطبية ومصلحة المعارف لكى يقنع الناس بمضار هذه العادة .

خامسا : يطلب المجلس من الحكومة تحضير تشريع يجعل الخفاض بالطريقة الفرعونية غير قانونى وأن يعرض مشروع هذا التشريع على المجلس للنظر فيه فى اقرب فرصة .(١)

وفى الدورة الرابعة للمجلس الاستشارى المنعقدة مابين ٣ - ٨ نوفمبر ١٩٤٥ جرى تعديل لقانون العقوبات وقانون التحقيق الجنائى ولاسيما فيما يتعلق بموضوع الخفاض غير المشروع ويقصد به الخفاض الفرعونى .(٢)

---

(١) المجلس الاستشارى لشمال السودان - الدورة الثالثة - المصدر السابق ص ٤٨ .

(٢) المجلس الاستشارى لشمال السودان - اجراءات الدورة الرابعة المنعقدة فيما بين ٣ - ٨ نوفمبر ١٩٤٥ ص ٢٠.

ويبدو ان طرح هذا الموضوع للنقاش داخل المجلس الاستشارى ومـــا تبعه من قرارات لم يرق للكثيرين فاندلعت مظاهرات فى ام درمان فـــى مايو ١٩٤٥ قامت بها النساء وتلميذات المدارس ٠ كذلك فقد تفجر الموقـــف فى مدينة رفاعة فى سبتمبر عام ١٩٤٦ فى شكل مظاهرات اخذت طابعـــا سياسيا قادها الحزب الجمهورى ٠ فقد استغل الجمهوريون حادث القبض علـى احدى النساء المخالفات لهذا القرار الذى يقضى بمنع ممارسة الخفاض الفرعونـى وحركوا مشاعر الناس فى مدينة رفاعة لاطلاق سراح المرأة ، الامر الـــذى ادى فى النهاية الى رضوخ السلطات المحلية لاطلاق سراحها واعتقال بعـــض الجمهوريين وعلى راسهم رئيس الحزب محمود محمد طه الذى حكم عليـــه بالسجن لمدة عامين ، وعلى بعض زملائه بمدد تتراوح بين شهر وسنة٠ (١)

ويرى البعض فى سن حكومة السودان لهذا المشروع ـ الذى يقضـى بوقف هذا النوع من الختان الفرعونى فى ذلك الوقت حيث تجرى فى القاهـرة خلال سنة ١٩٤٦ مفاوضات لتعديل معاهدة ١٩٣٦ ـ نوعا من اثـــارة الرأى العام ضد هذا التشريع الذى يؤدى الى احداث اضطرابات سياسيـــة تؤثر على سير المفاوضات وتؤدى الى استمرار الوضع السياسى القائـــم آنذاك ٠ (٢)

---

(١) Report on the Administration of the Sudan in 1945 (Reports: 1/10/55).

(٢) خطاب اسماعيل الازهرى ـ رئيس حزب الاشقاء ومؤتمر الخريجيـــن العام بمناسبة الجلوس الملكى فى ١٢ مايو ١٩٥٢ ص ٢٠
انظر ايضا : محمد على الطيب : تطور الحركة الوطنية فى الســودان من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٦ ص ١٠٥٠

وتعترف وثائق الخارجيـــة البريطانية بالفكرة الاخيـــرة حيـــث رأت ان عرض هذا الموضوع على المجلس الاستشارى قد اثـــار انتقــــادا للحكومة التى طرحت مثل هذا الموضوع غير الهام ، بينمـــا الاحـــــداث الراهنة مثل الاوضاع القومية والاحداث السياسية الهامة قد استبعدت تماما. (١)

والواقع ان عرض مثل هذا الموضوع الاجتماعى الحساس داخل المجلس لم يكن بذات الاهمية ، ذلك انه لم تحل او تناقش القضايا الاخرى اقتصاديـــة او السياسية او غيرها لتبقـى مثل هذه الجزئيـــة الصغيرة ويقدم عنهـــــا تقرير للمجلس • فهى عادة متأصلة داخل مجتمع المنطقة لا اعتقد انهـــــا تستحق مثل هذه الاهمية بالنسبة للسودانيين ولكن قد تكون هامة لرجـــال الادارة البريطانية لاثارتها وشغل السودانيين كلهم من مثقفين وغير مثقفيـــن بها وتحويل انظارهم عن القضية الرئيسية المتعلقة بمصير الوطن •

ب ــ المشروبات الروحية :

وفى دورة الانعقاد الثالثـــة للمجلس الاستشارى لشمال الســودان جرى مناقشـــة بعض الموضوعات ومن بينها موضوع الخمـــور والامـــن العام فقـــد تحدث عضو المجلس الشيخ خليـــل عكاشة وقـــال انه يدلـــى برأيـــه الخاص وكمسلـــم ، ويود ان تمنع الحكومة كل الخمـــور ولكنــه

---

F.O. 371 - 45972 Sudan Political Intelleg- (١) ence Summary. No.49 (New Series), May 1945.

يقرر ان هذا المنع لا يكون عمليـا فى كردفان التى ينـــوب عنها حيث يتفشى شرب الخمر ايا كان نوعها بشكـل واسع ، اما بالنسبة لاثرها الســــــيئ فى حالة الامن فانه يرى من المستحسن أن يبحث عن علاج يجعل شـــــرب الخمر قليل التأثير على ازدياد الجرائم ، ولهذا السبب فهو يرى ان تستمـــــر الحكومة فى سياستها الحاضرة الخاصة بالتصريح • واضاف العضو انه يعتبـــــر الرقابة على الخمور المستوردة غير كافية ، كما اقترح نشر كتيب سهل القـــراءة باللغة العربية الدارجة يوضح الاخطار التى يسببها شرب الخمر ويوزع علـــــى المدارس والاهالى •(١)

كذلك فقد تحدث عضو المجلس الدكتور علي بدرى وتساءل قائـــــلا : هل من سلطة هذا المجلس أن يطلب من الحكومة ان تتصل بالحكومـــات المسئولة عن ميثاق " سان جيرمان " الموقع بعد الحرب العظمى لالغـــاء ذلك البند الذى ينص على " منع واستيراد الخمورالروحيـــة وتوزيعهـــــا وامتلاكها فى المناطق التى لم يشـــع فيها استعمالها وذلك لحماية السكـــان المحليين من مساوئها " واضاف ان الخمور ترد الى السودان بطريقـــــة قانونية وخلص الى انه لا يجب ان يكون هنالك تقييد فى استهلاك الخمـــــور باختلاف انواعها على السودانيين •(٢)

---

(١) المجلس الاستشارى لشمال السودان ــ الدورة الثالثة ــ أجـــراءات الدورة الثالثة من ٢٢ ــ ٢٨ مايو ١٩٤٥ ص ١٧•

(٢) نفس المصدر ص ٢٢ ــ ٢٣•

وتحدث مكى عباس وقال ان تجارب العالم ترينا ان المنع التـــام ليس عمليا او سهل التطبيق ، وطلب من المجلس ان يركز جهوده فـــى البحث على وسيلة تمنع السكر ولا تمنع الشرب ٠

وقال عبدالله خليل انه يعتقد ان منع الخمور منعا باتا غير عملـى وانه يرى ان يكون التصريح عاما بالخمور الخفيفة ٠ اما الخمور الروحيـــة فيصرح بها لطبقة خاصة من الناس ٠

وتحدث مصطفى ابوالعلا وقال انه لواردات الحكومة خيرا للبـــلاد فعليها ان تمنع الخمر بصفة نهائية وانه يخالف الاعضاء الذين يزعمـــون ان فى المنع ضررا اقتصاديا خصوصا اذا نظم المنـع ولم يترك على ماهـــو عليه الان ، وان الاوربيين الذين يتعاطون الخمر فلطبيعة بلادهـــم وتعودهم عليها منذ الصغر ، فى حين اننا فى السودان هنا حيث الطقـــس حار لحكمة يعلمها الله فاننا بحاجة الى شئ بارد كالثلج ٠ واقتـــرح ان تحدد الكمية التى يحتاجها الاجانب فى السودان وتوزيعها عليهـــم دون سواهم حتى لو تسرب شئ فسيكون قليلا٠

ثم علـــق على ملاحظـــة مكى عباس فيما يختص بتعاطـــى المتعلميـن الخمر قائـلا : ان اغلب سكـــان هذه البلاد مازالوا غير متعلميـــن وفى اطلاق الخمر لهم ضرر كبير ٠ وضرب مثلا لذلك بالجزيرة عندمـــا جلب محصول القطن ارباحا طائلة فى سنة ١٩٢٦ واعطت الشركة المزارعيـن مبالغ طائلة انفقـوا جلها فى الخمر ٠ وكذلك الحـــال عندما صرفـــت

تعويضات خزان اسوان وقبل ان تمضى ستة اشهر كان الناس قد انفقوا ماصرف لهم فى الخمر • وانتهى الى ضرورة ان تمنع الحكومة الخمر منعا باتا • (١)

وخلص المجلس الاستشارى بعد كل هذه المناقشات الى مايلى :

اولا : تأييد المجلس لسياسة منع السكان المحليين من استعمال الخمور الروحية المستوردة •

ثانيا : تأييد المجلس لسياسة التدقيق وفحص ومراعاة كل الظروف المحلية قبل منح الرخص لبيع الخمور الروحية المستوردة للاجانب حتى يكون عددها قليلا بقدر الامكان •

ثالثا : رفض المجلس بيع البيرة والخمور الخفيفة للسودانيين •

رابعا : تأييد المجلس لمنع تقطير الخمور الروحية محليا كالعرقى والمعاقبة عليه •

خامسا : رفض المجلس تأييد سياسة اعطاء حرية معقولة لصنع المشروبات البلدية غير الروحية كالمريسة • (٢)

---

(١) المجلس الاستشارى لشمال السودان • المصدر السابق ص ٢٣•

(٢) نفس المصدر ص ٢٣•

جـ ـ التسـول :

وقد جرى عرض هذا الموضوع على المجلس الاستشارى وتحدث اعضاؤه بافاضة حيث قسم عبدالله خليل المتسولين الى قسمين : قسم قوى يترك أمرهم للبوليس وقسم من العجزة وهم قسمان : سودانيون وغير سودانيين واكثرهم من غرب السودان و " الحلب " . كما تحدث محمد على شوقى وقال ان السودانيين عفيفون ويفضلون الموت جوعا على الاستجداء فضلا عن انهم لا يقفلون ابوابهم فى وجه الفقراء من اقاربهم وجيرانهم ولكن نظرا لفتح باب الهجرة لاهالى غرب السودان ازداد عددهم هنا فأصبحوا يتسولون .

كذلك فقد تحدث الشيخ ابوشامة عبدالمحمود وقال لقد جرنا النقاش من تنظيم الاحسان الى الحديث عن هجرة اهالى الغرب وأرى أن المجلس قد اشتد عليهم كثيرا . والواقع ان لهؤلاء الناس فضلا كبيرا فى تقدم الزراعة فى السودان كما يشاهد فى طوكر والقضارف والقاش وكسلا وغيرها بالاضافة الى الخدمات التي تقوم بها نساؤهم فى المنازل ، وهكذا نرى انهم ايد عاملة مفيدة للبلاد . اما الذين يمارسون التسول فهم فى طريقهم عبر دارفور وكردفان انما يبحثون عن مصاريف الترحيل لدفعها للسكة الحديد .(١)

---

(١) المجلس الاستشارى لشمال السودان . اجراءات الدورة الرابعة من ٣ ـ ٨ نوفمبر ١٩٤٥ ص ٤٢ ـ ٥٠ .

وقد تقدم خمسة اعضاء من المجلس الاستشارى لتنظيم " مسألة الاحسان فى شمال السودان " ، حيث اصبح الاستجداء يسبب ازعاجا للسكان ويزرى بمستواهم فى نظر الغرباء كما يشاهد على ابواب المساجد الجامعة وفى المحال العامة كالاسواق والمقاهى ووسائل المواصلات وغير ذلك .

وبعد دراسة اللجنة لهذا الموضوع اشارت الى ان المسئولية تقع على عاتق مجالس المدن اذ ان من واجبها العمل على تحسين مدنها ورفع مستوى المعيشة منها واظهارها بمظهر بعيد عن الانتقاد .(١)

وقد اقترحت اللجنة ـ حلا لهذه المشكلة ـ تشكيل ما يسمى ( بلجنة المتسولين ) ضمن لجان المدن ويضاف الى عضويتها بعض الشخصيات البارزة وان تدبر الاموال اللازمة لهذا المشروع بالطرق التالية :

أ ـ فرض ضريبة نسبية على الكماليات .

ب ـ تبرعات المحسنين .

ج ـ مساهمة الحكومة المركزية .

وبالاضافة الى ذلك كله اقترحت اللجنة عمل ملاجىء كاملة للسكن والمأكل والملبس تديرها اللجنة المختصة ويشترط فى دخول

---

(١) المجلس الاستشارى لشمال السودان : اجراءات الدورة الرابعة ـ المصدر السابق ص ٤٢ ـ ٥٠.

هذه الملاجئ العجز عن الكسب بسبب العاهة او كبر السن ، كما اقترحت ايضا سن قانون يحرم التسول بالنسبة للقادرين على الكسب بل ومعاقبتهم. (١)

وهكذا وللمرة الثانية يتطرق المجلس الاستشاري الى مشكلة هامشية داخل المجتمع السوداني وكأن حكومة السودان توصلت الى حلول لكافة مشكلات السودانيين ولم يتبق سوى مشكلة التسول لاسيما اذا علمنا ان سكان اى بلد فى العالم متفاوتون فى الثروة كما هو الحال فى كل شئ ، فمنهم الغنى والفقير والقوى والضعيف الذى لا يستطيع العمل ويلجأ الى التسول وهو حل قد يكون افضل من اللجوء الى امور اخرى كالسرقة او غيرها من الامور غير الاخلاقية . ولسنا هنا فى معرض الدفاع عن التسول ولكننا نختلف فى ترتيب هذه المشكلة فى اجندة المجلس الاستشارى حيث تسبقها قضايا كثيرة ومعقدة كان حريا بالمجلس ان يتصدى لها .

د ــ مشروع الجزيرة :

وبالاضافة لما سبق من موضوعات اجتماعية هناك موضوعات اقتصادية عرضت على المجلس الاستشارى مثل مشروع الجزيرة حيث عين المجلس فى دورته الثانية المنعقدة فى ٩ ديسمبر عام ١٩٤٤ لجنة خاصة من اعضائه للقيام بدراسة مشروع الجزيرة بعد عام ١٩٥٠ عندما

---

(١) المصدر السابق ص ٥٠.

تتسلم الحكومة المشروع من شركة الامتياز .

وقد زارت اللجنة الجزيرة خمس مرات فى مواسم مختلفة ، وكانت الزيارة الخامسة والاخيرة فى شهر يوليه عام ١٩٤٦ وذلك للتعرف على الاسباب التى ادت الى اضطراب المزارعين والوصول الى حل لمشكلتهم . وقامت اللجنة بتفقد المشروع ودراسة جوانبه ، بعدها قدمت تقريرها حوله الى السلطات المختصة .(١)

وكانت النتيجة ان توقف المزارعون عن الاضراب واستأنفوا عملهم فى زراعة القطن والذرة . وقام عبدالكريم محمد - رئيس لجنة الجزيرة الفرعية بتقديم تقريره الى المجلس الاستشارى فى الثانى من يناير عام ١٩٤٧.(٢)

وقد جرى مناقشة التقرير داخل المجلس واقترح الشيخ احمد السيد الفيل انتخاب لجنة خاصة من المزارعين تستطيع التعبير عن رغباتهم وارائهم واشار مصطفى ابوالعلا ان المصلحة العامة تقتضى بان اهالى الجزيرة هم الذين يجب ان يمتلكوا ارضها مع تحديد رقم اقصى للملكية تفاديا لوجود ملاك كبار فى المستقبل ، وان تعطى الافضلية للمزارع ثم لمن يسود من

---

(١) المجلس الاستشارى لشمال السودان - اجراءات الدورة السادسة من ١ - ٦ يناير ١٩٤٧ ص ١٠٢.

(٢) انظر ايضا : المجلس الاستشارى لشمال السودان - اجراءات الدورة الثانية من ٥ - ١٠ ابريل عام ١٩٤٤ ص ١٩.

اهالى الجزيرة ان يكون مزارعا ، وفى حالة عدم وجود هؤلاء تقوم الحكومة بالشراء ، فقد يكون هناك احد الصناع ممن يرغبون فى العمل الزراعى فيجب ان تكون عنده الفرصة للشراء . (١)

وقد حذر الشيخ ايوبيه عبدالماجد من انه اذا وافقت الحكومة على ان يشترى اى شخص اراضى فى الجزيرة فسيصبح سكانها عبيدا للتجار . (٢)

وقد اصدر المجلس قراره باستمرار القانون الحالى الخاص بشراء الاراضى داخل المشروع الى حين عمل تحريات اخرى ، كما قرر ايضا ان مشكلة العمال خطيرة ولذا فانه يرجو ان البحث الذى وعد به عن الهجرة واعداد العمال سوف يتم فى وقت قريب . (٣)

هـ ـ الجمعيات التعاونية :

ومن الموضوعات التى قام المجلس الاستشارى بدراستها موضوع مشروع قانون تشجيع ورقابة الجمعيات التعاونية .

فقد ازداد الاهتمام بالجمعيات التعاونية اثناء الحرب العالمية الثانية نظرا لازدياد تكاليف المعيشة واختفاء السلع الاساسية من الاسواق وجشع التجار . وفشل الحكومة فى السيطرة على اسعار

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٢.
(٢) نفس المصدر ص ١٠٢.
(٣) نفس المصدر ص ١٠٢.

السلع وذلك لان المواطنين انفسهم لجأوا الى التعامل الخفي مع التجـــــار، الامر الذى ادى الى اخفاق الجمعيات التعاونية القائمة فى مزاولة نشاطها.

ومع ازدياد وتفاقم الاوضاع الاقتصاديـة راح المسئولون يوجهون اهتمامـا لدراسة الظواهر المسببة لتعثر العمل التعاونـــي وصولا الى حلول ناجعـــة له . وقد استجاب المستر " جريفث "عميد معهد التربية " ببخت الرضــا" فى عام ١٩٤٢ لاتجاه الحكومة وظل يعمل منذ عام ١٩٤٢ وحتى عام ١٩٤٤ فى الاعداد لعقد موتمر تعاونى فى مدينة " اركويت " بشرقى السودان لوضـع الاقتراحات المناسبة حول الحركة التعاونية فى السودان .

وفى ابريل عام ١٩٤٤ عقد اول موتمر للحركة التعاونية وناقش عـدة موضوعات منها علاقة التعاون بالحياة الريفية وعلاقته بين العمال واصحـــــاب روءوس الاموال وعلاقته بين المنزل والمدرسة وبين المدن والريف وعلاقتـــــه بالمجال الدولى .(٢)

وبالاضافـــة الى ذلك كله بادرت الحكومـــة باستقدام خبيـــــر بريطانى فى شئون العمل التعاونى . وقد وصـل الى السودان فى العاشـــر من نوفمبر عام ١٩٤٥ وغادره فى الثامن من مارس عـــام ١٩٤٦. وقـــد امضى هذا الخبيـر فترته فى دراسة المشروعات التعاونيـــة فى انحـــاء السودان حيـــث زار اكثر المدن السودانيـــة وحضر مناقشـــات واجتماعـــات

---

(١) محمد على الطيب : المرجع السابق ص ١٠٦.

عدة حول هذا الموضوع • وقد تركزت مهمته ـ كما جاء بتقريره ـ فى ابـــداء رأيه على ضوء تجاربه التعاونية فى الاقطار الاخرى فيما اذا كان الامل فـــى نجاح الجمعيات التعاونية فى السودان يبرر ان تقوم الحكومة بمحاولة جديـــــة فى تشجيع وتعضيد النظم التعاونية ، وتقديم المساعدة فى تقرير الطريقــــة التى تستطيع معها الحكومة الشروع فى تنفيذ خططها .(١)

وقد دارت مناقشات حول هذا التقرير داخل المجلس الاستشـــارى وتحدث الشيخ الزبير حمد الملك عن تجربة الجمعيات التعاونية الناجحـــة بمنطقة منذ احدى عشر سنة مضت ، مما شجع على قيام جمعيات تعاونيـــة اخرى فى المناطق المجاورة لها، وطالب بابراز ( قانون ) كامل للتعـــاون وتوفير موظفين للنهوض بأعباء هذه الجمعيات .

كما تساءل مكى عباس عما اذا كانت المصاريف التى سوف تتكبدهـــا خزينة البلاد تبررها الفائدة التى ستعود على المزارعين فاذا كانت الفائدة اقـــل فاننى ارى تاجيل تنفيذ المشروع .

وقد تحـــدث الشيخ سرور محمد رملى ـ عضو المجلس واشـــار الى أن المشروعات التعاونية سهلة ومضمونة الايراد ويمكنها ان تعـــود علـــى

---

(١) المجلس الاستشارى لشمال السودان ـ الدورة السادسة مـن ١ ـ ٦ يناير ١٩٤٧• تقرير عن امكانية تطبيق جمعيات التعاون فى السودان وضعه المستر و • ك • هـ كامبل ص ١٠٤ ـ ١٢٦•

الخزينة عن طريق الضرائب بفائدة تزيد على مرتبات الخبير ومساعديه ، كما انها ستلعب دورا هاما فى تقدم البلاد السياسى والاجتماعى والاقتصادى .(١)

وقد طرح رئيس المجلس عدة اقتراحات جرى التصديق عليها وهى ضرورة ان تجد الحكومة فى مساعدة المشاريع التعاونية فى السودان وان تعين مسجلا ومستخدمين لهذا الغرض وان تقوم بعمل تشريع خاص بالنشاط التعاونى .(٢)

وقد اصبح القانون نافذا فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٨ بعد عرضه على المجلس الاستشارى لشمال السودان . وكان هذا القانون يعطى حملة الاسهم ٦٪ فائدة من عائد راس المال وينفق جزء اخر على الخدمات الاجتماعية ، فضلا عن جزء ثالث تقرر الحفاظ عليه دون مساس . وقد عرف القانون الجمعية التعاونية بأنها مجموعة من الافراد من عشرة اعضاء او اكثر هدفهم ترقية المصالح الاقتصادية الخاصة باعضائها على اصول تعاونية . وقد حدد القانون مدة العضو التعاونى بثمانية عشر عاما وان يقوم الحاكم العام بتعيين مسجل الجمعيات التعاونية ونائبه .(٣)

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٠.

(٢) نفس المصدر ص ١٣٠.

(٣) محمد على الطيب : المرجع السابق ص ١١١.

انظر ايضا : Report on the Administration of the Sudan for the year 1948 (Reports:1/11/60-61.

انظر ايضا : مرشد السودان التعاونى ـ حكومة السودان الخرطوم ١٩٥٢.

و ـ قضية ميـــاه النيل :

ومن الموضوعات التى زج بها الى المجلس الاستشارى موضوع مياه النيـل بين مصر والسودان وكان هذا الزج بذكاء شديد من جانب الادارة البريطانيـــة فى السودان بحيث يبدو لمن يطالع خطوات هذا الموضوع دون سبر اغـــواره وكأن الامر طبيعى جدا بل ان بريطانيا فى السودان ترعى حصة مصر من ميـــاه النيل .(١)

فمن المعلوم ان اتفاقية مياه النيل بين مصر وبريطانيا عـــام ١٩٢٩ تقضى بألا يأخذ السودان اى حصة من مياه النهر الا فى حدود قدر معلـــــوم عن طريق قواعد محددة لاستفادة السو دان من هذه المياه ، كما حـــــددت مساحات الاراضى التى تروى منه .(٢)

لكن قد يحدث احيانا ان يستولى بعض الزراع السودانيين على جانـب من نصيب مصر من الماء وهو عادة يكون من النيل الابيض ويـــروون منـــه ارضا لهم وتتغاضى السلطات السودانية المختصة عن هذه المخالفة حتى اذا بلـغ الزرع اشده واستوى على سوقه وجاء وقت حصاده بادرت هذه السلطات بابـــلاغ مفتش عموم الرى المصرى فى السودان بهذه المخالفة وان المفتش الانجليزى يستمد

---

(١) انظر النيل : العدد رقم ٢٦٤١ بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٤٤ ص ١.

(٢) انظر نص الاتفاقية الموقعة بتاريخ مايو سنة ١٩٢٩ بكتاب (جمهوريـــة مصر رئاسة مجلس الوزراء ـ السودان من ١٣ فبراير سنـــة ١٨٤١ الى ١٢ فبراير ١٩٥٣.

لاتلاف الزروع التى تمت بهنا الماء المختلس من حصة مصر حتى تحترم اتفاقيــة النيل !

وهنا يقع مفتشو الرى المصرى فى حرج شديد ، فالماء قد اخــــذ والزرع قد نما ومن الظلم ان يحرم الزراع من الفوز بمحصوله فيتسامحون هــــذا العام على الا تتكرر هذه المخالفة • ولكن بعد ان ذاق الزارع الســودانـــى المخالف طعم الحصاد وملأ جيبه وهو لا يعرف اتفاقية ولا انصبـه ولكنـــه يعرف فقط المكسب الذى افاء الله عليه به وان مصر ومهندسي ريها يحرمونـــه هذا الكسب فتيلاً نفسه الما وسخطا على مصر • وقد تكرر هذه التجربة مــرات ومرات مع زراع اخرين •(٢)

وبالفعل نجح مخطط الزج بهذه القضية الى المجلــس الاستشـــارى وتقدم بعض اعضائه بأسئلة الى السلطات الحاكمــة بخصوص هذه القضيـــة ومن عجب ان هذه السلطات تجيب اجابات خشنة فهى تتظاهر دائما باحتــــرام الاتفاقية وان الماء كاف للسودان وان رخص الرى التى تطلب انما ترفض لاسبــاب فنية •

وقد وضعت هذه الاجابات لكى تحقق هدفين :ـ

اولهما : ايهام مصر ان حكومة السودان شديدة الحرص ـ ظاهرا ـ على اتفاقيــة النيل •

---

(١) محمد صبيح : كنت فى السودان • دار الثقافة العامة• القاهـــرة ١٩٤٦ ص ٨٤•

وثانيهما : ان تثير بهذه الاجابات ـ غير المقنعة ـ حفيظة السودانيين تجـاه موقف مصر من مياه النيل .(١)

وفى مايو ١٩٤٥ جرى طرح هذه القضية داخل المجلس الاستشـارى وذكر العضو ايوبى عبدالمجاهد ان كمية المياه قليلة جدا فى المديرية الشمالية وان ذلك يعزى الى مواقيت فتح خزان جبل الاولياء ، وطلب الى الحكومـة ان تجد علاجا لذلك . واجابه رئيس الجلسة بانه لا يعتقد ان لخزان جبـل الاولياء دخلا فى قلة المياه ولكن ذلك يعود الى انخفاض منسوب النيـل الازرق هذا العام .(١)

كذلك فقد تحدث فى هذه الجلسة العضو مكى عباس وقال انـه سبق ان تقدم بسؤال حول التوسع الزراعى وعلم ان ذلك مرتبط باتفاقيـة مياه النيل التى تنص على اعادة النظر فيها حين يستهلك السودان حصتـه المقررة له من المياه وان السودان على وشك استهلاكها فما هو الموقـف؟ فقد اكد له رئيس المجلس ان السودان لديه وفر من الميـاه يفيض عـن حاجته .(٢)

---

(١) محمد صبيح : المرجع السابق ص ٨٧.
(٢) نفس المرجع ص ٨٧.
(٣) نفس المرجع ص ٨٨.

وفى الدورة التالية للمجلس الاستشارى التى عقدت فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ اثير هذا الموضوع مرة ثانية تنفيذا للخطة الموضوعة حين تحدث العضو مكى عباس قائلا : انه سبق له ان اثار هذا الموضوع فى المجلس وطالب بتعديل اتفاقية مياه النيل .وكان الرد الذى تلقاه فى كل مرة ان السودان لم يستنفذ بعد حصته من المياه . واضاف العضو وبما ان الرأى العام مهتم بهذه المسألة وان هناك شعورا بأننا لم نستنفذ حصتنا حيث ان طلبات الرخص كثيرا ما ترفض فهل يتكرم الرئيس فيفيد المجلس بعدد الطلبات التي تلقتها اللجنة والعدد الذى تم التصديق عليه والعدد الذى تم رفضه نهائيا وعدد الطلبات التى رفضتها السلطات المحلية ( المدير والمفتشون ) دون تقديمها الى لجنة طلبات الرى . ورد الرئيس على ذلك بان لفت نظر العضو الى محضر الجلسة السابقة التي جاء فيها ان السودان لديه كمية فائضة من المياه وان الطلبات لا ترفض بسبب قلة المياه بل لاسباب ذكرت في المحضر ، واضاف بأن اللجنة عليها ان تلاحظ عدم ضياع اموال الافراد فى مشروعات غير مجدية .(١)

من ذلك كله نلاحظ انه قد زج باتفاقية مياه النيل للاساءة الى سمعة مصر والسودان والشئ الخطير والمدهش ان لهذه القضية جانبا من الوجاهة وتجسد الاما حقيقة لدى المزارع السودانى وتعزف على وتر تستهوى انغامه بعض السامعين . وهكذا كان لا ينبغى لهذه القضية ان تثار اصلا داخل المجلس الاستشارى لانها

---

(١) محمد صبيح : المرجع السابق ص ٨٩ ـ ٩٠ .

محكومة باتفاقية لم تخل بها مصر الامر الذى يؤكد ان هذا المجلس كان احيانا لعبة فى ايدى حكومة السودان توجهه كيفما تشاء فلم يكفها ان هذا المجلس اصبح دعوة لانفصال جنوب السودان عن شماله بل راحوا يستخدمونه ايضا لفصل السودان عن مصر من خلال هذه القضية الوهمية وزرع بذور الكراهية بين المصريين والسودانيين •

ويبدو ان مسألة المياه لم تكن القضية الوحيدة التى اثارها نفر من اعضاء المجلس لاقامة العراقيل بين مصر والسودان بل طرحت قضية ثانية داخل هذا المجلس حين راح مكى عباس عضو المجلس بحث رفاقه من الاعضاء ولاسيما الذين كانوا ينتمون الى الجهة المستغلة على تكوين معارضة قوية ضد هجرة الفلاحين المصريين خاصة والمصريين عامة الى السودان • ووصل بهم الشطط مداه حين وصف مكى عباس هجرة الفلاحين بشكل مكثف الى السودان بانهم سوف يكونون طابورا خامسا Fifth Column (١)

والحقيقة ان طرح هذه القضية داخل هذا المجلس وبهذا الشكل فيه اساءة كبيرة ومحاولة لفصم عرى الالتئام الطبيعى بين البلدين ، كما ان طرح هذه القضية ايضا لم يكن يراعى مصلحة الشعب السودانى اولا فى الاستفادة من خبرة الفلاح المصرى للنهوض باحوال الزراعة فى السودان ، فبدلا من تشجيعه على

---

(١) Mekki Abbas; The Sudan Question, p.92.

الهجرة الى السودان يتهم بانه طابور خامس ، الامر الذى يؤكد ان المجلس الاستشارى لم يكن يعنى بمصالح السودانيين وانما هو اشبه بهيئة نقاشية "Talking Shop"

ز ـ التعليم :

كذلك فقد ناقش المجلس فى دورته المنعقدة مابين ٢٠ ـ ٢٤ مايو ١٩٤٧ تقريرا للجنة الفرعية للتعليم التابعة من المجلس لدراسة مشروعات الحكومة عن التعليم فى خلال السنوات العشر المقبلة، وقد رات اللجنة ان النفقات السنوية فى كليات التعليم العالى ومعهد التربية ببخت الرضا مرتفعة نسبيا وهذا يثقل كاهل الخزينة • ولذا يجب الاسراع فى تخفيض نسبة النفقات على الفرد الواحد الى الحد الادنى المعقول •

وعن التعليم فى الجنوب رات اللجنة انه لا يزال فى طور متأخر وهو فى معظمه فى ايدى الجمعيات التبشيرية وتختلف برامجه ومواده وانظمته عن المدارس الحكومية كما يجرى التعليم فيه باللغة الانجليزية الامر الذى يؤدى الى تخريج جيل من سكان الجنوب يختلف جوهريا عنه فى الشمال ويؤدى الى ايجاد شقة مابين اجزاء القطر • واكدت اللجنة انه آن الاوان للاقلاع عن هذه السياسة •

ورأت اللجنة ضرورة تعميم التعليم الاولى فى جميع انحاء القطر

والتعليم الوسط فى جميع المدن مع بثه فى الاوساط الريفية هنا وهناك .(١)

وقد جرى مناقشة التقرير داخل المجلس فتحدث عبدالله خليل وقال ان الشك الوحيد الذى يساوره هو التكاليف المالية وقال الشيخ يحى احمد انه لا يرى مانعا من رفع نسبة من مصاريف التعليم من ٦٪ الى ١٥٪ منه .

وعقب المناقشة قرر المجلس ان اللجنة الفرعية يجب ان تبقى وأن تستمر فى مباحثاتها مع مصلحتى المعارف والمالية لكى تصل الى امكان تنفيذ مقترحاتها وايجاد افضل السبل للتوفيق بين اقتراحاتها ومشروع الحكومة .(٢)

ح - قضية الجنسية :

وقد جرى مناقشة موضوع الجنسية داخل المجلس من خلال مشروع قانون تقدم به السكرتير القضائى لحكومة السودان الى المجلس الاستشارى فى ١٠ ديسمبر عام ١٩٤٤ . وقد حضر الجلسة كل من السيد على الميرغنى زعيم الختمية والسيد عبدالرحمن المهدى زعيم الانصار بناء على دعوة لهما من جانب الحاكم العام . وقد استمر

---

(١) المجلس الاستشارى لشمال السودان - اجراءات الدورة الثالثة مابين ٢٣ - ٢٨ مايو ١٩٤٥ - تقرير اللجنة الفرعية للتعليم المكونة من المجلس الاستشارى لشمال السودان لدراسة مشروعات الحكومة من التعليم لمدى العشر سنوات المقبلة ص ٣٢.

(٢) نفس المصدر ص ٣٢.

النقاش النقاش حول تعريف ( من هو السودانى ) دون التوصل الى قرار حتـــى ١٧ يناير عام ١٩٤٨٠ (١)

وقد فسر القانون لفظة سودانى وقصد بها الاشخاص الاتى نكرهم :ـ

١ ـ اى شخص مولود فى السودان من اصل ينتمى الى قبائل الســــودان والشعوب الوطنية داخله ٠

٢ ـ اى شخص مولود من زواج شرعى سواء فى السو دان او خارجـــه من اب سودانى سواء كان هذا الاب حيا او ميتا ولم يحصل ذلـــك الشخص بطو عه واختياره قانونيا بعد بلوغه على جنسية اية دولـــة اخرى ٠

٣ ـ اى شخص من اصل مصرى مولود فى السودان ومقيم فيه بصفـــة مستديمة بشرط ان يكون ذلك الشخص او اسلافـه قد اقاموا فـــى السودان بصفة مستديمة قبل سنة ١٨٨٢٠

٤ ـ اى شخص مولود فى السودان من زواج شرعى ومقيم فى السودان بصفة مستديمة وليس من اصل مصرى او سودانى بالمعنى المنصوص عليـــه بالفقرات السابقة شريطة الا يكون حائزا على جنسية اىٰ دولة اخرى ٠

٥ ـ اى شخص ليس من اصل مصرى وليس سودانيـــا بالمعنى المنصوص عليـــه فى الفقـــرات السابقـــة يقنع السكرتير الادارى بأنـــه

---

(١) صحيفـة فوراوى الاخبارية ـ السنة الاولى ـ العدد ١١ بتاريـــخ ٢٠ ديسمبر عام ١٩٤٤٠ انظر محمد على الطيب ـ المرجع السابـق ص ١٠٣٠

يريد ان يصير سودانيا وليس حائزا على جنسية اخرى وان يكون مقيما في السودان بصفة مستديمة ٠

٦ — اى طفل مولود في السودان من زواج شرعى ٠

٧ — اية امرأة ليست سودانية تزوجت زواجا شرعيا من سودانى ٠

٨ — اى شخص مولود في السودان ومقيم فيه بصفة مستديمة ولكنه ليس سودانيا بالمعنى المنصوص عليه في الفقرات السابقة٠ (١)

ط — قضية السودنة :

ومن الموضوعات التى طرحها المجلس للمناقشة في عام ١٩٤٧ موضوع سودنة موظفي الحكومة حيث طلب خمسة من اعضاء المجلس الاستشارى تقديم بيان عن استبدال الموظفين غير السودانيين بسودانيين في وظائف الحكومة الكبيرة ، وقد وجه هؤلاء الاعضاء سؤالين : اولهما : هل لدى الحكومة خطة خاصة في كيفية هذا الاستبدال ام انه يجري على سبيل الصدفة من وقت لاخر ٠ وثانيهما: هل وضعت الحكومة اى حدود لدرجات الوظائف التى يشغلها السودانيون ومسئولياتها ٠ (٢)

---

(١) حكومة السودان : امر المجلس الاستشارى لشمال السودان ( تعديل ) سنة ١٩٤٦ ( تشريع نمرة ١٠٠ سنة ١٩٤٦ ) — اجراءات الدورة السابعة ٢٠ — ٢٤ مايو ١٩٤٧ ص ٢٦ — ٢٧٠

(٢) حكومة السودان — المجلس الاستشارى لشمال السودان — الدورة الثالثة ٢٣ — ٢٨ مايو ١٩٤٥ ص ٤٩ ومابعدها٠

وقد القى السكرتير الادارى بيانا عن سياسة الحكومة فى استبدال الموظفين الاجانب بسودانيين اوضح فيه ان الحكومة لم تضع اية حدود على الوظائف التى ينالها السودانيون وانها اتخذت كل التدابير لايقاف تعيين غير السودانيين فى الوظائف التى يكون السودانيون اهلا لها وذلك عملا بنصوص المعاهدة الانجليزية المصرية عام ١٩٣٦.

وقد جرى مناقشة هذا الموضوع فتحدث مكى عباس متسائلا عن الصورة التى فى ذهن الحكومة فيما يختص بسودنة الادارة فى مدى عشرين عاما فهل ستكون الحكومة سودانية فى جميع النواحى ام سيكون هنالك مستشارون كما كان الحال فى مصر بعد تقرير لجنة ملنر ام ان رؤساء المصالح المسئولين سيظلون بريطانيون يساعدهم فى عملهم موظفون بريطانيون كبار ام ماذا؟

كذلك تساءل عبدالكريم محمد بقوله ألم يكن سير الاستبدال كما ورد بالبيان بطيئا لا يشبع مطامح السودانيين وهل يعزى ذلك الى المستوى العالى الذى تهدف اليه الحكومة اى المستوى البريطانى ؟ واجاب الرئيس ان هذا السؤال دقيق جدا ، اما كون المستوى معقول ام لا فهذه مسألة لكل فيها راى خاص وان مسئولية الحكومة قبل كل شئ هى ان تحكم البلاد حكما صالحا ولمصلحة الاغلبية واضاف انه يأمل ان يصل السودانيون الى اعلى درجة من المستوى .(١)

---

(١) المصدر السابق ص ٤٩.

كذلك فقد علق الدكتور على بدرى متسائلا حول ما اذا كان استبـدال العدد الكبير من الموظفيـن غير السودانيين بسودانيين عـام ١٩٣٢ قـد نجمت عنه اى مساوئ في الادارة الحسنة ، فقال الرئيس انه ولو ان ٢٢٠٠ موظفا سودانيا حلوا محل موظفين اجانب في سنة ١٩٣٢ فليس ثمة دليـل على ان مستوى الادارة قد تدهور .(١)

وقد ناقش المجلس الاستشارى لشمال السودان في دورته السابعـة التي عقدت في مايو عام ١٩٤٧ توصيات مؤتمر ادارة السودان ووافق عليـه والمتضمنة توصيات تهدف الى " اشراك السودانيين بشكل اوسع في الحكومـة المركزية في السودان ".

وبالاضافة الى ذلك فقد عرض السكرتير الادارى التقرير الاول لمؤتمـر ادارة السودان على المجلس الاستشارى فوافق الاخير على هذا التقرير فيمـا يختص بتحويل المجلس الاستشارى الى جمعية تشريعية وان تكون الاخيـرة ممثلة للسودان بأجمعه والا يقتصر مداها على شمال السودان .(٢)

---

(١) المصدر السابق ص ٤٩.
انظر ايضا : F.O. 371/45972 Sudan Political Intelligences Summary No.99 (New Series) May 1945.

(٢) رئاسة مجلس الوزراء ــ السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الـى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ ص ١٥٨ ــ ١٥٩.

وقد فندت الحكومة المصرية ـ من خلال مذكرة وعقب دراسة عميقة لتوصيات مؤتمر الادارة ـ العيوب التى شابت توصيات مؤتمر الادارة من حيث انه لا يفسح المجال لتمثيل السودانيين تمثيلا صحيحا • فالجمعية التشريعية على سبيل المثال تتألف من سبعين عضوا ، عشرة منهم معينون والباقى منتخبون ، وحتى هذا الانتخاب كان اقرب الى التعيين • كما أن الجمعية التشريعية لم تخول سلطات واسعة حيث كانت ارآؤها استشارية وبالاضافة الى ذلك فانها قد خلت من عناصر وطنية بارزة كأعضاء مؤتمر الخريجين الذين كانوا يمثلون الصورة المثقفة من السودانيين • وخلصت هذه المذكرة الى ان الحكومة المصرية لا يسعها ان توافق على هذه التوصيات الا بعد ادخال بعض التعديلات •(١)

وبعد اجراء تعديلات من جانب الحكومة المصرية على توصيات مؤتمر ادارة السودان وافقت على الاشتراك مؤقتا فى وضع نظام يمهد للسودانيين طريق الحكم الذاتى مع تمسكها التام بموقفها الذى حددته تحديدا واضحا امام مجلس الامن •(٢)

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٥•

(٢) نفس المصدر ص ١٧٣ ومابعدها•

ى — المجلس الاستشارى ومؤتمر ادارة السودان والجمعية التشريعية :

ومن اهم الموضوعات التى قام بها المجلس الاستشارى لشمال السودان مناقشته واقراره لتقرير مؤتمر ادارة السودان الذى اصدر الحاكم العام فى الثامن والعشرين من ابريل ١٩٤٦ امرا بتشكيله لدراسة الخطوات المؤدية لاشراك السودانيين فى بلادهم اشراكا واسعا.

وفى مايو سنة ١٩٤٧ عرض تقرير مؤتمر الادارة على المجلس الاستشارى لشمال السودان فوافق عليه فى مجموعه واصدر التوصية التالية " ان المجلس الاستشارى بعد ان نظر فى تقرير مؤتمر ادارة السودان يرغب فى ان يسجل موافقته بشكل عام على التوصيات الواردة فى التقرير ويلتمس من الحكومة ان تعد تشريعا وفقا لهذه المقترحات فى اقرب وقت ممكن ".(١)

وفى ٣ يوليه سنة ١٩٤٧ بعث الحاكم العام بكتاب الى كل من الحكومتين الانجليزية والمصرية يفيدهما بموافقة المجلس الاستشارى على توصيات مؤتمر الادارة بشكل عام وانها سوف تناقش فى مجلس الحاكم العام .(٢)

---

(١) ابراهيم محمد حاج موسى : المرجع السابق ص ٢٨.
انظر ايضا : مضابط المجلس الاستشارى — اجراءات الدورة السابعة ص ٩٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٨.

كذلك فقد ناقش المجلس الاستشارى موضوع الجمعية التشريعية المزمع قيامها حين طرح اعضاء المجلس فى ٧ مارس ١٩٤٧ سؤالا مؤداه هل يجوز حرمان نظار ورؤساء الادارة الاهلية من عضوية الجمعية التشريعية ام يكون لهم حق العضوية فيها مثل المجلس الاستشارى ؟ . وقد انقسم اعضاء المجلس الاستشارى فى مناقشاتهم لهذا الموضوع الى فريقين : فريق يرى ان الجمعية التشريعية يجب ان تكون بعيدة عن نفوذ رؤساء العشائر ... وفريق اخر كان يرى اشراك الادارة الاهلية فى عضوية الجمعية التشريعية للاستفادة من خبرتهم السابقة فى اعمال المجلس الاستشارى . ولما جرى التصويت داخل المجلس الاستشارى فاز الفريق الثانى باغلبية ثمانية عشر صوتا ضد ستة اصوات .(١)

ك — موضوعات اخرى :

وفى ١٠ مارس عام ١٩٤٨ عرضت حكومة السودان فى المجلس الاستشارى لشمال السودان تشريعا جديدا سمى باسم ( الاوامر الادارية ) نص على عدم السماح للموظف ان يكون ضمن هيئة تحرير صحيفة او ادارتها الا باذن كتابى من السكرتير الادارى ومن رئيس مصلحته ، ولا يحق له الكتابة فى الامور السياسية حتى ولو باسم مستعار ولا يسمح لاولئك ان تنشر. كذلك فلا يجوز للموظف ان يشهر او يقذف الحكومة فى الصحف او ان ينتقد المصلحة التى يعمل بها ، ومثل هذا الانتقاد يجب ان يقدم رأسا للمصلحة

---

(١) محمد على الطيب : المرجع السابق ص ١٣٥ — ١٣٧.

ولكن يجوز للموظف ان يحضر اى اجتماع سياسى عام لا يكون فى شكل مظاهرة بل كفرد عادى وان لا يلقى خطابا او يضع نفسه موضع القيادة . كما تضمن القانون تحريم العمل السياسى على مستخدمى البوليس والقضاة والعمال القضائيين والمآمير ونوابهم ورؤساء الاقسام بالمصالح الحكومية ونظار المدارس وضباط الجيش . وكان تبرير المشرع لذلك كله هو انه لا يمكن ان يتسنى للحكومة ان تحكم حكما صحيحا ونافعا اذا خاض موظفوها فى سياسة الدولة .(١)

ومع ذلك فقد سمح للموظف بالتصويت فى البرلمان ، ولكن اذا تجاوز الموظف ذلك واشترك فى عمل علنى فى السياسة فهذا يتعارض مع واجباته كمستخدم ولا يمكن ان يسمح له بذلك .

وفى ٣ يوليه عام ١٩٤٨ جرت تعديلات جديدة على قانون (الأوامر الادارية ) واصبح يسمى ( قانون موظفى حكومة السودان ) حيث سمح للمستخدم ان يكتب مقالا ولكن فى موضوعات غير سياسية. وقد جاءت هذه التعديلات الاخيرة نظرا لزيادة الاحزاب السياسية وازدياد حركتها ، الامر الذى جعل النصوص القديمة لا تفى بالمطلوب ، لاسيما وان الحكومة كانت تراقب سلوك

---

(١) محمد على الطيب : المرجع السابق ص ١٢٧.

موظفيها منذ فترة طويلة ، اما النشاط السياسي للنظار ومشايخ القبائل فقد سمحت به حكومة السودان ٠ (١)

وكان الهدف من وراء هذه الاوامر الادارية والتعديلات التي ادخلت عليها هو تقليص نشاط مؤتمر الخريجين الذي تولى قيادة الحركة الوطنية لاسيما وان اكثر الخريجين قد اتجهوا الى مصر تحت شعار ( المطالبة بتقرير المصير في اطار وحدة السودان ومصر تحت التاج المصري) (٢)

وهكذا يمكن القول ان اكثر القضايا والموضوعات التي عرضت على المجلس الاستشاري هامشية وسطحية جدا مع حرص شديد على تنحية القضايا السياسية الهامة التي يود الشارع السوداني اثارتها والابتعاد عن طرح موضوعات تثير الجدل والفرقة كقضية مياه النيل وغير ذلك ، الامر الذي يثير الشبهات حول المغزى من انشاء هذا المجلس ٠

---

(١) السودان الجديد : العدد رقم ٥٣١ بتاريخ ٥ يوليه ١٩٤٨٠

(٢) محمد علي الطيب : المرجع السابق ص ١٣٩٠

# الفصل السادس

# شمال أفريقيا منذ الحرب العالمية الأولى وحتى الاستقلال

- ليبيا
- تونس
- الجزائر
- مراكش

**ليبيا والحرب العالمية الأولى :**

لما كانت الدولة العثمانية قد دخلت الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الوسط وهى المانيا وامبراطورية النمسا والمجر، فإنها بذلك قد وضعت نفسها فى مواجهة مع دول الوفاق وهى بريطانيا وفرنسا وروسيا. وعلى هذا النحو راحت الدولة العثمانية تتحرش بالقوات البريطانية على حدود مصر الغربية فى محاولة منها لشغلها عن الجبهة الشرقية شرقى قناة السويس . وقد أرسل العثمانيون بعثة برئاسة نورى بك ضمت عدداً من الضباط العرب والألمان اتصلت بالسيد أحمد الشريف السنوسى وعينته نائباً فى شمال افريقيا .

وكان السيد أحمد الشريف السنوسى متردداً بين الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية وحلفائها أو الوقوف مع بريطانيا وحلفائها؛ فالعثمانيون راحوا يتحدثون بلغة الجهاد الإسلامى وفى ذات الوقت طلبوا منه مهادنة الإيطاليين . ومن ناحية أخرى سعى البريطانيون فى مصر لكسب السنوسى حين وسطوا سلطان مصر حسين كامل لإقناع السنوسى بالحياد وعدم القتال ضد البريطانيين، إلا أن مثل هذه المحاولات باءت بالفشل ووقف السنوسى إلى جانب العثمانيين لا سيما وأن إيطاليا – العدو الذى يحتل بلاده – آثرت الانضمام إلى صفوف الوفاق منذ مارس عام ١٩١٥ . وهكذا قرر السنوسى بعد أن تلقى مساعدة عثمانية المانية من الرجال والسلاح إعلان المقاومة الثورية فى أغسطس عام ١٩١٥ ضد الإيطاليين وإجبارهم على التخلى عن المناطق الداخلية فى ليبيا وتمركزهم في الأجزاء الساحلية .

وبالإضافة إلى ما سبق قام السيد أحمد السنوسى بدخول الأراضى المصرية فى نوفمبر عام ١٩١٥ على رأس قوة عسكرية تساندها قوات عثمانية واشتبك مع القوات البريطانية التى استطاعت إجباره على التراجع الأمر الذى جعله يتخلى عن الحرب النظامية واسلوب المواجهة إلى اسلوب العمليات غير النظامية أو ما أطلق عليها البعض حرب العصابات، وكان يساعده الضابط المصرى الشهير اللواء محمد صالح حرب .

ولم تنجح محاولات السنوسيين ضد البريطانيين لعدة أسباب أهمها فشل حملات أحمد جمال باشا القائد العثمانى فى دخول مصر من الشرق مما أعطى البريطانيين أماناً بالنسبة لهذه الجبهة ليركزوا جهودهم نحو الجبهة الغربية، إضافة إلى أن الساسة البريطانيين نجحوا فى بث الفرقة بين القادة السنوسيين حيث جرت مباحثات بريطانية إيطالية مع السيد محمد ادريس السنوسى الذى تم اقناعه بأن من مصلحة السنوسيين - لا سيما بعد انتصار الحلفاء فى الحرب وانتهائها - عدم معاداة بريطانيا وإيطاليا حتى تحصل ليبيا على الإستقلال . وعلى هذا النحو تم توقيع اتفاقيات بين السنوسى وايطاليا وبريطانيا، واعترفت بريطانيا بالسيد السنوسى زعيماً للسنوسيين الذى أرسل إلى ابن عمه السيد أحمد الشريف أن يغادر هو ومحمد صالح حرب واحة جغبوب حيث انسحب أحمد الشريف إلى طرابلس ثم غادرها إلى الاستانة فى اغسطس عام ١٩١٨ .

**الحركة الوطنية الليبية بعد الحرب العالمية الأولى :**

تولى الفاشيست الحكم فى ايطاليا وراحوا يتمسكون بنفوذهم مما أدى

إلى حدوث صدام مع الوطنيين فى ليبيا وبين الايطاليين .

والجدير بالذكر انه تم إعلان جمهورية فى طرابلس، بالإضافة إلى انتخاب مجلس للجمهورية، وتقدم زعماء طرابلس إلى السلطات الإيطالية مطالبين بتأسيس إمارة حرة فى طرابلس الغرب تحت إشراف الحكومة الايطالية لكن هذا المطلب قوبل بالرفض، فلجأ الطرابلسيون إلى توحيد حركتهم الوطنية مع المناطق الأخرى فى برقة وفزان وعقدوا من أجل ذلك مؤتمراً فى (غريان) عام ١٩٢١، واتجهت الأنظار إلى السيد محمد ادريس السنوسى لقيادة هذه المسيرة الوطنية فى كافة أرجاء ليبيا .

وقد أيد (ميثاق سرت) فى ٢٢ يناير عام ١٩٢٢ ما جاء بمؤتمر غريان وتمت مبايعة السيد محمد ادريس، وراحت حركات الجهاد تنطلق فى أرجاء ليبيا حيث تولى عمر المختار قيادة حركة الجهاد فى برقة، بينما تولاها بشير السعداوى فى طرابلس .

استطاع الإيطاليون القضاء على حركة الجهاد فى طرابلس من خلال استخدام أعتى الأسلحة والقوات الضخمة إلى أن توقفت حركة المقاومة فى هذا الاقليم ليتجهوا بعد ذلك إلى اقليم برقة حيث ظهر عمر المختار فى طليعة الحركة الوطنية مستخدماً أساليب وفنون حربية جديدة .

**جهاد عمر المختار :**

اتسمت الفترة الواقعة ما بين عامى١٩٢٣و ١٩٣٢ فى ليبيا ببروز قيادة موحدة للحركة الوطنية ضد الاستعمار الايطالى كان يقودها عمر المختار، كما واكب هذه الفترة الجهادية ظهور استراتيجية عسكرية جديدة

تمثلت فى حرب العصابات قوامها الهجوم والتحرك السريع بدلاً من الدفاع . وفى الجانب الآخر تسلم الحزب الفاشيستى زمام الحكم فى روما مما ترتب عليه استخدام سياسة جديدة فى ليبيا تهدف إلى وأد المقاومة الوطنية مهما كانت التضحيات، ومن ثم راحت تستخدم أساليب (المحكمة الطائرة) والمعتقلات والإبادة الجماعية واحراق الإنسان والمزارع وغير ذلك، كما قام الفاشيست بالغاء كل المعاهدات السابقة والقضاء على المعسكرات فهرب محمد ادريس السنوسى إلى مصر، وبرز عمر المختار ليقود المقاومة، فقام بتأسيس أدوار (معسكرات) جديدة أصبحت ركناً أساسياً من أركان حركة الجهاد فى أعقاب عام ١٩٢٢، مثل دور العبيد، ودور البراعصة، ودور العواقير وغيرها .

وكان نظام الأدوار يعتمد على الأساس القبلى وهو فى ذات الوقت وحدة عسكرية وإدارية واجتماعية يرأسه قائمقام، كما كان هذا النظام مرناً الأمر الذى أعطى حركة الجهاد شكلاً من أشكال الاستمرارية إذ كان من الممكن تعويض الشهيد بمقاتل آخر من نفس القبيلة التى كان ينتمى لها الشهيد .

وكان عمر المختار يستخدم الرتب العسكرية التركية ويصدر الترقيات من خلال أمر كتابى من جانبه ثم يعمم على جميع المجاهدين. وجميع هذه الأدوار كانت تخضع لإشراف (مجلس عسكرى) يرأسه عمر المختار، كما كان لكل دور مجلس إدارى استشارى مستقل لرسم السياسة العسكرية والاقتصادية العامة للدور .

ومن خلال نظام الأدوار خاض عمر المختار حوالى ٧٤ معركة ضد

الإيطاليين بالإضافة إلى عشرات الاشتباكات التى تقدر بحوالى ٢٦٠ اشتباكا .

لقد كانت استراتيچية عمر المختار تقوم على مبدأ الهجوم بدلاً عن الدفاع الأمر الذى مكنه هو ورجاله من اختيار المكان والزمن المناسبين للمعركة بالإضافة إلى مباغتة العدو بالهجوم . وقد ووصف أعداء المختار هذا الأسلوب بحرب العصابات وقطاع الطرق . وقد لجأ عمر المختار إلى استخدام هذا الأسلوب كاستراتيچية طويلة لا سيما حين تعذر الحصول على المساعدات الخارجية .

وبالإضافة إلى ذلك كانت استراتيچية المختار تقوم على التحصن فى المناطق الوعرة كما هو الحال حين تحصن فى منطقة الكوف بالجبل الأخضر إذ وفر لهم هذا الوادى من خلال تكوينه الطبيعى ملاذاً وقلعة حصينة .

والأهم من هذه الاستراتيچية إيمان عمر المختار ورجاله بقضيتهم، فهم يجاهدون دفاعاً عن الدين والوطن وبالتالى فإنهم كانوا يضحون بأرواحهم، كما كانت لديهم قدرات على تحمل الصعاب، أذهلت أعداءهم الإيطاليين وعلى رأسهم القائد (جراسيانى) .

تلقى عمر المختار والمجاهدون أسلحتهم من مصادر عدة أهمها الغنائم التى كانوا يحصلون عليها خلال المعارك، والاستيلاء على بعض مخازن الأسلحة، بالإضافة إلى الأسلحة التى كانوا يتلقونها من تركيا والمانيا . وأخيراً عن طريق التهريب عبر الحدود .

ومما ساعد عمر المختار فى حركة الجهاد حصوله على تمويل خارجى من تركيا ومصر وتونس والجزائر . ففى مصر قام الأمير عمر طوسون والشيخ حمد الباسل بحملات لجمع التبرعات العينية والنقدية للمجاهدين، التى أفادوا منها إفادة كبيرة لا سيما فى الفترة الواقعة ما بين عام ١٩١١ و ١٩٣٠ حين تم إقامة حاجز الأسلاك الشائكة على الحدود المصرية الليبية من جانب الجنرال جراتسيانى بطول ٣٦٠ كيلو مترا .

وبالإضافة إلى التمويل الخارجى هناك التمويل الداخلى الذى جاء عن طريق الزكاة والأعشار والغنائم والمكوس وغيرها .

لقد مضى جراتسيانى فى ضرب المقاومة الليبية بالقوة والوحشية التى استحق عليها بجدارة لقب (جزار ليبيا)، فلم يمض على وصوله إلى بنغازى سوى عدة أيام حتى أنشأ ما عرف باسم (المحكمة الطائرة) نظراً لأن أعضاء هذه المحكمة كانوا ينتقلون بواسطة الطائرة من مكان إلى مكان لإصدار الأحكام السريعة وتنفيذها فى الحال .

وقد دخل جراتسيانى فى اشتباكات عدة مع المجاهدين وانتصر عليهم نظراً لتفوقه فى نوعية وحجم السلاح ونفاد المؤن والذخائر فى الجانب الآخر ناهيك عن أن العمليات العسكرية التى كان يقوم بها المجاهدون اقتصرت على الجبل الأخضر . ثم كانت المعركة الكبيرة فى وادى الساقية التى عثر فيها على نظارة المختار وجواده فى ميدان المعركة مما يعنى أنه لايزال على قيد الحياة، كما كان لسقوط الكفرة فى أوائل عام ١٩٣١ أثر كبير عند عمر المختار فى الجبل الأخضر لأنه بضياع هذا المعقل تم إغلاق الحدود المصرية تماماً من (مساعد) شمالاً حتى واحة (جغبوب) جنوبا .

ثم كانت النهاية بالقبض على عمر المختار ومحاكمته محاكمة سريعة لم تستغرق سوى ساعة واحدة فى مساء ١٥ سبتمبر عام ١٩٣١ . وأمام جميع غفير من الأهالى جرى تنفيذ حكم الأعدام فى عمر المختار صباح يوم السادس عشر من سبتمبر بعد أن حمل لواء الجهاد حوالى عشرين عاماً .

ومن المعروف ان الطرابلسيين قد أسسوا فى بلاد الشام جمعية الدفاع الطرابلسى البرقاوى منذ عام ١٩٢٨ هدفت إلى عدم الإعتراف بزعامة السيد محمد ادريس السنوسى، ولم يبينوا نوع الحكومة التى يهدفون إليها جمهورية أم ملكية .

وفى مصر نشطت الحركة الوطنية الليبية وكانت أغلب عناصرها من البرقاويين . وعلى الرغم من ظهور بعض الخلافات فيما بينهم إلا أنهم التفوا حول الأمير محمد ادريس السنوسى وقرروا أن يكون الأمير هو المتحدث باسمهم مستعيناً بهيئة استشارية تعاونه وتساعده كلما دعت الضرورة .

**ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية :**

فى يونيه عام ١٩٤٠ دخلت ايطاليا الحرب إلى جانب حليفتها المانيا وشكلت كلتاهما مع اليابان ما عرف باسم المحور مقابل أو ضد الطرف الآخر والذى عرف باسم الحلفاء وعلى رأسه بريطانيا وفرنسا وروسيا وغيرهم . وهكذا كان دخول ايطاليا الحرب فرصة استغلها الليبيون بزعامة الأمير محمد ادريس السنوسى للوقوف إلى جانب الحلفاء أملاً فى مساعدتهم للحصول على الاستقلال من ايطاليا .

وبناءً على ما سبق إجتمع الليبيون برئاسة الأمير محمد ادريس السنوسى فى الثامن من أغسطس عام ١٩٤٠ من خلال ما اسموه (الجمعية الوطنية الليبية) وأصدروا بياناً نص على وضع الثقة فى بريطانيا لمساعدتهم فى الحصول على الاستقلال، كما نص على اعلان الإمارة السنوسية ووضع الثقة فى الأمير محمد إدريس وتعيين حكومة سنوسية وهيئة تمثل طرابلس وبرقة، وضرورة خوض المعارك ضد إيطاليا إلى جانب القوات البريطانية، وتفويض الأمير فى عقد كل الاتفاقيات والمعاهدات للوصول إلى الهدف الأسمى فى الحصول على الاستقلال .

ولم يوافق الطرابلسيون على هذا البيان خصوصاً عبارة (حكومة سنوسية) ورأوا ضرورة استبدالها بعبارة (حكومة ليبية)، كما أنهم لم يحبذوا عبارة (وضع الثقة فى دولة بريطانيا)، وكانوا يفضلون لو كان هناك تعهدَ من جانب بريطانيا باستقلال ليبيا مقابل مساهمة الليبيين فى القتال .

وقد صرح وزير خارجية بريطانيا فى عام ١٩٤٢ بأن بريطانيا لن تسمح بوقوع برقة تحت الحكم الإيطالى مما أثار سخط الطرابلسيين وحملوا الأمير محمد هذه المسئولية واعتبروا ذلك تفريطا فى حقوق الوطن الكاملة، إذ أنهم لم يشيروا إلى طرابلس .

وقد وقف السنوسيون إلى جانب الحلفاء فى المعارك التى دارت وقدموا مجهوداً حربياً طيباً لاسيما إبان معركة العلمين فى عام ١٩٤٢، واستمر هذا الدعم حتى دخول القوات البريطانية طرابلس فى الثالث والعشرين من يناير عام ١٩٤٣ .

. وهكذا تم للحلفاء إحتلال ليبيا فى عام ١٩٤٣ وطرد الإيطاليين، وجرى إنشاء ثلاث إدارات هى : ادارة برقه، وإدارة طرابلس، وإدارة فزان. وقامت بريطانيا بادارة برقه وطرابلس بينما تولت فرنسا إدارة منطقة فزان . وكان طابع الإدارة فى طرابلس وبرقه عسكرياً حيث أصبحتا تابعتين لوزارة الحرب البريطانية إلى أن تم نقلهما إلى وزارة الخارجية فى يناير عام ١٩٤٩ . وقد سار الفرنسيون فى ادارة فزان على اسلوب الادارة العسكرية الذى كانوا يسيرون عليه فى الجزائر .

وقد سمح هذا الحكم العسكرى البريطانى الفرنسى بمزاولة النشاط السياسى فى كافة أرجاء ليبيا وهو نشاط كان محوره التفكير فى مصير البلاد فتشكل نادى عمر المختار فى بنغازى الذى تناول الوضع السياسى إلى جانب نشاطاته الرياضية والثقافية، كما تألف الحزب الوطنى عام ١٩٤٥، وظهرت الكتلة الوطنية الحرة والجبهة الوطنية المتحدة فى طرابلس، وحزب الاتحاد المصرى الطرابلسى الذى كان ينادى بضرورة الاتحاد بين مصر وليبيا، وأيضا كان هناك حزب الأحرار الذى كان يطالب بوحدة ليبيا تحت زعامة الأمير محمد السنوسى .

وحين أنشئت هيئة الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٥ تقدم جماعة من البرقاويين إليها بطلب الاستقلال تحت قيادة الأمير محمد السنوسى وتكوين حكومة دستورية وطنية، وفى المقابل كان هناك فريق آخر من الطرابلسيين لا يوافق على الاتحاد مع برقة، إلا أنه فى عام ١٩٤٧ نادت هيئة تحرير ليبيا التى تألفت فى القاهرة فى هذا العام من بشير السعداوى وأحمد السويحلى وغيرهما من خلال طلب رفعته إلى جامعة الدول العربية

بوحدة ليبيا من مصر إلى تونس وحصولها على الاستقلال التام بينما انفرد حزب الأحرار بطلب إمارة الأمير محمد السنوسى، وحزب الاتحاد المصرى الطرابلسى بتوحيد ليبيا ومصر تحت التاج المصرى .

ولما كانت إيطاليا قد تنازلت فى مؤتمر باريس عام ١٩٤٧ عن جميع حقوقها فى الممتلكات الافريقية، فقد رأت الدول الكبرى (انجلترا - فرنسا - الاتحاد السوفيتى) أن تجد حلاً لقضية هذه المستعمرات ومنها ليبيا فى خلال عام من تاريخ التصديق على معاهدة الصلح مع إيطاليا، أو تحال هذه القضية فى حالة الفشل فى التوصل إلى حل لها إلى هيئة الأمم المتحدة .

وحين فشل وزراء خارجية هذه الدول جرى إحالة القضية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة التى قررت تأليف لجنة تحقيق تقوم بالسفر إلى هذه المستعمرات ومنها ليبيا، فجاء تقريرها حول ليبيا ينص على ضرورة وحدة البلاد لأن أجزاءها الثلاثة لا يمكن أن يعيش بمفرده أو يقوم بالاكتفاء الذاتى .

والجدير بالذكر أن المؤتمر البرقاوى قد أعلن فى يونيه عام ١٩٤٩ قيام دولة برقة المستقلة الديمقراطية الملكية بزعامة السيد محمد ادريس السنوسى لكن هذا الإعلان الذى تجاهل طرابلس وفزان لاقى معارضة شديدة من جانب مصر والجامعة العربية الأمر الذى أدى إلى قيام الجامعة بتقديم مذكرة إلى هيئة الأمم المتحدة فى دورتها الثالثة عام ١٩٤٦ .

ويبدو وأن الزعماء الطرابلسيين قد أدركوا خطورة بقائهم بعيدين ومنفصلين عن الإمارة السنوسية وأن المصلحة العامة تقتضى الاتحاد فاذاعوا بياناً طالب بوحدة بلادهم المستقلة .

وهكذا بدأت الأمور تتبلور فى سبيل الاتحاد على شكل مطالب قدمت للأمم المتحدة، بالإضافة إلى تقرير اللجنة الرباعية، وذلك فى دورتها المنعقدة فى ابريل عام ١٩٤٩ والتى تأجلت إلى نوفمبر من نفس العام، ثم جرى مناقشة هذه القضية التى اختلفت الآراء حولها حتى صدر قرار بأن تصبح كل من برقة وطرابلس وفزان دولة موحدة تحمل إسم ليبيا . وبالفعل اتفق جمع الفرقاء على أن يكون الأمير محمد السنوسى على رأس الدولة الجديدة التى تتكون من الأجزاء الثلاثة وأن تتشكل جمعية وطنية بالتساوى من هذه الأقاليم، ثم جرى إعلان ليبيا دولة مستقلة فى ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ .

## الحركة الوطنية التونسية :

أخلفت فرنسا وعودها التى بأنها لم تجئ إلى تونس كدوله فاتحة بل لإرشاد الحكومة الوطنية، الأمر الذى أدى إلى بروز حركة وطنية . ويقال ان الحركة الوطنية التونسية تمثلت بحركة التجديد الاسلامى فى المشرق، وتجديد النظم السياسية، كما تأثرت أيضا بالمراكز الإسلامية العريقة فى تونس مثل جامع الزيتونة الذى تخرج منه زعماء حملوا على عاتقهم هموم العقيدة والوطن .

ويعتبر الشيخ محمد السنوسى أول زعيم للحركة الوطنية التونسية بعد الحماية، وهو من علماء جامع الزيتونة المستنيرين الذين تزعموا حركة قوية قامت بتأليف وفد تقدم بعريضة موقع عليها من كثير من أبناء الشعب التونسىَ إلى الباى يحتجون فيها على شكل الحكم المباشر الذى تقوم به السلطات الفرنسية فى البلاد فاستقبلهم الباى وتعاطف معهم، إلا ان السلطات الفرنسية القت القبض على السنوسى وأبعدته إلى خارج البلاد .

ولم تتوقف الحركة الوطنية بالقاء القبض على السنوسى بل ظهر عالم جديد فى البلاد هو الشيخ المكى بن عزوز وهو أيضاً من شيوخ الزيتونة السلفيين الذى راح يدعو أولاً إلى مقاومة المشايخ الجامدين الذين وقفوا فى وجه حركة الإصلاح التى قادها خير الدين وغيره، وكانت ثمرة ذلك كله تكوين جماعة من المستنيرين، على رأسهم الشيخ عبد العزيز الثعالبى، والتقى هؤلاء الطلاب وكونوا جريدة (المستقبل التونسى) وكانت تنطق بالفرنسية، وأخرى باللغة العربية أسموها (حبيب الأمة)، وثالثة تدعى (سبيل الرشاد) أشرف عليها الشيخ الثعالبى بنفسه[1] .

وفى عام ١٩٠٥ عاد الطلاب الذين أوفدتهم الحكومة التونسية قبل الحماية، وهم من خريجى المعهد الصادقى، بعد أن أتموا دراستهم وبدأوا يبثون أفكاراً تحريرية تنويرية داخل الرأى العام التونسى. ومن أبرز هؤلاء السيد على أبو شوشة صاحب جريدة (الحاضرة) .

---

(١) أنظر : علال الفاسى : الحركات الإستقلالية فى المغرب العربى . ص ٤٧ وما بعدها .

وكانت هذه الحركة تستقى أفكارها من الدعاية التى قام بها كل من جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وتقتدى بالحركة الوطنية فى مصر التى قادها مصطفى كامل ومحمد فريد الذى زار تونس والتقى برجال الحركة . وإلى هذه الحركة يرجع الفضل فى تأسيس معهد ابن خلدون .

وفى عام ١٩٠٧ قامت ثورة فى جنوب غربى تونس فى القصرين بزعامة على بن عثمان وهو واحد من مشايخ القبائل، وكانت بسبب اغتصاب المستعمرين للأراضى . واستطاع الفرنسيون اخمادها بالقوة والقبض على زعيمها ورميه بالرصاص .

الأحزاب التونسية والحركة الوطنيه :

أ – حزب تونس الفتاة :

تأسس هذا الحزب عام ١٩٠٨ على يد على باش حمبة الذى جمع بين الثقافتين العربية والفرنسية . وقد اصطدم على باش بقانون « كريميو » الفرنسى الذى جرت محاولة لتطبيقه فى تونس بعد أن طبقوه فى الجزائر، والذى يقضى بتجنيس اليهود التونسيين، فقام اليهود فى عام ١٩٠٧ بشن حمله شعواء للمطالبة بالجنسية الفرنسية وذلك لزيادة عدد الجالية الفرنسية. وقد تزعم ثلة من الشباب التونسى مقاومة هذا التيار بقيادة على باش ونجحوا فى ذلك حتى أوقفت الإدارة الفرنسية فى تونس هذا القانون .

وكانت جريدة ( التونسى ) التى صدرت بالفرنسية هى الناطقة باسم الحزب، وصدرت منها طبعة عربية قام بتحريرها الشيخ عبد العزيز الثعالبى . وكما يبدو من تسمية الحزب فإنه كان متأثراً بحزب تركيا الفتاة. ويبدو أن أفكار على باش اشد تطرفا من أفكار جماعة ( الحاضرة )، كما أنه كان يهدف إلى توحيد المغرب العربى فى ميدان الكفاح فمد يده للمناضلين الجزائريين، كما اتصل برجال الحركة فى مراكش . وعقب

إحتلال ليبيا عام ١٩١١ كان يقوم مع أنصاره بدور حلقة الوصل بين السفارة العثمانية فى باريس والقيادة العثمانية فى طرابلس، وأصبحت تونس عبارة عن ممر سرى للضباط العثمانيين القادمين من أوربا إلى طرابلس .

وفى عام ١٩١١ وقع حادث ( الجلاز ) فى تونس حين أضرب عمال الترام عن العمل بإشراف على باش وجماعته . وقد انتهى الحادث بصدام عنيف لاسيما بين التونسيين والإيطاليين بسبب احتلالهم لليبيا الأمر الذى أدى إلى قيام المقيم العام الفرنسى باعتقال الوطنيين ومنهم على باش وعبد العزيز الثعالبى وغيرهم، وقام بحل حزب تونس الفتاة، وتم إبعاد الثعالبى إلى فرنسا ثم ذهب إلى الأستانة وانتقل منها للهند وجاوه حتى عاد إلى تونس قبيل إعلان الحرب العالمية الأولى . وأما على باش فقد بقى فى الأستانة حتى توفى بها .

**ب - *الحزب الدستورى* ( ١٩١٩ )**

ظهرت قوى جديدة فى تونس كان أغلبها من الذين تلقوا تعليماً فرنسياً وراحت هذه القوى تطالب بإعلان الحياة الدستورية كمقدمة للحصول على الإستقلال، وعلى هدى من هذه الأفكار قاموا بتأسيس ( حزب الدستور ) فى عام ١٩١٩ بعد أن رفعوا عريضة للداى باسم الشعب فأظهر عطفه عليهم .

أعلن رجال الحزب الدستورى عن غايتهم من هذا الحزب فقالوا إن « الغاية من تأسيس هذا الحزب الجديد هى تبليغ الوطن رشده، وتحريره من الإستعباد كى يصبح الشعب التونسى حراً متمتعاً بكامل الحقوق التى تتمتع بها الشعوب الحرة . وهو يريد أن يصل لهذه الغاية عن طريق التحقيق العاجل لنظام دستورى يسمح لهذا الشعب بحكم نفسه بنفسه وفقاً للأسس التى يسير عليها كل العالم المتمدين » [١] .

---

(١) علال الفاسى : المرجع السابق . ص ٥٩ .

وهناك نقد يوجه إلى هذا الحزب على أساس أنه قام على غير ما كان عليه حزب تونس الفتاة الذى كان يطالب بالإستقلال، الا أننا نعتقد أن الحزب الدستورى لم يغفل الإستقلال أبداً وآثر رجاله عدم الافصاح به جهاراً وكانوا يرون فى هذا الغموض سياسة تسمح لهم بالوصول إلى مرحلة يتمكنون فيها من إعادة تنظيم انفسهم . لذلك نرى ان الزيتونيين من الوطنيين لم ينضموا للحزب فى بادئ الأمر إلا بعد رجوع الثعالبى ورئاسته للحزب .

وقد اشتد الخلاف بين الحزب الدستورى والمقيم العام الفرنسى لاسيما حين زار رئيس الجمهورية الفرنسية تونس وأعلن بأن تونس ستبقى للأبد مرتبطة بفرنسا مما أثار الباى محمد الناصر وتنازل عن العرش ومات فى ظروف غامضة ليتولى من بعده محمد الحبيب الذى وافق على مخططات فرنسا التى أدخلتها من حيث زيادة سلطات المستوطنين بينما رفض الحزب الدستورى هذه الإصلاحات غير الكاملة، لكن المقيم العام الفرنسى وجد من يوافقه على مخططاته ممن ألفوا ما يعرف باسم ( حزب الإصلاح ) .

وقد سافر الثعالبى رئيس الحزب الدستورى إلى خارج تونس صوب المشرق واستمرت رحلته ما بين عامى ١٩٢٣ و ١٩٣٧ زار خلالها مصر وسوريا والعراق والحجاز والهند .. وقد منعت الصحف الفرنسية التى كانت تنطق بإسمه ونشأت حالة من الركود داخل الحزب ولكن منذ عام ١٩٣٠ نشط الدستوريون وأصدروا جريدة ( صوت التونسى ) إلا أن فريقاً آخر ممن تشبعوا بالثقافة الأوربية أنشأ جريدة مستقلة فى عام ١٩٣٢ أسماها ( جريدة العمل ) وكان يكتب فيها الحبيب بورقيبه زعيم الإتجاه الجديد . وقد نجح المقيم الفرنسى فى احداث فرقة بين اصحاب الاتجاه الجديد وبين الدستوريين القدامى وصلت إلى حد القطيعة عام ١٩٣٤، وراح الشبان الجدد يسعون إلى تكوين حزب جديد .

### جـ - *الحزب الدستورى الجديد ( ١٩٣٤)*

وهكذا نجحت فرنسا فى تفتيت الحزب الدستورى، وظهر إلى الوجود الحزب الدستورى الجديد الذى أنشأ ( جريدة العمل ) وكان يكتب فيها الحبيب بورقيبه الذى قاد فريقاً من الشبان ممن تشبعوا بالثقافة الأوربيه . وتناولت كتاباتهم النهضة الاجتماعية والثقافية والصناعية وقضية تحرير المرأة . وقد أنتخب الحبيب بورقيبه أمينا عاماً للحزب بعد أن فشل الثعالبى فى وقف الخلاف بين الطرفين .

وعلى الرغم من الإعتدال الذى أبداه الحبيب بورقيبه وجماعته الا أن الحزب الدستورى الجديد لم يسلم من ملاحقة الفرنسيين له ولاسيما من بعد عام ١٩٣٤ حتى حصول تونس على الإستقلال فقضى زعماؤه حياتهم ما بين التشريد والنفى والسجن ، لكن الأهم هو أن نفوذ الحزب انتشر فى البلاد وأصبح مهدداً لمصالح المستوطنين .

وخلال الحرب العالمية الثانية كان الحبيب بورقيبة داخل السجن فنقلته السلطات الفرنسية إلى جنوبى فرنسا وأعلنت حل الحزب . وحين تولى الباى محمد المنصف العرش فى عام ١٩٤٢ سعى الحلفاء ورجال المحور إلى كسبه لكنه رفض هذه المساومات لاسيما من جانب المحور الذى كان مركزه العسكرى آخذاً فى التدهور، كما كان الحزب الدستورى القديم يميل - كسائر الأحزب العربية - إلى جانب المحور فاتخذ الفرنسيون من ذلك ذريعة لاتهام الزعماء الوطنيين بالتجسس، وتم خلع الباى محمد المنصف وتولية محمد الأمين .

حاول الثعالبى أن يستفيد من قيام جامعة الدول العربية فى عام ١٩٤٥ فأرسل للحكومة المصرية طالبا تدخل الجامعة فى القضية التونسية، كما إنتقل الحبيب بورقيبه إلى القاهرة وانضم إلى لجنة المغرب العربى التى كان يرأسها الأمير عن الكريم الخطابى . واثناء وجود الحبيب بورقيبه

فى القاهرة تولى صالح بن يوسف قيادة الحزب، إلا أن بورقيبة – وهو فى القاهرة – وجد أن قضية فلسطين كانت تغطى على قضايا المغرب العربى ففكر فى الإتصال بفرنسا مرة أخرى، وقرر فى عام ١٩٤٩ العودة إلى تونس ثم سافر إلى باريس عام ١٩٥٠ لكن فرنسا لم تكن تعترف بالحزب الدستورى الجديد منذ حله فى عام ١٩٣٨ .

إتجه التونسيون للمقاومة والجهاد ونظموا « جيش تحرير » ضم آلاف المتطوعين الذين أثاروا الذعر فى قلوب الفرنسيين . واستمر الخلاف بين التونسيين والفرنسيين حتى عام ١٩٥٦ حين وقعت فرنسا مع تونس ميثاقا جديداً اعترف بسيادة تونس الخارجية والداخليه وتألفت أول وزارة برئاسة الحبيب بورقيبه .

**الحركة الوطنية فى الجزائر :**

**أ - الأمير خالد وكتلة النخبة الجزائريين :**

اندلعت الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤ فلجأت فرنسا إلى تجنيد الفرنسيين فى صفوف جيشها، لكن الجزائريين أخذوا يفرون من صفوف الجيش الفرنسى ويلجأون إلى الجبال والجهات الوعرة، وراح فريق منهم ينضم إلى الجيش التركى وحين شعرت حكومة باريس بهذا الخطر لجأت إلى سياسة الوعود الكاذبة لاسيما وأن بعض الضباط الذين خدموا الجيش الفرنسى من أمثال الأمير خالد أحد أحفاد الأمير عبد القادر قد رأس وفداً من الضباط الجزائريين وسافر إلى باريس لعرض القضية الجزائرية على مؤتمر الصلح استناداً على مبادئ الرئيس الامريكى (ودرو ويلسون) ولا سيما مبدأ حق تقرير المصير لكنه لم يجد استجابة فعاد وشكل «كتلة المنتخبين المسلمين الجزائريين» التى طالبت بضرورة حصول الجزائريين على كامل حقوقهم، وإصلاح أحوالهم الاجتماعية، ووقف الهجرة الأجنبية إلى الجزائر . وبالإضافة إلى ذلك أسس الأمير خالد جريدة سميت باسم جريدة «الإقدام» باللغتين العربية والفرنسية .

ويبدو أن الأمير خالد لم يترك حتى تؤتى حركته الثورية ثمارها حيث تآمر ضده كثير من الخونة والمستعمرين وأخرجوه من الجزائر، فلجأ إلى الإسكندرية، لكن بعد سقوط وزارة (بوانكريه) عام ١٩٢٤ ومجئ اليساريين بزعامة (بلوم) سمح للأمير خالد بالسفر لفرنسا حيث قام بتأسيس لجنة ضمت أبناء شمال افريقيا ومن بينهم السيد مصالى الحاج وغيره، ثم عاد إلى الإسكندرية عام ١٩٢٥ واتهم باتصاله ومساندته

للأمير عبد الكريم الخطابى واستطاع القنصل الفرنسى بالقاهرة تأليب سلطات الاحتلال البريطانى ضده فأخرج مكبلاً بالحديد إلى سوريا التى ظل يعيش فيها حتى توفى فى عام ١٩٣٦ .

**مصالى الحاج ونجمة شمال افريقيا :**

لم تذهب دعوة الأمير خالد التى حاول نشرها أثناء تواجده بفرنسا هباءً منثوراً بذهابه بل استمرت بين أبناء الشمال الافريقى بفرنسا، ومن أهم مظاهرها ذلك المؤتمر المغربى الذى عقد فى عام ١٩٢٤ من أجل القضية المغربية .

وفى هذا العام أيضا تم تأسيس «جمعية نجم شمال افريقيا» التى كانت فى بادئ الأمر هيئة إغاثة للمغاربة ثم تحولت فى مارس عام ١٩٢٦ إلى جمعية سياسية للدفاع عن قضية المغرب العربى ولها جريدة باسم (الأمة) . وهكذا قدر لهذه الهيئة تحمل عبء الدفاع عن جميع أقطار الشمال الافريقى بما فيها الجزائر، وأصبح مصالى الحاج رئيساً لها، وبدأت فى تنظيم العمال المغاربة داخل فرنسا وتربيتهم تربية سياسية واجتماعية .

وأمام هذا الخطر الذى لم يعهده المستعمر الفرنسى قامت حكومة فرنسا بتوجيه تهمة ضد نجمة شمال افريقيا على اعتبار أن هذه الهيئة فرع من الحزب الشيوعى ولا تعمل إلا لصالح موسكو والشيوعية الدولية، بل وأقامت ضدها دعوى قضائية فى محاولة لحلها .

وفى ٢٢ مايو عام ١٩٣٣ عقد إجتماع عام لجمعية نجم شمال افريقيا، وفى هذا الاجتماع طالبت بإجراء إصلاحات عاجلة، منها حرية الصحافة والاجتماع، وإحلال الجزائريين محل الفرنسيين فى الوظائف، وأن يكون التعليم الاجبارى باللغة العربية، وجلاء جيش الاحتلال وغير ذلك من المطالب .

وجدير بالذكر أن مصالى الحاج قد أسس فى فرنسا فى مارس عام ١٩٣٧ (حزب الشعب الجزائرى) مستغلا مبدأ حرية تأليف الأحزاب .

وقد استمرت جمعية نجم شمال افريقيا تواصل نشاطها بشكل رسمى حتى عام ١٩٣١ لتدخل فى صراع مع الحزب الشيوعى الفرنسى إلى أن انتهى الأمر بحلها بقرار صدر فى ٢٦ مارس عام ١٩٣٧ .

**عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء المسلمين :**

يعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس من علماء الدين الاسلامى الكبار الذين تخرجوا من جامع الزيتونة بتونس . وبعد أن أتم دراسته عاد إلى الجزائر وأسس حركة سلفية، كانت لها صحفها التى نطقت باسمها مثل (الشهاب) و (البصائر) .

وفى سنة ١٩٢٨ أسس الشيخ ابن باديس (جمعية العلماء المسلمين) التى ضمت عدداً كبيراً من مثقفى الجزائر، وكان لها تأثير فعال فى أوساط الرأى العام الإسلامى فى الجزائر وفى نشر الثقافة العربية .

كان أسلوب عبد الحميد بن باديس فى مقاومة المستعمر الفرنسى يتمثل فى نشر التعليم، وراح يردد «أنا أحارب الاستعمار لأننى أعلم

وأهذب، ومتى انتشر التعليم والتهذيب فى أرض أجدبت على الاستعمار، وشعر فى النهاية يسود المصير» .

وعلى هذا النحو بدأ ابن باديس يترسم خطى الإمام محمد عبده ودعوته التى أذاعها في تونس والجزائر خلال زياراته، ويقوم بنشر اللغة العربية لغة القرآن الكريم، فالتعليم وسيلة فعالة فى مقاومة الاستعمار الذى يعيش فى مناخ الجهل . كذلك فقد كانت دعوة ابن باديس تقوم على العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى الصافية ومقاومة الخرافات ومحاربة الفرق الضالة التى وقفت مع المستعمر فى خندق واحد ضد تيار الحركة الوطنية، لذلك نجده يصطدم أحياناً ببعض الطرق الصوفية . وفي ذات الوقت كان ابن باديس يؤمن إيماناً راسخاً بأن الإسلام لا يقف فى وجه الحضارة ولا التطور بل يحث على ذلك . وعلى هذا النحو فلم يكن الرجل عدواً للفكر الغربى وإنما كان عدواً للاتجاهات الاستعمارية التى خرجت من رحم هذا الفكر .

وهكذا ظل ابن باديس يدافع بوسائله التى ارتضاها لنفسه ويؤكد ان الجزائر ليست فرنسية ولن تكون إلى أن توفى فى عام ١٩٤٠ .

**الجزائر والحرب العالمية الثانية :**

يبدو أن رجال الحركة الوطنية فى الجزائر قد تفاءلوا خيراً بميثاق الأطلنطى الذى أصدره الحلفاء من حيث مبادئه لاسيما مبدأ حق تقرير المصير، فحاول زعماء الحركة الوطنية الجزائرية بقيادة فرحات عباس الإتصال بهم فى الحادى عشر من نوفمبر عام ١٩٤٢ الا أن الأمريكيين خيبوا آمالهم على عكس موقفهم من العرب فى المشرق، وذلك إرضاءً للسلطات الفرنسية .

وفى العاشر من فبراير عام ١٩٤٣ جرى عقد اجتماع عام للوطنيين الجزائريين للنظر فى مستقبل الجزائر، وأسفر اجتماعهم برئاسة فرحات عباس عن صدور وثيقة تحمل اسم (أصدقاء البيان) . ومن خلال هذه الوثيقة استنكروا سياسة الاندماج، وشرحوا الحالة السيئة التى وصل إليها الجزائريون فى ظل الاحتلال الفرنسى وطالبوا بعدة مطالب أهمها المساواة بين الجزائريين، والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية، وأن يكون التعليم الابتدائى إجباريا على جميع الجزائريين، وضرورة اشراك المسلمين فى ادارة البلاد .

ولم يقبل الجنرال (كاترو) حاكم عام الجزائر هذه المطالب وأعلن أن فرنسا لن توافق على استقلال الجزائر .

وبالرغم من هزيمة فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية وتدهور مكانتها السياسية فإنها لم تشأ التخلى عن سيادتها فى شمال افريقيا أو غيرها، لكن بدت فى الأفق ملامح أمل متمثلة فى ظهور الأمم المتحدة وتبنيها لمبدأ تقرير المصير، وإنشاء جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ . وقد عاد قادة الحركة الوطنية من أمثال فرحات عباس الذى أسس حزب (الاتحاد الديمقراطى لأنصار البيان)، ومصالى الحاج الذى شكل حزباً جديداً بديلاً عن حزب الشعب وهو (حزب الانتصار للحريات الديمقراطية)، ودخل فرحات إنتخابات المجلس الجزائرى، بينما دخل مصالى الحاج فى عضوية مجلس النواب الفرنسى، كما دخل أيضا عدد من أنصار البيان إلى مجلس الشيوخ، وظلوا يدافعون داخل البرلمان الفرنسى عن حق الجزائر فى الاستقلال، واسفر ذلك عن صدور القانون

الأساسي في سبتمبر عام ١٩٤٧ الذى اعتبر الجزائر جزءً من الأراضي الفرنسية تطبق عليه نفس المبادئ الدستورية المعمول بها في فرنسا، كما اعترف القانون بأن اللغة العربية إحدى لغات الاتحاد الفرنسي دون أن تكون لغة قومية، وأن تصبح الوظائف مفتوحة أمام السكان الجزائريين، ويتم تطبيق القوانين الفرنسيه كلها على القطر الجزائرى .

لقد كانت الفترة التى أعقبت صدور القانون الأساسي عام ١٩٤٧ وحتى قيام الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤ تتميز بتصاعد السيطرة الفرنسية الاستعمارية فى الجزائر، لاسيما وأن الوطنيين الجزائريين فقدوا جميع مقاعدهم فى البرلمان وشغلها جزائريون ينتمون إلى أحزاب فرنسية .

ونتيجة لذلك كله أقلعت الأحزاب الجزائرية عن أسلوب النضال من خلال المؤسسات النيابية الفرنسية مما أدى إلى إنشاء ما سمى بـ (المنظمة الخاصة) التى كان آيت أحمد، وأحمد بن بيللا أحد أعضائها والتى عملت على جمع الاسلحة والقيام بأعمال عنف تمهيداً للإعداد للثورة . ويبدو أن مصالى الحاج لم يكن على قناعة – فى ذلك الوقت – بالعمل الثورى المسلح فلم يوافق على أسلوب الزعماء الشبان فأخرجهم من حزب الانتصار للحريات، لأنه فيما يبدو أن كلا الفريقين يمثل جيلاً مختلفاً، فجيل مصالى الحاج كان يعتمد على الخطب المثيرة والمظاهرات وتقديم المطالب، أما جيل الشباب فكانوا متأثرين بهزيمة فرنسا وبالثورات التى اشتعلت فى كثير من الأقطار فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وانتزعت لبلادها الاستقلال .

**قيام الثورة الجزائرية والاستقلال :**

اندلعت الثورة الجزائرية فى أول نوفمبر عام ١٩٥٤، وقد كانت هناك عدة أسباب أدت إلى قيام هذه الثورة . ففى الداخل ساءت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وبالاضافة إلى ذلك هناك العوامل الخارجية التى تمثلت فى حصول الهند الصينيه على استقلالها بعد كفاحها المسلح، كما أن كثيراً من الجزائريين شاركوا فى القتال الذى دار فى الهند الصينيه ضمن الجيش الفرنسى وأجادوا حرب العصابات، بالإضافة إلى لجوء كل من تونس والمغرب المجاورتين إلى أسلوب الكفاح المسلح فى عام ١٩٥٤ .

وقد مرت حرب التحرير الجزائرية بعدة مراحل كانت أولاها مرحلة الإيقاظ والتأسيس منذ عام ١٩٥٤ وحتى عام ١٩٥٧، ثم مرحلة تصعيد الجيش الفرنسى ضرباته وتصديه للثوار وذلك منذ عام ١٩٥٧ وحتى ١٩٦٠ وكانت مرحلة صعبه على الثوار . ثم تأتى المرحلة الأخيرة بين عامى ١٩٦٠ و١٩٦٢ وهى المرحلة التى توجت بالاستقلال بعد مفاوضات (ايفيان) التى جرت بين ٧ ، ١٨ مارس عام ١٩٦٢ وأسفرت عن وقف اطلاق النار . وأخيراً تم اعلان الاستقلال فى يوليو عام ١٩٦٢ .

**الحركة الوطنية في مراكش**

بدأت حركة المقاومة الوطنية ضد المستعمر الفرنسي في مراكش مبكرة، فما أن اعلنت الحماية على البلاد حتى اندلعت ثورة فاس في أبريل عام ١٩١٢، وانقض جنود فاس على ضباط البعثة الفرنسية وقتلوهم وانضم إليهم الجمهور ثم القبائل، لكن القوات الفرنسية استطاعت – بعد وصول الامدادات – دخول فاس فاستلمت الحامية الوطنية، وفك الجنرال (ليوتي) الحصار عن فاس .

وقد أدت هذه الأحداث إلى انتقال السلطان عبد الحفيظ إلى الرباط حيث جعلها مقراً دائماً له لاسيما وأن مصالحه أصبحت مرتبطة بالفرنسيين، لكنه لم يستطع البقاء سلطانا تحت الحماية، فقد حاول الجنرال «ليوتي» اجباره على التوقيع على مراسيم لانشاء ادارات جديدة لكنه رفض، وأبى أن يكون سلطاناً للحماية، وبالتالي تنازل عن العرش عام ١٩١٢ ليخلفه السلطان يوسف .

وفي جنوبي البلاد قاد المقاومة الوطنية الشيخ هبة الله ماء العينين فتابع جهود والده في الجهاد والتف حوله أهل السوس، ولما اشتد الضغط الفرنسي عليه انسحب هبة الله إلى موريتانيا رغم استمرار المقاومة في السوس التي لم يستطع الفرنسيون الاستيلاء عليها إلا في عام ١٩٣٤ .

وفي جبال أطلس ثار الأمير عبد الكريم الخطابي ضد الاسبان في منطقة الريف خلال الفترة ما بين عامي ١٩٢١و ١٩٢٦ . ولا يعني تمركز هذه الثورة في منطقة الريف أنها كانت حركة ضيقة، بل على العكس فإنها تجاوزت هذا الإطار المحدود واصبحت نبراساً للثوار في شمال افريقيا والعالم الاسلامي ضد

المستعمر الأوربى الأمر الذى كان له أثره فى كثير من الأقطار الإسلامية. وقد احرز الخطابى إنتصاراً فى معركة ( الأنوال ) عام ١٩٢١ حيث قضى على حملة فرنسية كاملة . وعقب خروج الأسبان من الريف حاول الخطابى تأسيس دولة فى الريف أثارت جدلاً فى الأوساط السياسية عما إذا كان الخطابى يعترف بسيادة السلطان لأن هناك اعتقاداً بأنه ضد العرش المراكشى. وكان الخطابى لايقر الحماية الفرنسية على البلاد ويطالب بجلاء الأسبان عن كل المناطق التى احتلوها عدا ( سبته ومليلة)، وفى المقابل كان على استعداد لإقامة علاقات طيبة مع الدول الأوربية . وفى عام ١٩٢٤ قرر الخطابى القيام بهجوم للإستيلاء على تطوان واقتربت قواته من المدينة فأخلاها الاسبان، وهنا تحرك الفرنسيون لتقديم المساعدة للاسبان . وفى سبتمبر عام ١٩٢٥ إستطاع الأسبان بمعاونة البحرية الفرنسية دخول الريف ثم الاستيلاء على أغادير عاصمة الأمير عبد الكريم . وجرت مفاوضات بين الاطراف الثلاثة لكن القتال استؤنف فى مايو ١٩٢٦ فاستعدت كل من فرنسا واسبانيا وأعدتا ثلاث حملات اتجهت صوب ثلاثة اماكن واستولت على مقر الخطابى الذى سلم نفسه للفرنسيين فنفوه إلى جزيرة ( ريتيون ) فى المحيط الهادى فظل بها حتى عام ١٩٤٧ حيث سمح له بالاقامة فى فرنسا. وحين وصلت الباخرة التى كانت يستقلها إلى بورسعيد فى طريقه إلى فرنسا قرر اللجوء الى مصر التى رحبت به وقام برئاسة لجنة المغرب العربى بالقاهرة .

ومن الجدير بالذكر أن فرنسا حاولت دق اسفين بين العرب والبربر من خلال مرسوم عرف باسم ( الظهير البربرى) فى ١٦ مايو عام ١٩٣٠ . لكن رد الفعل كان مغايراً حيث تكتل العرب والبربر حول إطار القومية مماجعل فرنسا تضطر إلى التراجع .

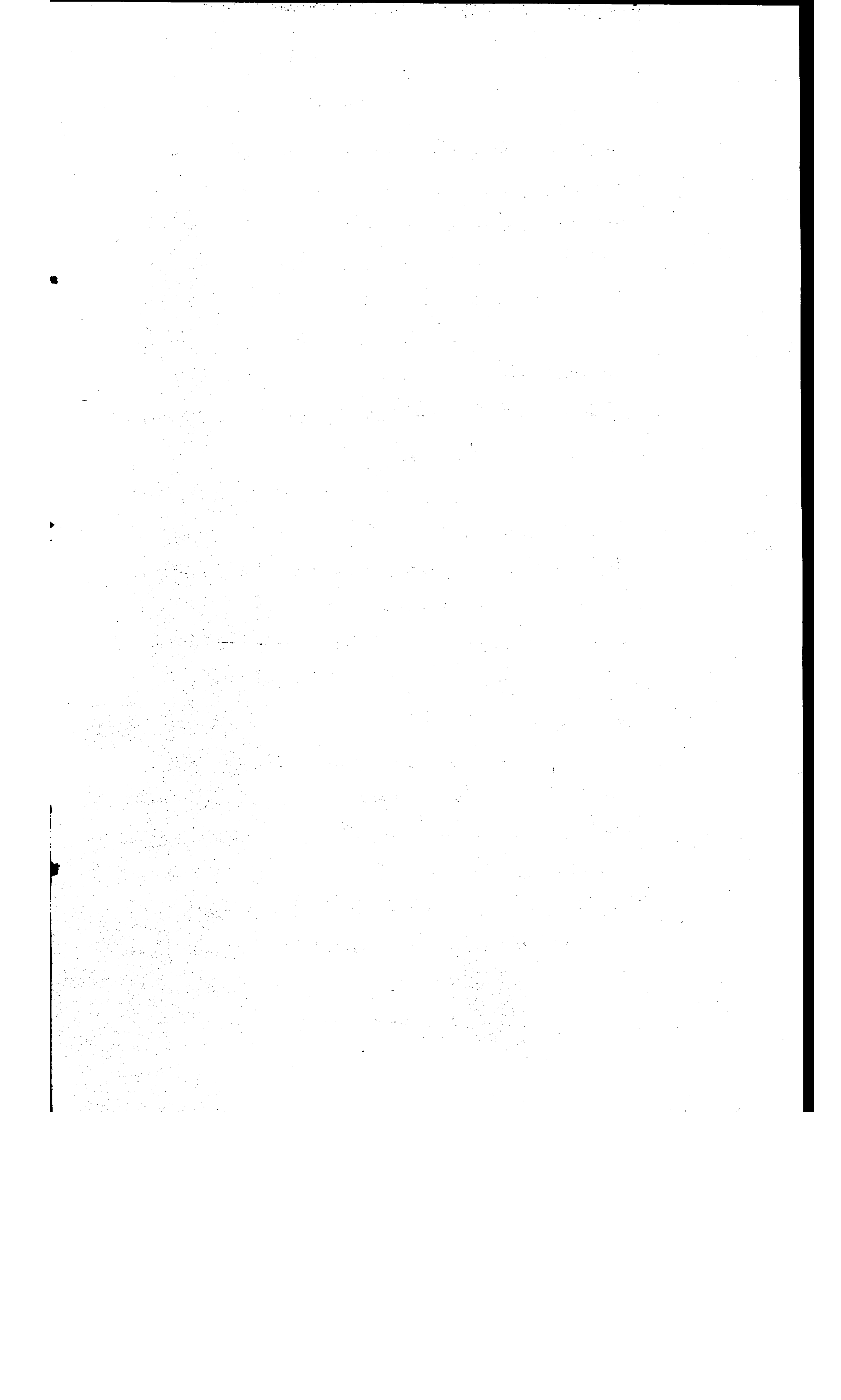
ومع نشوء « كتلة العمل الوطنى » وتزعمها للمعارضة السياسية

أخذت المقاومة ثوباً جديداً واصبحت تتصف بالوعى حيث أصبح قوامها جماعة من المثقفين قاموا بتنوير الرأى العام فى فرنسا والخارج من جهة وتنبيه الشعب واعداده لتحمل أطوار المقاومة من جهة أخرى . وأصدرت الكتلة فى عام ١٩٣٢ مجلة ( مغرب ) بالفرنسية قامت بنشر المقالات التى كتبها الوطنيون المغاربة وغيرهم من الفرنسيين لشرح مغزى الحركة الوطنية والآمال التى تعلقها على الديمقراطية الفرنسية .

وفى اعقاب حل الكتلة فى مارس عام ١٩٣٧ تكتل أعضاؤها تحت اسم جديد هو ( الحزب الوطنى ) الذى تزعمه (علال الفاسى ) وذلك فى ابريل عام ١٩٣٧ . كما كان هناك إلى جوار الحزب الوطنى حزب «الحركة القومية» بزعامة محمد الوزانى .

وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية الف الوطنيون عام ١٩٤٤ حزب الاستقلال بقيادة ( أحمد بلافريج ) وبدأ الحزب نشاطه بتقديم وثيقة الاستقلال إلى السلطان الذى تبناها هو وحكومته مقابل إعلان الحزب ولاءه للنظام الملكى الدستورى لكن ( بلافريج ) أعتقل ونفى إلى جزيرة كورسيكا فاشتعلت الثورة فى البلاد .

وقد ساهم المراكشيون فى الحرب العالمية الثانية حين تم تجنيدهم فى صفوف الجيش الفرنسى وراحت حكومة فرنسا الحرة تغدق وعودها بالاستقلال لكنها لم تفعل . وقد ارتفعت الأصوات فى المحافل العالمية والعربية لنيل الاستقلال وخاصة فى هيئة الأمم حين طولبت فرنسا بمنح مراكش الحكم الذاتى عام ١٩٥١ لكن فرنسا اقالت الملك وتم انتخاب محمد بن عرفة عميل فرنسا ونفت الملك محمد بن يوسف إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر . وأمام تأزم الأوضاع ونشوء حركة منظمة سميت باسم (جيش التحرير ) إضطرت فرنسا إلى إعادة الملك فى ٢ مارس ١٩٥٦، ثم الغت معاهدة الحماية واعترفت باستقلال مراكش .



# الفصل السادس

# من القضايا العربية المعاصرة

**١ - مشكلة الجنوب فى السودان :**

لم تكن مشكلة جنوب السودان وليدة اليوم بل هى واحدة من الميراث الاستعمارى للمستعمر البريطانى فى السودان الذى استطاع من خلال سياسته أن يساهم فى خلق هذه المشكلة المستعصية التى لا تزال تستنزف أبناء الوطن السودانى شماله وجنوبه سواء بسواء، فقد حصدت المعارك كثيراً من الشباب والشيوخ، واستنزفت الأموال التى كان ينبغى توجيهها للتنمية فى كافة أرجاء السودان .

وليس من قبيل تبسيط الأمور أن نرجع جذور المشكلة إلى الاستعمار البريطانى فقط، بل إن هذه الجذور متعددة وممتدة ومعقدة اختلطت فيها الأوراق وغذتها عوامل داخلية سودانية، كما أذكت نيرانها قوى خارجية لها بالتأكيد مصالح فى استمرار هذا الجرح الغائر، فالمشكله إذاً عميقة ومتشابكة الخيوط، لذا فإن الحلول لاتزال مستعصية حتى الآن ونحن فى مستهل القرن الحادى والعشرين وإن بدت فى الأفق أحياناً تباشير لايجاد حل لها .

وحين نستعرض جذور هذه المشكلة نجد من الضرورى أن نعرض للتركيبة السكانية للجنوب وهل ساهمت بشكل أو بآخر فى صنع المشكلة، وكذلك دور المبشرين المسيحيين وكيف ساهموا أيضا فى بناء لبنة من جدار هذه المشكلة، ثم ندلف من ذلك كله إلى تتبع تاريخ المشكلة منذ الحكم الثنائى الذى بدأ عام ١٨٩٩ وكيف ساهمت الأمبريالية البريطانية فى هذه المشكلة، وأخيراً نصل إلى تطورها منذ الاستقلال فى عام ١٩٥٦ حتى الوقت الحاضر .

**سكان الجنوب ( الزنوج ) :**

هناك ملاحظة هامة نود أن نستهل بها حديثنا عن سكان الجنوب السوداني تتمثل في ذلك الخطأ الفاحش في اطلاق وصف « العبيد » عليهم بدلا من الزنوج أو المتزنجين، فالعبودية ليست سلالة من السلالات بل هي من صنع الانسان، الذي مارسها سواء في افريقيا - بالنسبة لذوي البشرة السوداء - أو في أوربا بالنسبة لذوي البشرة البيضاء على مر التاريخ[1] .

ويتمثل هؤلاء السكان في عدة مجموعات قبلية من أهمها :

أ - الدنكا : تندرج المجموعة الدنكاوية تحت ما أسماه البعض بالنيليين Nilotes ، الذين تتوزع أوطانهم في كينيا وأوغندا وأطراف اثيوبيا الغربية والسودان وسوف نركز - بطبيعة الحال - على الأقسام التي تدخل ضمن السودان .

وتعتبر الدنكا من أكثر المجموعات النيلية عددا وانتشارا، الا أنهم لا يحتلون أراضي متصلة، بل تفصل بينهم قبائل النوير، وتشكل أوطانهم موقعا وسطا يمتد من السوباط الأدنى إلى بحر الجبل ثم إلى بحر الغزال . والمساحة التي يحتلها هذا الشعب الدنكاوي من حيث الطول تعد طويلة جدا حيث تبدأ من العرض السادس الى الخط الثاني عشر الشمالي، باستثناء الجزء الذي يحتله النوير . وأما من حيث العرض فإن مواطن الدنكا ضيقة في الشمال وتلتزم الجانب الشرقي للنيل الأبيض ومواضع قليلة من الجانب الغربي . وهذا الجزء من أوطان الدنكا لا يزيد اتساعه

---

(١) يونان لبيب وآخران : مشكلة جنوب السودان . ص ٣٤ .

من الشرق إلى الغرب على ثلاثين كيلومترا . ويسمى سكان هذا الجزء الشمالى من الدنكا - في بعض الأحيان - بدنكا النيل الأبيض[١] . وأما الجزء الجنوبى من مواطن الدنكا فهو أكثر اتساعا ويشتمل على أقطار يتصل بعضها ببعض تبدأ بالسهول الشرقية فى حوض بحر الجبل ثم تمتد فى شكل مروحة إلى الشمال الغربى حتى تصل إلى بحر العرب . ولهذا جرت العادة بتقسيم الدنكا إلى ثلاث شعب : شعبة النيل الأبيض وشعبة بحر الجبل وشعبة بحر الغزال[٢] .

وتطلق هذه الجماعات الدنكاوية على نفسها اسم (جنج Djing (مفردها جانج) ثم حرفها جيرانهم العرب إلى دنكا ومفردها دنكاوى . وهذا الأسم يعنى مجموعة كبيرة من القبائل تبدو لأول وهلة أن كلا منها مستقل بحياته السياسية والاجتماعية والثقافية، وربما يكون هذا صحيحا إلى حد كبير، إلا أن هناك عناصر أساسية تتحد فيها كاللغة والدين والعادات والنظم السياسية والاجتماعية . ولكل قبيلة من هذه القبائل اسمها الخاص* .

ويرى أحد الباحثين ان الدنكا قدموا من منطقة البحيرات العظمى بشرقي افريقيا، ويضيف قائلا : ليس لهذه القبائل أو غيرها من قبائل الجنوب السودانى أن تزعم بأن أبناءها هم سكان الجنوب الأصليون إلا بقدر ما يحق ذلك للقبائل العربية التى هاجرت للشمال[٤] .

---

(١) محمد عوض محمد : المرجع السابق . ص ١٥٠ .
(٢) نفس المرجع . ص ١٥١ .
(*) من أمثلة هذه القبائل : بود - علياب - سيك - أجار- توى .
(٤) محمد عمر بشير . جنوب السودان . دراسة لأسباب النزاع ص ٢٤ .

وتتنوع المهن التى مارسها أهل الدنكا طبقا للظروف المحلية طبيعية كانت أم بشرية . وعموما تشكل مهنة الرعى أساسا عند معظم قبائل الدنكا، إلا أنه بالإضافة إلى ذلك وفى الجزء الأوسط من أوطان الدنكا نلحظ جماعات تعيش على مهنة صيد الأسماك والسر فى ذلك هو انتشار المستنقعات فى هذه المنطقة وتعذر الوصول إلى المراعى حيث تغمر المياه مساحات كبيرة من الأراضى . وتسمى القبائل التى تعيش فى هذه الأجزاء باسم (مون ثان) Mon - than أو جماعة الثان وتعنى بلغتهم الأرض الجافة وسط المستنقعات . ومرة ثالثة نلحظ تنوعا فى المهن حيث تصادفنا قبيلة «سيك» التى تقطن السهول الواقعة غربى بحر الجبل والتى تشتهر بمهنة استخراج وصهر الحديد . ويبدو أن هذه المهنة منتشرة بشكل واسع بين قطاعات كبيرة من الدنكا حيث نلحظ «عشائر الحدادين» فى الجنوب الشرقى من بحر الغزال . وربما يكون لهذا الاسم الذى حملوه صلة بعملية استخراج وتصنيع الحديد . وهناك احتمال أيضا بوجود عشائر أخرى من الدنكا تشتغل بصهر الحديد فى حوض الغزال[١] .

ولقد نتج من عملية صهر الحديد لدى هذه القبائل كتل مستديرة من الحديد قطرها حوالى ٢٠ سنتيمترا كانت بمثابة وحدة للمبادلة والتعامل حيث أمكنهم عن طريقها شراء الثيران من القبائل الأخرى التى اشتهرت بتربية الماشية، بالاضافة إلى استخدامها فى دفع المهور للزوجات وان كان ذلك خارجا عن المألوف لدى هذه القبائل التى اعتادت دفع مهورها ماشية . وهنا نشير إلى أن العشائر التى تعتمد على الحديد تتزاوج فيما

---

(١) محمد عوض محمد : المرجع السابق ص ١٥٣ .

بينها، ولكن ليس معنى ذلك أنها منغلقة على نفسها فى هذه الناحية بل يمكنها أيضا أن تصاهر القبائل ذات الماشية التى تعد فى مرتبة أعلى منها، إلا أن قلة ما تملكه قبائل الحديد يجعل من العسير حدوث مثل هذا التصاهر[١] .

وعموما فالماشية هى قوام الاقتصاد الدنكاوى وخاصة البقر، فهى مقياس ثروتهم وفخرهم وعزهم ومصدر سعادتهم وعماد مركزهم الاجتماعى، وبها تدفع المهور والديات . فالفرد الذى لا يملك ماشية فى هذا المجتمع - عليه أن يحصل عليها فوراً حتى وان اضطر إلى الهجرة إلى خارج وطنه للعمل ثم يعود لشراء واقتناء الماشية . والغريب حقاً، حتى انه إذا عاد هذا الفرد من الخارج فان ثروته التى جمعها لا تمكنه بسهولة من شراء الماشية من قبائل الدنكا . فالنقود عندهم أحقر من أن تقبل ثمنا للبقر، وهنا يضطر الفرد إلى شرائها من قبائل البقارة فى الأسواق الشمالية . فالماشية عندهم ليست مجرد مادة للحياة الاقتصادية على الرغم من خطورة ذلك، بل هى أهم من ذلك كله من الناحية الروحية . فكل شئ عندهم لا يعلو على الماشية . فالأكواخ العظيمة لا تكون للآدميين بل للماشية ومن أجلها توقد النيران ويحرق روثها لطرد البعوض عنها، والرجل الدنكاوى يدافع ببسالة عن ماشيته إذا ما حدث اعتداء عليها وكأنما يزود عن عرضه أو دينه[٢] !.

---

(١) محمد عوض محمد : المرجع السابق ص ١٥٤ عن سليجمان
Pagan Tribes . P . 138 .

(٢) نفس المرجع . ص ١٥٦ .

وقد جرت محاولة جادة - من جانب أحد الآباء «الفيرونيين» ويدعى «نادل» بالاشتراك مع زميل ! لتصنيف أجرومية دنكاوية . وقد كللت هذه الجهود فى عام ١٩٣٦ باخراج قاموس دنكاوى(١) .

ب - الشلك : يتميز الشلك بأنهم جماعة متميزة قائمة بذاتها لا تنقسم إلى قبائل، مندمجة الأوطان ومتلاصقة، أى أنها تكون وحدة سياسية واجتماعية وثقافية وتقع هذه الأوطان على الضفة اليسرى (الغربية) للنيل الابيض وتمتد من شمال قرية (كاكا) عند نهاية خط العرض الحادى عشر الشمالى إلى قرب بحيرة (نو) . أما على الضفة اليمنى ( الشرقية ) فقد انكمشت أوطانهم بحيث أصبحت عبارة عن مساحة صغيرة تبدأ من شمال ( ملكال حاليا ) بقليل وحتى الشرق من حله ( دوليب ) قليلا(٢) .

ويرجع سليجمان أصل جماعة الشلك إلى رجل يدعى «نياكنج» Nyakang هاجر هو وأتباعه من وطن آبائه شرقى بحر الغزال ثم أخذ يتجول، قاهرا الأعداء فى طريقه، حتى أصبح ذا قوة فتمكن من تكوين أسرة حاكمة وأمة . ويرجح أن نياكنج قد عاش فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى (٣) .

وتتكون جماعة الشلك من الوحدات الاجتماعية التالية :

**أولاً :** عشيرة الملك : وتسمى كوارث Kwareth، وهى التى تنحدر

1) Santandrea, S.; Littlen Known Tribes of the Bahr El Ghazal . S. N. R . Vol . XXIX, 1948 : Part 1 . p . 78 - 87 .

(٢) محمد عوض محمد : المرجع السابق . ص ١٧٧ - ١٧٨ ، انظر أيضاً : مصطفى فهمى وآخر : فى جنوب السودان . دراسات اجتماعية ونفسية وتربوية . ص ١٦ .

(٣) سليجمان : السلالات البشرية فى أفريقية ص ١٥٨ .

من نسل الجد الأكبر الملك نياكنج، وهذه العشيرة موزعة فى أرجاء البلاد، ومنها يختار ملك البلاد شريطة أن يكون والده قد سبق له أن تولى الملك . وهذه العشيرة تنقسم إلى أربعة أقسام :

١) الملك نفسه أو الرث . ٢) أبناء وبنات الملك الحالى أو الراحل ويسمون باسم «نيريث» . ٣) أبناء أبناء الملك ويسمون «نيارث» .

٤) حفداء أبناء الملك .

ويلاحظ فى القسمين الأخيرين انه لا ذكر للبنات، وذلك لأن بنات الملك لا يتزوجن حتى لا ينجبن من يزاحم الملك فى ملكه . وقد تولى أفراد هذه الطبقة ( الرث ) الكثير من المراكز فى أنحاء بلاد الشلك وكانوا يتزوجون بكثير من الزوجات حتى تتسع عصبتهم .

**ثانياً :** عشيرة أرورو Ororo : وتأتى فى الطبقة الثانية بعد عشيرة الملك، وهى أصلاً من العشيرة المالكة إلا أنها حرمت من حقوقها فى بعض العهود إذ أنه يحق للرث أن يحرم أى أسرة أو فرع من عشيرته . وجرى العرف أن يتخذ منها الملك بعض زوجاته . والميزة الوحيدة التى تميز الأرورو عن العشائر الأخرى دورهم الخاص فى بعض الطقوس الضرورية التى لابد من اجرائها عند تنصيب الرث الجديد أو عند وفاته .

**ثالثاً :** حاشية الملك وأتباعه المقربين ويسمون باسم ( بانج رث ) Bang Reth وهم عبارة عن متطوعين للخدمة، أو أسرى فى الحروب أو من نسل اقترف آباؤهم جريمة القتل فضم الأبناء إلى الحاشية . وتنحصر مهامهم فى الخدمات الزراعية والمبانى وخدمة الملك . وعند وفاة الملك يتولى فريق منهم خدمة مقبرته .

رابعا : الشعب ويسمى ( كولو ) Kolo، وتبلغ عشائرهم نحو المائة، وتحرص كل عشيرة منها على وصل نسبها بأتباع الملك نياكنج[١] .

ومن الجماعات الأخرى التى سكنت جنوب السودان جماعة النوير فى منطقة السدود وما حولها، أى بحر الجبل الأدنى حتى بحيرة ( نو) . ويعملون برعى الماشية والزراعة . ويرتبط النويريون بالدنكا من حيث الزواج، وعموماً فهم قريبون فى نظمهم الاجتماعية من الدنكا والشلك المجاورين لهم[٢] .

كذلك فقد ضم الجنوب السودانى جماعة الآزاندى والتى تمتد حتى الكونغو ويمكن حصرها على وجه التحديد بين خط العرض الثانى جنوب خط الاستواء إلى خط العرض السادس الشمالى فى حوض بحر الغزال . وهناك عدد من الآزاندى أصبح يسمى بأفريقية الوسطى . ويعرف الآزاندى فى السودان باسم ( الأفنجره ) Avangara ويقابله اسم المانجبيتو Mangebetu فى الكونغو. وتجدر الإشارة إلى أن اسم الآزاندى يختلط كثيرا باسم تلك العشائر المندمجة فى الآزاندى مثل ( الماكركا ) Macarca كذلك ينبغى أن نشير أيضا إلى الاسم الذى أطلقه الجغرافيون العرب فى العصور الوسطى على سكان أواسط افريقية وهو ( نيام نيام )، وكانوا يقصدون به مجموعة سكان الاقليم الأوسط الذى يشمل الكونغو وأعالى النيل . وعلى هذا يكون تعميم هذا الاسم على الآزاندى دون غيرهم خطأ . والصحيح أن نسمى الشعوب بأسمائها[٣] .

---

(١) محمد عوض محمد : المرجع السابق . ص ١٨٣ - ١٨٥ .
(٢) زاهر رياض : السودان المعاصر . ص ٥١ .
(٣) نفس المرجع . ص ١٩٠ .

ولقد كان أساس السكان فى أعالى الكونغو والغزال عبارة عن جماعات متفرقة من الأقزام وقليل من الزنوج منتشرين فى هذه البيئة الواسعة حتى تعرض هذا الاقليم لضغط من الجنوب والشرق من بعض سلالات البانتو . ولم يلبث هذا الضغط أن تلاشى أيام الموجات المتتالية من الغرب من عناصر سودانية غربية، وترتب على هذه الموجات الزاندية ظهور سلالات جديدة واندماج القديم فى الجديد وتوحيد الثقافة وتكوين ممالك منظمة فى هذه المساحات الواسعة . وقد كان أكثر هذه الموجات تقودها عشائر ذات صفات حربية عالية وكان آخرها بقيادة الأفنجرة حتى استتبت الأمور فى أواخر القرن الثامن عشر . وفى أوائل القرن التاسع عشر أصبح الأفنجرة يسيطرون تماما على الأجزاء الشمالية فى مقابل المانجبيتو فى الجنوب[1] .

ومن الجماعات الأخرى فى جنوب السودان جماعة «البارى» وهى من الشعوب النيلية الحامية التى احتلت الباب الجنوبى لنهر النيل . وتنتشر أوطان البارى على الضفتين الشرقية والغربية لبحر الجبل . أما إذا أدخلنا البارى فى الجماعات التى تتكلم اللغة البارية فان هذه الأوطان تمتد شمالا فى خط العرض السادس، وهنا يحتل البارى الجزء الأوسط . ويروى البارى أن أجدادهم جاءوا من الشرق أو الجنوب الشرقى وأخذوا يتنقلون حتى احتلوا الاقليم الواسع شرقى بحر الجبل وأخذوا يتعرضون لاغارات من جماعات أقوى منهم حيث أرغموا على الجلاء عن معظم أوطانهم شرقى النيل واللجوء إلى الأراضى الواقعة إلى الغرب[2] .

---

(١) محمد عوض : المرجع السابق . ص ١٩٥ عن :
Baxler and Butt; The AZ andi .

(٢) نفس المرجع . ص ١٩٠ .

وينقسم البارى إلى عشائر منفصلة واغترابية أى لا يتزوج امرؤ من عشيرته، حيث انهم يعتقدون ان ذلك ضار بالنسل . ولهم رواية حول ذلك مؤداها ان الزواج فيما مضى كان منتشرا بين أفراد العشيرة فترتب على ذلك انتشار الأمراض فتدخل الزعماء فى الأمر وقسموا القبيلة إلى أقسام وحرموا الزواج داخل كل قسم وبالتالى داخل كل عشيرة . وهناك تقسيم اجتماعى آخر – إلى جانب تقسيم البارى إلى عشائر – وهم يقسم المجتمع إلى قسمين فى كل مكان . الأول يدعى (لوى) Lui والثانى يدعى (دوبى) Dupi أى طبقة الخاصة والعامة أو الأحرار والخدم . كما وجد تقسيم آخر لتمييز الأفراد سواء أكانوا من الخاصة أو العامة ويتناول جماعات قليلة تسمى (كور) أى طبقة العارفين بشئون الماء مثل جالبى المطر ومساعديهم . وقد يكون فى طبقة الكور الكثير من (الدوبى) ولكن زعيم المطر لا يكون إلا من طبقة (لوى) . وهناك طبقات أخرى خلاف الدوبى ينظر إليهم الأحرار نظرة احتقار مثل طبقة الصيادين أو اليارى، وطبقة الحدادين وطبقة صيادى النهر .

**التبشير المسيحى فى الجنوب : ( ١٨٩٩ - ١٩٢٠ )**

منذ بداية الحكم الثنائى للسودان فى عام ١٨٩٩ راحت الجمعيات التبشيرية المسيحية فى جنوب السودان تقوم بإنشاء المدارس والكنائس رغم العقبات التى واجهتها والتى تمثلت فى صعوبة المواصلات، ونقص الموارد المالية وتعدد اللغات فى الجنوب والتى بلغت حوالى اثنتى عشرة لغة، وانتشار الأمراض وغير ذلك .

وكانت بريطانيا التى قبضت وحدها على أزمة الحكم بشكل فعلى

فى السودان تهدف إلى نشر الحضارة بين القبائل الوثنية بينما كانت جمعيات التبشير تهدف إلى نشر العقيدة المسيحية . وتمثلت هذه الجمعيات التى ذهبت إلى الجنوب فى جمعية آباء فيرونا الإيطالية للروم الكاثوليك، وجمعية الإرسالية الانجيلية، والإرسالية الأمريكية المتحدة، ثم جاءت الإرسالية الاسترالية النيوزيلندية المتحدة عام ١٩١٣ . وقد ارتكزت سياسة هذه الجمعيات التعليمية على مبدأ أنه إذا أراد أحد السكان فى الجنوب تعلم القراءة فعليه أن يقبل المعمودية فى بادئ الأمر . وكانت مدارس الروم الكاثوليك تهتم بمدارس التعليم الصناعى والفنى .

وجدير بالذكر ان اللغة العربية الدارجة كانت هى اللغة السائدة فى الجنوب إذ هى لغة التجارة خاصة فى مديرية بحر الغزال ومديرية أعالى النيل لاسيما بين الدنكا والشلك وذلك بسبب علاقات الصلة التى تربطهما بقبائل الشمال التى تتكلم اللغة العربية . ولكن فى عام ١٩٠٤ طلب «وينجت» من حاكم بحر الغزال أنه لا يجوز تدريس اللغة العربية لغير المسلمين فى بحر الغزال خاصة وان هذه اللغة كما يرى – وينجت – تحوى إشارات إلى النبى محمد، وهو – أى وينجت – غير متحمس لنشر الإسلام فى الجنوب وينبغى أن تكون الانجليزية هى لغة التعليم .

بدأ التعليم التبشيرى فى الجنوب من خلال مدرستين أنشأهما آباء فيرونا عام ١٩٠١ فى مديرية أعالى النيل. وفى عام ١٩٠٥ تم افتتاح مدرستين فى مديرية بحر الغزال، وفى عام ١٩١٣ فتحت مدرسة فى المديرية الاستوائية . ومن خلال هذه المدارس تخرج المعلمون الأوائل وبعض الحرفيين والكتبة فى المحاكم .

وقد تعرضت حركة التعليم فى جنوب السودان إلى شئ من الإعاقة إبان الحرب العالمية الأولى حيث كان كثير من المبشرين من أصل المانى ونمساوى، فخشيت بريطانيا أن يشكلوا مركزاً يتجمع حوله السكان سواء من الجنوبيين أو الشماليين ويشكلوا نشاطاً معادياً لها .

**سياسة بريطانيا تجاه الجنوب :**

سار البريطانيون فى سياستهم نحو الجنوب منذ عام ١٩٠٢ على معاملة المديريات الشمالية بشكل منفصل عن المديريات الجنوبية، وكان اهتمام الانجليز فى العشرين سنة الأولى من الحكم الثنائى متجهاً نحو إقرار الحدود الدولية للسودان، وإنشاء جهاز ادارى والبدء فى دراسة أحوال الجنوب، ومن الصعب القول إن الانجليز فى هذه الفترة كانوا ينفذون سياسة ذات أبعاد استراتيجية لفصل الجنوب عن الشمال .

ويمكن القول بأن سياسة فصل جنوب السودان عن شماله قد جرى تطبيقها من جانب بريطانيا بعد عام ١٩٢٤ نتيجة عوامل شتى، منها تغير موقف بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى تجاه الشعوب التى كانت تحتلها، وتعاون جمعيات التبشير مع الحكومة وقيامها بتقديم الخدمات الصحية والتعليميه وغيرها، وظهور الحركة الوطنية السودانية فى أعقاب الحرب ولاسيما فى أوساط العسكريين من أمثال على عبد اللطيف الذى يعود إلى أصول زنجية من قبيلة الدنكا، علماً بأن الحركة الوطنية السودانيه فى مجموعها كانت مرتبطة بمثيلتها فى مصر . وأخيراً كان هناك نظام الحكم غير المباشر الذى كانت تنادى به بريطانيا فى مستعمراتها ونادت به حكومة السودان، هذا النظام كان يهدف إلى المحافظة على التقاليد المحلية والعادات الموروثة .

وقد جاء تقرير لجنة ملز ليكرس هذه السياسة، فقد قدمت حكومة السودان إلى هذه اللجنة مذكرة بخصوص هذه السياسة جاء فيها إن سياسة حكومة السودان ترمى إلى أبعاد النفوذ الإسلامى عن الجنوب، بل ذهبت إلى حد إحتمال فصل الجنوب ( الأسود ) عن السودان الشمالى ( العربى ) وضمه إلى أحد النظم فى افريقيا الوسطى[١] .

وبالإضافة إلى ذلك قدمت حكومة السودان مذكره بخصوص اللامركزية وتطبيقها هناك من خلال فصل المناطق التى يسكنها الزنوج عن الأراضى التى يسكنها العرب، بإيجاد خط للحدود يمتد من الشرق إلى الغرب ماراً بأنهار «بارو» و « السوباط» والنيل الأبيض وبحر الغزال[٢] .

وتحقيقاً للسياسة البريطانية لفصل الجنوب تم اتخاذ عدة إجراءات، فلم يكن حكام المديريات الجنوبية الثلاث مطالبين بحضور اجتماع حكام المديريات سنوياً فى الخرطوم، كما أنه صدرت لائحة جوازات السفر وتصاريح المرور التى نصت على حق الحاكم العام فى أن يعتبر أى جزء من السودان ( منطقة مغلقة )، كما أنه صدر فى عام ١٩٢٢ مرسوم المناطق المغلقة الذى اعتبر مديريات دارفور والاستوائية وأعالى النيل مناطق مغلقة بالإضافة إلى أجزاء من مديرية كردفان الشمالية، والجزيرة وكسلا، والتى لا يجوز أن يدخلها شخص من غير أبناء السودان إلا بتصريح من وزير الداخلية أو حاكم المديرية .

---

(١) محمد عمر بشير : جنوب السودان ص ٨٠ – ٨٣ .

(٢) نفس المرجع . ص ٨٣ .

، أنظر أيضاً : Rahim, M . A ; The Development of British Policy in the Southern Sudan . P . 7 .

وبالإضافة إلى ذلك صدر مرسوم التجارة فى عام ١٩٢٥ والذى حرم مزاولة التجارة على أى شخص من غير ابناء المنطقة إلا بتصريح . وكل هذه الاجراءات كان الهدف منها منع السودانيين فى الشمال وكذلك المصريين وغيرهم من المسلمين ممارسة أى نشاط يعرقل تنفيذ سياسة حكومة السودان فى الجنوب .

وسيراً على الخطوات السابقه صدر فى عام ١٩٣٠ مذكرة تتعلق بالسياسة التى تتبع فى الجنوب من خلال مذكرة السير «هارولد ماكمايكل» والتى حددت الأسس التى ينبغى أن تحكم السياسة إزاء الجنوب على النحو التالى :

١ - إقامة سلسلة من الكيانات القبلية أو العنصرية فى جنوب السودان تعتمد على الاكتفاء الذاتى وتسير وفقاً للعادات والعقائد المتوارثة .

٢ - استبعاد رجال الإدارة والفنيين من أبناء شمال السودان من الجنوب وإحلال جنوبيين محلهم بالتدريج .

٣ - أن تستخدم اللغة الانجليزية فى حالة تعذر استخدام اللغة المحلية[١] .

وهكذا ومنذ عام ١٩٣٠ بدأ تنفيذ السياسة التى تضمنتها مذكرة عام ١٩٣٠ ، وجرى حث التجار الشماليين على مغادرة الجنوب بكافة السبل حتى وإن أرغموا على ذلك، كما بدأ تشجيع التجار الأوربيين على استخدام الجنوبيين كوكلاء فرعيين يعملون لحسابهم بالرغم من رفض بعض التجار اليونانيين مثل هذا الأقتراح . وبالرغم من ذلك فقد مضت سياسة التخلص من التجار الشماليين بالجنوب لدرجة أنه فى عام ١٩٣١

(١) محمد عمر بشير : المرجع السابق . ص ٨٤ - ٩١ .

أصبح العدد المتبقى منهم لا يزيد عن أربعة تجار بينما كان عددهم فى عام ١٩٣٠ ثلاثة وعشرين تاجراً .

وبالإضافة إلى ما سبق وتنفيذاً للسياسة المتبعة جرى منع الاتصال بين القبائل الجنوبية والقبائل العربية التى تجاورها، كما تم ترحيل بعض القبائل الجنوبية مثل قبائل «باندا» و « دونجو» و «كريش» و «فروج» وغيرها والتى تأثرت بالإسلام والحضارة العربية فى دارفور وكردفان وتم إسكانها فى مناطق أخرى، وإنشاء منطقة ( حرام ) تفصل بين قبائل الجنوب والقبائل العربية شمالي بحر العرب في دارفور وأصبح هذا النهر حاجزاً بين المنطقتين . وزيادة فى إيجاد حد فاصل بين الطرفين تم تدمير المنازل والأكواخ والدكاكين، بل واشعلت النيران فى بعض المساجد .

وإمعاناً فى تطبيق هذه السياسة طلب من رؤساء القبائل ومن يتبعهم أن يتخلوا عن أسمائهم العربية وزيهم العربى بل وتم تحريم بيع الملابس العربية أو جلبها للبيع فى الجنوب، فتم تحريم بيع الطواقى منعاً للف العمامة حولها . كما أنه لم يعد يسمح للمسلمين الجنوبيين أن يمارسوا شعائر دينهم الإسلامى علانية وطلب إلى المبشرين إنشاء مراكز للتبشير لوقف إنتشار اللغة العربية .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى عام ١٩٥٣ يمكن القول بأنه جرى نقد لسياسة حكومة السودان تجاه الجنوب وفصله عن الشمال سواء من الجانب الرسمى من أمثال مستر كوكس الذى كان يعمل مديراً للتعليم ومن الجانب غير الرسمى مثل مؤتمر الخريجين العام فى سنة ١٩٤٢ حين تقدم بمذكرة طالب من خلالها بإلغاء مراسيم المناطق المغلقة، وفتح الجنوب أمام كافة التجار .

وبالرغم من ذلك كله فقد قررت حكومة السودان إنشاء المجلس الاستشارى لشمال السودان عام ١٩٤٤ إمعاناً فى تكريس سياسة الفصل بين الشمال والجنوب، كما سبق القول، كما كتب مدير المديرية الاستوائية فى أغسطس عام ١٩٤٣ منتقداً السياسة المتبعة نحو الجنوب والتى ينبغى أن يعاد النظر تجاهها، وأن هناك احتمالاً لا يمكن رفضه وهو انضمام الجنوب إلى الشمال .

وفى الرابع من أغسطس عام ١٩٤٥ وجه الحاكم العام رسالة إلى المندوب السامى البريطانى من القاهرة حملت ثلاثة احتمالات للجنوب وهى :

١ – دمج الجنوب فى الشمال .

٢ – دمج الجنوب فى شرقى افريقيا .

٣ – دمج أجزاء من الجنوب فى الشمال، وأجزاء أخرى فى شرقى افريقيا[١] .

وفى النصف الأول من عام ١٩٤٦ جرى مناقشة القضية ووقع السكرتير الإدارى لحكومة السودان مذكرته المشهورة بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٤٦ والتى يمكن أن نؤرخ من خلالها لانتهاء السياسة البريطانية القديمة فى جنوب السودان . وقد أرجعت المذكرة انتهاء هذه السياسة إلى ما أسمته ، التحولات الهامة فى الجو السياسى للقطر بأكمله ، مثل ظهور عدد من الأحزاب فى السودان[٢] .

---

(١) محمد عمر بشير : المرجع السابق . ص ١١٣ .
(٢) مركز بحوث الشرق الأوسط : مشكلة جنوب السودان . ص ١٣٦ .

وفى يونيه عام ١٩٤٧ عقد مؤتمر ( جوبا ) برئاسة وزير الداخلية وحضور حكام مديريات الجنوب الثلاث وستة من أبناء الشمال وأعضاء آخرين، وأسفر هذا المؤتمر عن إعلان جميع ممثلى الجنوب عدا واحد منهم ضرورة الاتحاد مع الشمال، كما وافق الجميع على عدم استقلال الجنوب ومعارضتهم تماما للانفصال .

شهدت الفترة منذ أواخر الأربعينيات والنصف الأول من الخمسينيات مجموعة من الأحداث أدت إلى تفجر الوضع فى الجنوب، فقد حدث تغير بعد عام١٩٤٨ فى السياسة التعليمية فى الجنوب، كما ترتب على عقد اتفاقية فبراير ١٩٥٣ بين مصر وبريطانيا آثار عكسية فى جنوب السودان، فلم يسأل الطرفان المتفاوضان الجنوبيين عن رأيهم فى حين سألوا الشماليين، وقد انتظر الجنوبيون تحقيق الوعود التى أعطيت لهم حين تكونت لجنة السودنة فى فبراير عام ١٩٥٤، غير أنها لم تتحقق، فقد تم سودنة ٨٠٠ منصباً، حصل الجنوبيون منها على أربعة مناصب .

إن هذه السياسة الطويلة التى نفذها البريطانيون فى جنوب السودان كان حصادها الدم والدمار، وقد بدأ ذلك مع ثورة الفرقة الاستوائية فى أغسطس عام ١٩٥٥ لتحمل الجمهورية السودانية الوليدة فى يناير عام ١٩٥٦ هذا الإرث الثقيل .

## ثانياً : مشكلة الجنوب منذ الاستقلال حتى الوقت الحاضر ( ١٩٥٦ - ٢٠٠٤ )

لقد كان لتمرد الفرقة الاستوائية فى أغسطس ١٩٥٥ ومقتل الكثير من أبناء الشمال وبعض الجنوبيين، والتصرفات غير المسئولة لزعماء الجنوب أسوأ الأثر حيث أثار التمرد الشماليين ولفت الانتباه إلى الجنوب،

وجرى دراسة الأحزاب الشماليه لمشروع إقامة إتحاد فيدرالى فى السودان وافق عليه ممثلو الجنوب مقابل اعلان الاستقلال فى يناير ١٩٥٦، وبهذه الخطوة التى اعلنتها الأحزاب تقدمت خطوة كبيره لتهدئة مخاوف الجنوبيين الذين فهموا ان الاتحاد الفيدرالى يعنى لهم إيجاد وضع خاص داخل الدولة الموحدة .

**الجنوب فى ظل الحكم العسكرى ( ١٩٥٨ - ١٩٦٤ )**

وفى عهد الحكم العسكرى الذى تسلم فيه عبود فى ١٧ نوفمبر عام ١٩٥٨ الحكم من الأحزاب وراحت حكومته تنتهج سياسة البطش والعنف إزاء الجنوب وهو ما فعلته ايضاً فى الشمال، فقامت بتشريد الساسة والمعارضين لسياسة الاندماج والمطالبين بالحكم الفيدرالى، والعمل على نشر اللغة العربية والدين الإسلامى على أساس أنهما وسيلة هامة لتحقيق الوحدة، وجعل يوم الجمعة هو يوم العطلة الرسمية، وعدم السماح بالصلاة إلا داخل الكنائس فقط، ومنع رجال الارساليات ممن كانوا خارج البلاد فى اجازة من العودة . وهذه الاجراءات أفضت إلى حدوث مواجهة بين الحكومة ورجال الارساليات، الأمر الذى أدى بالحكومة العسكرية إلى طردهم فى فبراير عام ١٩٦٤ من مديريات الجنوب واتهمتهم بتجاوز التزاماتهم وتدخلهم فى أمور السياسة وتشجيع المتمردين وامدادهم بالسلاح .

وقد أدت هذه الإجراءات الشديدة إلى هروب الآلاف إلى أوغندا وكينيا وأثيوبيا وافريقيا الوسطى والكونغو، الأمر الذى أدى إلى تجمع المثقفين ورجال البرلمان السابقين فى المنفى وراحوا يؤلفون الأحزاب السياسية .

ويبدو أن الحكم العسكرى لم يفضل السير فى هذه الإجراءات وكان أمامه خياران : إما إستمرار الحرب واستنزاف موارد البلاد، وإما البحث عن حل سلمى وهو ما كانت ترفضه الحكومة لكنها أختارته فى نهاية المطاف وشكلت لجنه تحقيق فى سبتمبر عام ١٩٦٤ لدراسة أسباب المشكلة والخلاف بين الشمال والجنوب داعية المواطنين إلى إبداء الرأى حيال المشكلة، لكن الأمور تطورت واندلعت المظاهرات وسقط الحكم العسكرى فى اكتوبر عام ١٩٦٤ .

**ثورة ٢٤ أكتوبر ١٩٦٤ وقضية الجنوب :**

بقيام ثورة أكتوبر وازاحة الحكم العسكرى بدأت خطوات جديدة من أجل حل القضية، كما ابتهج حزب «سانو» الجنوبى بهذه الثورة وقدم الجنوبيون اقتراحات فى سبيل إيجاد مخرج لهذه المشكلة .

ومن أهم جهود رجال أكتوبر عقد مؤتمر المائدة المستديرة لدراسة هذه المشكله وإيجاد حل لها يرضى كافة الأطراف، فقدم قادة حزب سانو مذكرة إلى سر الختم خليفة رئيس الوزراء طالبوا من خلالها بإصدار عفو عام لجميع اللاجئين، والاعتراف بحزب سانو كحزب سياسى، وضرورة عقد مؤتمر مائدة مستديرة تحضره الأحزاب السياسية فى الشمال والجنوب، ورجال القانون والجامعة فى الخرطوم وقادة المهن التجارية .

وأما الأحزاب الجنوبية التى حضرت المؤتمر فهى :

١ - حزب سانو وهو من أكبر الأحزاب الجنوبية وكان يضم جناحين : الأول بقيادة «وليم دنج» وكان معتدلاً، أما الجناح الآخر فكان بزعامة «جوزيف أدوهو» وكان شديد التطرف حيث دعا إلى الانفصال تماماً.

٢ - جبهة الجنوب التى كانت تضم مثقفى الجنوب .

٣ - حزب الاتحاد وكان يسمى حزب الأحرار الذى كانت أهدافه تتقارب مع أهداف حزب سانو .

وقد بدأت أعمال المؤتمر بالعاصمة الخرطوم فى ١٦ مارس عام ١٩٦٥، وبلغ عدد أعضائه خمسة وأربعين، ثمانية عشر منهم يمثلون الأحزاب الشمالية، وسبعة وعشرون يمثلون الجنوب، بالإضافة إلى وجود مراقبين من منظمة الوحدة الأفريقية ومن غانا وأوغندا وكينيا وتنزانيا والجزائر ونيچيريا ومصر .

وقد استمرت جلسات المؤتمر من ١٦ إلى ٢٩ مارس، تقدم خلالها كل من الشماليين والجنوبيين باقتراحات وتصورات لحل القضية . فالشماليون تقدموا بمشروع يرمى إلى قيام علاقة دستورية بين الشمال والجنوب مع إيجاد حكومة لمديريات الجنوب ووضع برنامج عملى للإصلاح الاقتصادى مع تطوير الجوانب الاجتماعية والتعليمية .

أما الجنوبيون الذين انقسموا على أنفسهم فقد تنوعت مطالبهم وفقاً لإنقساماتهم، فالمُعتدلون طالبوا بتطبيق النظام الفيدرالى، بينما طالب فريق ثان باستقلال الجنوب ومهاجمة تجار الرقيق العرب، وهناك فريق ثالث طالب بحق تقرير المصير وإجراء استفتاء على واحد من ثلاثة : الوحدة الكاملة أو النظام الفيدرالى أو الإنفصال .

ولم يتوصل الشماليون والجنوبيون إلى اتفاقيات بخصوص بعض الموضوعات ولم يتم التطرق إلى القضية الأساسية والنهائية وهى «الإطار الدستورى لمستقبل السودان»، بل اتفق على قيام لجنة الإثنى عشر من

ممثلى كل التجمعات السياسية لمناقشة المسألة الدستورية، إلا أن هذه اللجنة لم يكتب لها الاستمرار نظراً لسقوط الحكومة .

وبالرغم من فشل المحاولة التى سعى لها مؤتمر المائدة المستديرة لإيجاد حل نهائى للمشكلة إلا أنه أظهر للعالم مدى حرص الشماليين للوصول إلى حل سلمى يرضى الجنوبيين .

**قضية الجنوب خلال فترة تولى الأحزاب الحكم (١٩٦٥ - ١٩٦٩):**

تعاقب على حكم السودان فى هذه الفترة الزمنية ثلاثة وزارات هى:

١ - وزارة محمد أحمد محجوب ( ١٩٦٥ - ١٩٦٦ ) .

٢ - وزارة الصادق المهدى ( ١٩٦٦ - ١٩٦٧ ) .

٣ - وزارة محمد أحمد محجوب الثانية ( ١٩٦٧ - ١٩٦٩ ) .

**أولاً : وزارة محمد أحمد محجوب :**

اتخذت هذه الوزارة سياسة ذات أبعاد ثلاثة تجاه الجنوب تمثلت فى سياسة القمع العسكرى والتخلى عن أسلوب الملاينة . وكانت هذه السياسة رد فعل لسياسة التهدئة التى سارت عليها الوزارة السابقة والتى أدت إلى نشاط جماعة «الأنيانيا» وتدهور الأمن فى الجنوب، كذلك تمثلت هذه السياسة فى محاولات إصلاح إدارية داخل الجنوب . وأخيراً قامت هذه الوزارة بعدة تحركات دبلوماسية وسياسية مع دول الجوار لمنع تسرب الأسلحة وكسب هذه الدول فى محاولة منها لعدم مساعدة المتمردين .

**٢ - حكومة الصادق المهدى :**

آمن الصادق المهدى بأن حل مشكلة الجنوب لابد أن يتم من خلال الوسائل السلمية وبعيداً عن استخدام القوة، كما كان يؤمن أيضاً بأن نشر الإسلام واللغة العربية سوف يساعدان على قيام الوحدة بين الشمال والجنوب . لذلك كله دعت حكومة الصادق المهدى وفداً من مجلس كنائس عموم افريقيا لزيارة السودان، زار المدن الرئيسية فى الجنوب وأوصى بتشكيل لجنة مصالحة من الجنوبيين والشماليين، واعطاء أمان لقادة الأنيانيا وغير ذلك، لكن لم يكتب لهذه التوصيات أن تتحقق لاستقالة الحكومة بعد ثلاثة أشهر .

**٣ - حكومة محمد أحمد محجوب الثانية ( ١٩٦٧ - ١٩٦٩ ) :**

لم تعط هذه الحكومة فى البداية اهتماماً نحو حل مشكلة الجنوب، إلى أن تدخل سير چيمس روبرتسون آخر سكرتير إدارى بريطانى لحكومة السودان إلا أن هذه المبادرة لم يكتب لها النجاح لفقدان الثقة تجاه الانجليز وانشغال البلاد العربية بحرب ١٩٦٧ ونتائجها السيئة[1] .

**ثورة مايو ١٩٦٩ والجنوب :**

وفى ٢٥ مايو عام ١٩٦٩ قاد جعفر نميرى ثورة أزاحت حكومة محمد أحمد محجوب وحلت الأحزاب، وجرى عقد اجتماعات بين مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء أعقبها بيان لشرح جذور مشكلة الجنوب، والعزم على إيجاد حل لهذه المشكلة .

---

(١) مركز بحوث الشرق الأوسط : المرجع السابق . ص ١٧٥ - ١٨١ .

وفى اطار حل هذه المشكلة قامت الثورة باتخاذ عدة إجراءات مثل استمرار ومد فترة العفو العام، ووضع برنامج اقتصادى واجتماعى وثقافى للجنوب، وتعيين وزير للجنوب، وإنشاء لجنة خاصة باقتصاد الجنوب، ومساواة ابناء الشمال والجنوب فى الأجور .

وقد كان لهذه السياسة مردود طيب أدى إلى عودة آلاف اللاجئين الذين هاجروا من الجنوب، وتسليم الكثير من المتمردين لأسلحتهم، وإدانة المثقفين للتمرد .

وفى يناير عام ١٩٧١ عقد مؤتمر ( جوبا ) للتنمية الاقتصادية والإجتماعية للجنوب، صدرت من خلاله عدة قرارات وتوصيات بخصوص التنمية فى الجنوب . وأوصى المؤتمر بمشاركة الجنوبيين فى العمل وشرح أهداف الثورة، وانشاء متاجر حكومية فى المدن ومتاجر متنقلة بالقرى .

وفى ٢٧ فبراير عام ١٩٧٢ جرى توقيع اتفاقية أديس أبابا بخصوص الجنوب أنهت القتال ووجهت حوالى أربعين مليوناً من الجنيهات لانفاقها على التنمية فى الجنوب . وفى ٣ مارس من نفس العام صدر قانون الحكم الذاتى فى السودان .

ومن أسف أن مشكلة الجنوب تفجرت مرة أخرى فى ظل الحكومات التالية ولاتزال رحاها مستمرة وان توقفت أحياناً لبدء جولة من المفاوضات لتعود مرة أخرى . لكن جهوداً حقيقية تجرى الآن بمساعدة اقليمية ودولية وخاصة من جانب مصر فى محاولة لإيجاد حل نهائى للمشكلة .

**٢ - مشكلة الصحراء الغربية :**

تعتبر مشكلة الصحراء الغربية واحدة من المشكلات التى خلفها الاستعمار الأسبانى فى المغرب الأقصى، وأصبح يتنازع حولها الجيران، ولايزال البعض منهم يعتبرها ترمومترا للعلاقات السياسية صعوداً وهبوطاً. وهؤلاء الجيران يتمثلون في كل من : المغرب وموريتانيا والجزائر وجبهة البوليساريو التى تقود حركة الانفصال عن المغرب التى تطالب بعودة هذا الجزء إلى المغرب باعتبارها جزءً من أجزائها .

تبدأ جذور هذه المشكلة منذ عام ١٨٨٥ حين أعلنت حكومة مدريد احتلال الصحراء المغربية مدعية أنها أرض بلا صاحب، كما فرضت الحماية على الساحل الافريقى ما بين الرأس الأبيض جنوبا ورأس بوجادور فى الشمال وقامت بتعيين واحد من المستكشفين حاكماً على هذه المناطق . وبالرغم من هذه الاجراءات التى اتخذتها الحكومة الأسبانية فإنها عجزت عن الخروج من هذه المستعمرة الجديدة لاسيما أنه قد ظهرت فى المنطقة حركة وطنية قادها الشيخ ماء العينين استطاعت إجبار الأسبان على احترام العرب والمسلمين هناك، وهكذا أصبح هذا الشاطئ ومنطقة الصحراء المجاورة من الممتلكات الأسبانية .

وتنقسم الصحراء الغربية إلى ثلاثة أقسام : القسم الشمالى منها ويعرف باسم ( طرفاية ) وقد سلم للمغرب فى عام ١٩٥٨، والقسم الأوسط ويعرف باسم ( الساقية الحمراء ) وتشكل مدينة ( العيون ) واحدة من أهم مدنه، وتعدها منظمة ( البوليساريو ) عاصمة للجمهورية الصحراوية التى أعلنوها . أما القسم الثالث فيقع فى الجنوب وهو أكبرها مساحة ويعرف باسم ( ريودورو ) .

ويبدو أن تقدير المملكة المغربية والدول العربية لأسبانيا لاسيما مواقفها حيال قضية فلسطين والشرق الأوسط والصمت حيال قضية الصحراء قد جعل أطماع اسبانيا تتنامى فى المنطقة لاسيما وقد كانت هناك احتمالات مستقبلية لظهور البترول بها . وازاء تحقيق الاسبان لأطماعهم راحت تمنى سكان المنطقة بالإستقلال التام والانفصال عن المغرب لاسيما وأن دولة موريتانيا المجاورة راحت هى الأخرى تدعى أن لها حقاً فى هذه الصحراء .

وفى عام ١٩٦٥ / ١٩٦٦م تم عرض قضية الصحراء على الجمعية العامة للأمم المتحدة فاتخذت قراراً يدعو اسبانيا إلى تحرير منطقة الصحراء وذلك من خلال المفاوضات مع الأطراف المتنازعة حول هذه المنطقة، لاسيما وأنه كان متعذراً إصدار قرار بحق تقرير المصير لهذا الاقليم الذى لم يكن سكانه يزيدون آنذاك عن ٤٨ ألف نسمة أكثرهم من البدو .

وفى عام ١٩٧٤ اتفقت كل من المغرب وموريتانيا على إجراء تقسيم للصحراء الغربية فيما بينهما . ولم تكن دولة الجزائر المجاورة راضية بما جرى من وفاق بين المغرب وموريتانيا حيال هذه المشكلة، بل راحت تساند منظمة البوليساريو التى اعتبرت نفسها معبرة عن سكان الصحراء، ومن ثم شكلت لها قوة عسكرية تحت اسم ( جيش التحرير الصحراوى ) . ويبدو أن الجزائر كانت فى حاجة إلى ممر برى داخل هذه المنطقة الصحراوية لتنقل ثرواتها المعدنية إلى ساحل المحيط الأطلنطى الأمر الذى زاد المشكلة تعقيداً ووصل إلى حد الإشتباك العسكرى .

وقد تقدمت المملكة المغربية بشكوى إلى هيئة الأمم المتحدة محذرة باستخدام القوة العسكرية حيال المخططات الاسبانية لفصل هذه الصحراء عن المغرب إذا ما حاولت تنفيذ ذلك فأصدرت الأمم المتحدة قرارها باحالة القضية إلى محكمة العدل الدولية التى أعلنت حكمها فى أكتوبر عام ١٩٧٥ بأن هذه الصحراء التى ضمتها اسبانيا لم تكن أرضا بلا صاحب، بل كانت تربطها روابط قانونية بالمملكة المغربية . ونتيجة لذلك كله قرر الملك الحسن الثانى أن يقوم بمسيرة سلمية إلى الصحراء والتى تكونت من حوالى ٣٥٠ ألف مغربى دخلوا الصحراء وهم عزل من السلاح حاملين المصاحف .

وفى عام ١٩٩٣ حاولت الأمم المتحدة من خلال أمينها العام تحقيق شكل من أشكال التفاهم بين كل من المملكة المغربية وجبهة البوليساريو من خلال اجتماع عقد بكل منهما فى كل من مدينة ( العيون ) بالصحراء فى شهر يوليو، ومدينة ( نيويورك ) فى شهر أكتوبر من نفس العام والذى لم ينعقد، وبالتالى فلم يحدث أى تقدم يذكر فى طريق الحل لاسيما وأن جبهة البوليساريو أرادت أن تجعل كلا الاجتماعين السابقين ينعقدان على هيئة مفاوضات مباشرة وبشكل رسمى بين كل من المغرب والجبهة وهو ما لم توافق عليه المملكة المغربية .

وقد جرى تناول القضية على الصعيد الافريقى حيث تمت مناقشتها خلال مؤتمر القمة الافريقى فى نيروبى عام ١٩٨١، وفى هذا المؤتمر وافق الملك الحسن الثانى ملك المغرب على إجراء استفتاء فى الصحراء تحت إشراف هيئة دولية، بينما رفضت جبهة البوليساريو ذلك .

وقد تدعم موقف المغرب من خلال تأييد العقيد القذافى لها لاسيما وأنه كان يساعد جبهة البوليساريو بكافة أشكال الدعم من خلال المال والسلاح . كذلك فقد ازداد موقف المغرب قوة من خلال تأييد كثير من الدول الافريقية لها وأهمها الجزائر التى هى واحدة من أطراف النزاع والمؤيد لجبهة البوليساريو التى تقيم على أرض جزائرية فى منطقة (تندوف) حيث أثنى الرئيس الجزائرى آنذاك ( الشاذلى بن جديد ) على موقف المغرب التي طرحت مبدأ إجراء إستفتاء فى منطقة الصحراء، واعتبر ذلك بداية طيبة نحو الوصول إلى حل للمشكلة .

وبينما كانت الأمور تسير فى طريق الحل إذا بالأمين العام للمنظمة الأفريقية ( آدم كودجو ) فى ٢٢ فبراير عام ١٩٨٢ يسمح لجبهة البوليساريو حضور جلسات اللجنة الوزارية الإدارية للمنظمة والتى كانت تجتمع مرة واحدة فى العام لدراسة الميزانية وليس لها أية اختصاصات أخرى . وقد أثار ذلك غضب المغرب فانسحبت من عضوية منظمة الوحدة الافريقية مع التزامها بقرارات نيروبى الخاصة بالاستفتاء .

كذلك فقد اصطدمت هذه المشكلة بقضية الاحصاء السكانى لمنطقة الصحراء الغربية الذى أجرته اسبانيا عام ١٩٧٤ والذى قدر بنحو ٧٤ ألف نسمة بينما رفضته جبهة البوليساريو فى بادئ الأمر زاعمة أن سكان الصحراء بلغوا حوالي مليون نسمة لكنها قبلته بعد ذلك رغم أن المغرب كانت لديها تحفظات وملاحظات حول هذا الاحصاء الاسبانى، حيث أن بعض الأشخاص كانوا قد سجلوا مرتين أو ثلاث مرات، كما حدث خلط بين الأسماء العربية والأسماء الأسبانية . فا ( الجومانى ) هو ( اليمانى )

وهو نفسه ( الهمانى ) . كما أنه جرى إحصاء أناس على الحدود ليست لهم صلة بالصحراء، وغير ذلك من الملاحظات .

وفى الحادى عشر من مارس عام ١٩٩٤ تقدم الأمين العام للأمم المتحدة بتقرير لإنهاء المشكلة وفق خيارات ثلاثة : أولها يتمثل فى تنظيم الأمم المتحدة لاستفتاء حتى وإن لم يتعاون معها الطرفان، وذلك فى الفترة من ٧ - ١٥ ديسمبر عام ١٩٩٤، وثانيها مواصلة لجنة تحديد الهوية أعمالها خلال فترة محددة، وفى ذات الوقت تواصل الأمم المتحدة جهودها فى الحصول على تعاون الطرفين بناءً على الاقتراح التوفيقى للأمين العام . وثالثها انه كان من الصعب حالياً الحصول على تعاون الطرفين حول تحديد هوية الناخبين، وبناءً على ذلك يقرر مجلس الأمن إنهاء بعثة الأمم المتحدة حول مسألة الاستفتاء أو إيقاف التسجيل وتحديد الهوية(*) .

وقد وافقت المملكة المغربية على هذه الخيارات الثلاثة رغم عدم توافقها مع الخيار المغربى، أما جهة البوليساريو فقد أعلنت فى ١٧ مارس عام ١٩٩٤ رفضها لخيارين من هذه الخيارات الثلاثة .

ويرى بعض المراقبين لتطور هذه المشكلة أن جبهة البوليساريو تمر بمأزق دقيق وذلك لعدة اعتبارات أولها : توقف العقيد القذافى عن المساعدات المالية والعسكرية، وثانيها الظروف الدقيقة والصعبة التى تمر بها الجزائر داخلياً بحيث أصبحت لا تستطيع تحمل الأعباء الواقعة عليها نتيجة وجود جبهة البوليساريو على أرضها . وثالثها أن جبهة البوليساريو

(*) أنظر السياسة الدولية : العدد رقم ١١٧، يوليو عام ١٩٩٤، ص ٨٩٥ .

قد تعرضت لتصدعات وانقسامات حادة بسبب الظروف والأحوال السيئة التى يعيشها سكان الصحراء لاسيما فى منطقة تندوف من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية الأمر الذى أدى إلى هجرة كثير من القيادات الصحراوية إلى المغرب التى رحبت بهم واستفادت من تواجدهم فى كشف الكثير من أسرار جبهة البوليساريو(*) .

---

(*) السياسة الدولية : المصدر السابق ، ص ٨٩٥ وما بعدها .

# الفهــرس

| المحتــوى | الصفحات |
|---|---|